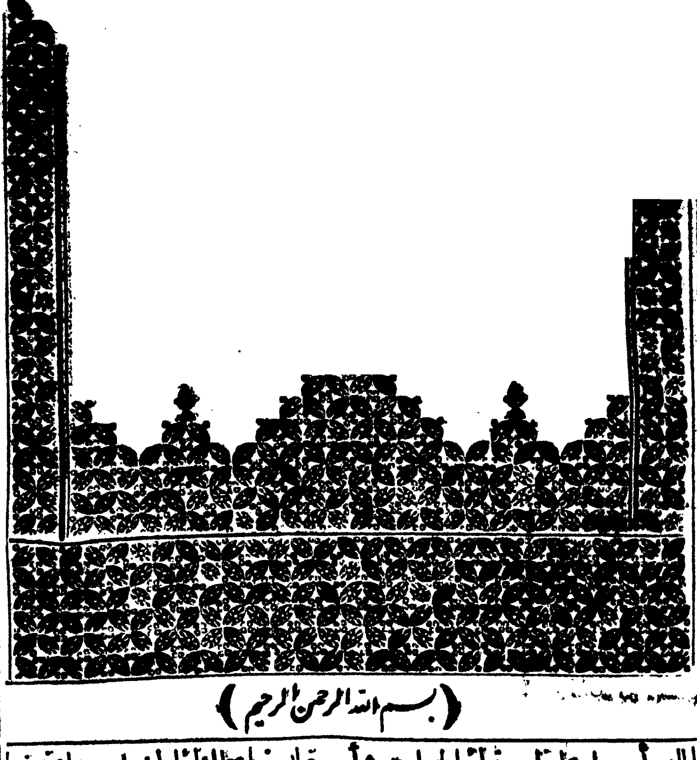
كتاب بدائع البداية تأليف
الاديب الفاضل واللوذعي
الكامل اللبيب الماهر
العلامة علي بن ظافر
الازدي رحمه
الله تعالى
آمين

فهرسة كتاب بدائع البدائه لابن ظافر



(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم أسبل علينا سترك الجميل * وأسبغ لدينا عطاءك الجزيل * وامنحنا رضاك الذى هو غاية التأميل * واكفنا سخطك الذى هو النهاية فى التنكيل * واحرسنا بعينك * وأيدنا بعونك * واكنفنا بعزك * وصنا بحرزك * ووفقنا لذكرك * وأعنا على حمدك وشكرك * فانه لا توفيق الا منك * ولا عون الا بك * ولا صيانة الا من عندك * ولا حراسة الا لمن شملته عنايتك * ولا سعادة الا لمن وسعته رحمتك * اللهم انك امرت فعصينا * ونهيت فما انتهينا * وأضأت فما اهتدينا * وسننت فما اقتدينا * وندبتنا الى القرب منك فأبينا * ثقة بأنك رؤف رحيم * واعتمادا على أنك لطيف حليم * وسكونا الى أنك عطوف كريم * فلا تخيب فيك الظن ولا تكذب فيك الامل ولا تقطع أسباب الرجاء ولا تكلنا الى اقامة الحجة فانها داحضه ولا الى بسط المعذرة فانها قاصره وشفع فينا خاتم انبيائك الذى هو سيدهم حقا * وآخرهم بعثا وأولهم خلقا * محمد الذى شرفت قدره * وشرحت بالنور صدره * ورفعت ذكره * وأذهبت

عشره * وأثبت يسره * وملأت بالنور سره وجهره * وصلى عليه صلاة تزيده نورا على نور * وتهدى لروحه الروح والسرور * واجعلها لنا تجارة لن تبور * وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى * ورجوم الردى * وسلم تسليما * (وبعد) فقد كنت في صدر عمرى * وبدء أمرى * نشطت لجمع أخبار الشعراء في البداهة والارتجال * ومحاسن أشعارهم في مضايق الاسراع والاعجال * وسمعت منها حكايات لم يرقها في الطرس بنان * ولم يطمثها قبلى انس ولا جان * فأوقفت عليها صدر ذلك الزمان * وسيد فضلاء ذلك الاوان * السيد الاجل الفاضل ابا على عبد الرحيم بن الحسن البيسانى رحمه الله تعالى فحثنى على الازدياد منها * والتطلب لها والبحث عنها * فاجتمع من ذلك جزء أحكمت ترتيبه * وهذبت تبويبه * وسميته بدائع البدائه * ورتبت الاخبار * في كل باب منه على ترتيب الاعصار * وأعلمت كل حكاية أنا ناظم دررها * وناثر جوهرها * ومؤلف كلامها * ومثقف قوامها * كانت مسندة مسلسلة * أو مهملة مرسلة * بأن قلت بها هذا معناه (وكل حكاية لى فيها عمل شعر أو اشتراك مع بعض الشعراء اقتصرت في اعلامها على ذكر اسمى فقط وان كانت مسموعة فسمعها مما وشى خاطرى وشائعه * وأبدى بدائعه * فلما رأى ما اجتمع منه سر به واغتبط * وأكرم نزله فارتبط * وشرفنى على صغر سنى * ونضارة غصنى * بأن أنسخه لخزانته * وحباه بحفظه وصيانته * ولم يزل ذلك الجزء عنى منسى الذكر * وعندى خامل القدر * حتى مثلت بالجناب العالى الملكى الاشرفى أعز الله سلطانه في سنة ثلاث وستمائة وذلك قبل أن اعتلق بحبله * وآوى الى ظله * فجرى في مجلسه ذكر هذا الجزء فحسن من خاطره موضعه * وجل عنده موقعه * فرسم لى نقله وقد كنت في زمن فترتى جمعت أخبارا كثيرة تقارب حجم الجزء الاول بمجموعها * وفاق على كثير من مسموعها * فجمعت شمل الطارف بالتليد * والقديم بالجديد * وأنفذت به اليه * وأوفدته عليه * ثم انى بعد ذلك التقطت فرائد لم تظفر بمثلها الاسماط * وشوائع لم تفز بشبهها الاسفاط * وبدائع لم يلق بمثلها الاغفال * وغرائب لم يجز بجمعها الاهمال * فدعتنى النفس الطموح الى أن أنثر ذلك النظام * وأحصر ذلك القوام * وأضم شمل هذه الفرائد الجنية القطاف * المقومة الثقاف * الى تلك الفرائد المنتظمة

العقود * المنمنمة البرود * فجعلت افكر فى ضعف الغرائز البشريه * والجبلات الانسانيه * ورغبتها أبدا فى الزياده * وحرصها على بلوغ الغايه * واغتباطها بالشئ حتى اذا حصلته وظفرت به وأنشبت مخالبها فيه مالت الى الملل * وحلقت لسآمته العلل * وطلبت ما يرتفع عنه * وسخطت ما كانت رضيته منه * ونفسى تهوّن خطب التنقل * وصعب التبدل والتحول * وترغب فى تتميم الناقص وجمع المتفرق وضم المنتشر المتبدد وتقول لابد لكل ثانية من ثالثه * وتعد بأنها لا تعوذ فى عقد هذه العزيمة نافثه * وتنشد قول القائل

ولربما نثر الجمان تعمدا * ليعود أحسن فى النظام وأجملا

وتقيم العذر بأن تلك النسخة وقعت بين سمع الارض وبصرها * حيث لم يوقف على أثرها ولم يسمع بخبرها * وضاعت بين الباب والطاق * ولم تظفر بقبول ولا نفاق * ولو كانت حصلت فى الخزائن المولوية السلطانيه * الملكية الكاملية الناصريه * شرفها الله لتوشحت صدور مجالسه بعقودها * وتزينت معاطف مذاكرته ببرودها * ولدارت كؤسها * وجليت عروسها * ولأشرقت زواهرها * وعبقت أزاهرها * ولسارت شواردها * وطارت أوابدها * كيف لا والفضل بمجلسه قد طنب خيامه * وشق كمامه وأسكب غمامه * وأفعم رياضه * وأفعم حياضه * وهو أدام الله أيامه ولى العهد ووارث الملك * وواسطة السلك * وهو الذى سارت قصائد الملك اليه * وأحلت آمال فيه لديه * فعلى بابه تخرجت * ومنه تدرجت * واليه لما نابت بك البلاد عرجت * فرجعت الى الجناب الذى اطلع هلالك حتى صار بدرا * وأجرى جدولك حتى عاد نهرا * ورأيت منه ملكا الا انه بشر * وأسدا الا انه قمر * وبحرا بيد أنه يسطو من سيفه بنهر * ولقيت منه بحر العطاء الذى يزخر مده * وليث السطاء الذى يحذر شده * فحين ظهرت غرر هذا الحق وأوضاحه * وأنار مصباحه بل اصباحه * ضم المملوك جميع ما حصله من بدائع البدائه أولا وفرطا * وآخرا ووسطا * ورتب الجميع على الشرط الاول من ترتيب الحكايات والاخبار * على ترتيب الاعصار * الا ما يقتضى تقديمه فرط مشابهة ومشاكله * وزيادة مقاربة ومماثله * وهو فن لم يجمعه قبلى أحد * ولا سطرته قبل يدى يد * وقد حلى المملوك منه الفذ فى فنه * الى الفذ فى سلطانه * والغريب

في حسنه * الى الغريب في احسانه * وجملة ما في هذا الكتاب * لا تعدو ما في خمسة أبواب *

(الباب الاول) في بدائع بدائه الاجوبة

(الباب الثاني) في بدائع بدائه الاجازة

(الباب الثالث) في بدائع بدائه التمليط

(الباب الرابع) في بدائع بدائه الاجتماع على العمل في مقصود واحد

(الباب الخامس) في بقية بدائع البدائه

ولا بدّ من تقدمة فصلين قبل سياقة الابواب * أحدهما في اشتقاق البديهة والارتجال * والثاني في الفرق بينهما

*(الفصل الاول في الارتجال) * الارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة ومنه قيل شعر رجل اذا كان سبطا غير جعد ومسترسلا غير منقبض وقيل من ارتجال البئر وهو أن ينزلها الرجل برجليه من غير حبل فكانهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة * والبديهة مشتقة من بده يبده بمعنى بدأ يبدأ أبدلوا الهمزة هاء اقرب بهامنها كما قالوا الهنك بمعنى لانك وكما أبدلوا الحاء أيضا بالهاء اقرب بهامنها فقالوا امدح ومده واشتقاقا الارتجال والبديهة وان كانا متقاربين الا أن أهل هذه الصناعة ميزوا كل واحد منهما عن الآخر بما سنذكره في الفصل الثاني

*(الفصل الثاني) * الارتجال هو أن ينظم الشاعر ما ينظم في اوحى من خطف البارق واختطاف السارق وأسرع من التماح العاشق ونفوذ السهم المارق حتى يخال ما يعمل محفوظا أو مرتبا ملحوظا من غير حاجة الى كتابة ولا تعلل بتقفيه وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافيه وهم الشهود العدول الذين يجب الرجوع اليهم ولا يجوز عنهم العدول بالشهادة على استطاعته وأن ذلك المنظوم ابن ساعته * والبديهة أن ينزل عن هذه الطبقة قليلا ويفكر مقصرا لا مطيلا فان أطال ذو البديهة الفكرة انعكست القضيه وخرجت من حد البديهة الى حد الرويه وعند ذلك تقصر نهضة الاقتدار عن بلوغ ذلك المضمار اذ المرتجل والباده يقنع

منهما بالردىء اليسير ولا يقنع من المروى الا بالجيد الكثير وكفاك في ذكرهما
قول ابن المعتز والفكر قبل القول يؤمن زيغه * شتان بين روية وبديه
وقول ابن جريج نار الروية نار تلف منضجة * وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها * لكنها عاجل يمضي مع الريح
وحسبك بهرب امام الشعراء وفاتكهم من البديهة فما ظنك بالارتجال واذا
كان عبد الله بن وهب الراسي رئيس الخوارج في يوم النهروان يقول وهو
البدوي الفصيح والعربي الصريح اياكم والرأى الفطير والكلام
القضيب يقول هذا في مطلق الكلام وهو غير مقيد بوزن ولا قافية فكيف
الظن بالمقيد بهما لعمرى انه لمقام يجبن فيه الشجاع ويكذب فيه رائد الفكر
في طلب الانتجاع

(الباب الاول في بدائع بدائه الاجوبة)

فمن ذلك ما اخبرني به الشيخ الفقيه الاجل أبو محمد عبد الخالق بن صالح بن
زيدان المسكى وكتب لى بخطه قال املى على الشيخ العلامة أبو محمد بن برى
رحمه الله قال لقى عبيد بن الابرص امرأ القيس فقال له عبيد كيف معرفتك
بالاوابد فقال ألق ما أحببت فقال عبيد

ماحبة ميتة احيت بميتتها * درداء ما انبتت سنا واضراسا

فقال امرؤ القيس

تلك الشعيرة تسقى في سنابلها * فاخرجت بعد طول المكث اكداسا

فقال عبيد

ما السود والبيض والاسماء واحدة * لا يستطيع لهن الناس تمساسا

فقال امرؤ القيس

تلك السحاب اذا الرحمن أرسلها * روى بها من محول الارض ايباسا

فقال عبيد

ما مرتجاة على هول مراكبها * يقطعن طول المدى سيرا واحراسا

فقال امرؤ القيس

تلك النجوم اذا حانت مطالعها * شبهتها في سواد الليل اقباسا

فقال عبيد

قوله تلف من ألق ولعله حذف الالف لضرورة الوزن تأمل اه

ما القاطعات لارض لا انيس بها * تأتي سراعا وما يرجعن انكاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الرياح اذا هبت عواصفها * كفى بأذيالها الترب كناسا

فقال عبيد

ما الفاجعات جهارا في علانية * اشد من فيلق مملوءة باسا

فقال امرؤ القيس

تلك المنايا فما يبقين من احد * يكفتن حتى وما يبقين أكياسا

فقال عبيد

ما السابقات سراع الطير في مهل * لا تشتكين ولو ألجمتها فاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الجياد عليها القوم قد سبحوا * كانوا لهن غداة الروع أحلاسا

فقال عبيد

ما القاطعات لارض الجو في طلق * قبل الصباح وما يسرين قرطاسا

فقال امرؤ القيس

تلك الاماني تتركن الفتى ملكا * دون السماء ولم ترفع به راسا

فقال عبيد

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر * ولا لسان فصيح يعجب الناسا

فقال امرؤ القيس

تلك الموازين والرحمن أنزلها * رب البرية بين الناس مقياسا

ومثل هذا وان تفاوت ما بين الاعصار ولم يكن من باب الالغاز ما ذكر أن الشريف أبا جعفر مسعود بن الحسن العباسي وهو من ولد العباس بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس ويعرف بالبياضي كان يتعشق قينة ببغداد اسمها بدور وتعرف بجارية بنت الملك وفيها يقول

شكا القلب ظلمته في الحشى * الي فأسكنت فيه بدورا

وكانت تنزل ببغداد في القطيعة فاجتمع يوما هو وأبو تراب هبة الله بن السمريجي وكان شاعرا فقال بديها يخاطب الشريف

أسلوت حب بدور أم تجلد * وسهرت ليلك أم جفونك ترقد

فقال الشريف بديها

لا بل هم ألفوا القطيعة مثل ما * ألفوا نزواهم بها فتبعدوا

فقال أبو تراب

فالام تصبر والفؤاد متيم * ولظى اشتياقك فى الحشى يتوقد

فقال الشريف

مادام لى جلد فلست بجازع * اذ كان صبرى فى العواقب يحمد

فقال أبو تراب

أحسنت كتمان الهوى مستحسن * لو كان ماء العين مما يجمد

فقال الشريف

ان كان جفنى فاضحى بدموعه * اظهرت للجلساء أنى أرمد

فقال أبو تراب

فهب الدموع اذا جرت موهتها * فيقال لم انفاسه تتصعد

فقال الشريف

أمشى وأسرع كى يظنوا أنها * من ذلك المشى السريع تولد

فقال ابو تراب

هذا يجوز ومثله مستعمل * لكن وجهك بالمحبة يشهد

فقال الشريف

ان كان وجهى شاهدا بهوى نما * يدرى الى من بالمحبة أقصد

فقال أبو تراب

قد رجم الناس الظنون وأجمعوا * أن التى ذكرت اليها المقصد

فقال الشريف

لو يجمعون كما زعمت لما رووا * لى فى سواها ما نظمت وأنشدوا

فقال أبو تراب

قد كان حبك غيرها متحققا * والامر يحدث والهوى يتجدد

فقال الشريف

حققت حبى غيرها وجعلتها * مظنونة ذا كله لى جيد

فقال أبو تراب

لولم تقل أنفوا القطيعة جازأن * تنفي به بدر التمام وتجحد

فقال الشريف

ماقلت لي جلد نفيت به الهوى * عني ولكن ذلت في تجلد

فقال أبو تراب

فإلى متى هذا وطرف رقيبها * مغض وطيف خيالها متردد

فقال الشريف

أنا دائبا أبغي الوصال فان أبت * منه على عاداتها فاسأجهد

فقال ابو تراب

اخضع وذل لمن تحب فليس في * حكم الهوى انف يشال ويعقد

فقال الشريف

ذا لا يكون مع الحبيب وانما * مع ساقط متحمل يتعمد

أنبأني الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي والشيخ جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الانصاري المعروف بابن الحرستاني قاضي دمشق الآن أيدهما الله تعالى اجازة قالا اخبرنا الشيخ الفقيه الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي قراءة عليه ونحن نسمع قال أخبرنا أبو السعادات أحمد بن احمد بن عبد الواحد المتوكلي أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح الفارسي حدثنا محمد بن حميد الخزاز أخبرنا الصولي حدثني أبو الفضل بن مخلد بن ابان حدثنا اسحق الموصلي قال حدثنا الاصمعي قال أول ما تكلم به النابغة يعني الذبياني من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل وكان عمه يحب أن يحاضر به الناس ويخاف أن يكون عييا فوضع الرجل كاسا في يده وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها * وتحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة

قذاها أن صاحبها بخيل * يحاسب نفسه بكم اشتراها

(ومن ذلك) ماروى أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي ولم يكن جرير رآه قبل فقال الوليد أتعرف هذا ياجرير فقال لا ياامير المؤمنين فقال هو ابن الرقاع فقال جرير شر الثياب الرقاع فمن هو قال

قوله تنفي به الخ هكذا بالرفع فيه وفيما عطف عليه بناء على اهمال أن كما في قراءة بعضهم أن يتم الرضاعة برفع يتم أو على انها مخففة من الثقيلة تأمل اه

هو رجل من عاملة فقال جرير هو من الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة تصلى نارا حامية قال ويلك يا ملعون فأنشأ جرير يقول

يقصر باع العاملي عن الندى * ولكن اير العاملي طويل

فابتدر عدي فقال

أأمك يا ذا أخبرتك بطوله * أم أنت امرؤ لم تدر كيف تقول

فقال جرير امرؤ لم أدر كيف أقول فوثب عدي فأكب على رجل الوليد يقبلها ويقول أجرني منه يا امير المؤمنين فالتفت الوليد الى جرير وقال وتربة عبد الملك لئن هجوته لا لجمنك ولاسرجن عليك ولاطوفنك بدمشق فخرج جرير فصنع قصيدته التي أولها

حي الهدملة من ذات الاواعيس * فالحنو أصبح قفرا غير مأنوس

افتخر فيها بنزار وعدد أيامهم وهجا قحطان وعرض بعدي ولم يسمه فقال

أقصر فان نزارا لا يفاخرهم * فرع لئيم وأصل غير مغروس

وابن اللبون اذا مالز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

(ومن ذلك) مارواه عوانة بن الحكم ويحيى بن عيينة القرشي قالا اجتمع جرير والفرزدق عند بشر بن مروان فقال لهما انكما قد تعارضتما الاشعار وتطالبتما الاثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما فأما الهجاء فلا حاجة لي فيه ولكن جددا بين يدي فخرا ودعا مامضى فقال الفرزدق

نحن السنام والمناسم غيرنا * ومن ذا يسوي بالسنام المناسما

فقال جرير

على معقد الاستاه أنتم زعمتم * وكل سنام تابع للغلاصم

فقال الفرزدق

على محرض للفرث انتم زعمتم * الا ان فوق الغلصمات الجماجما

فقال جرير

وأنبأ تمونا انكم هام قومكم * ولا هام الا تابع للخراطم

فقال الفرزدق

فنحن الزمام القائد المقتدى به * من الناس مازلنا فلسنا لهازما

فقال جرير

قوله ذات الاواعيس الذي في القاموس ذات الاواعس فليحرر اه

قوله نحن السنام الخ هكذا في النسخ وفيه الخرم كما لا يخفى اه

ونحن

فنحن بنو زيد قطعنا زمامها * فشاءت كسار طائش الرأس عارم

فقال بشر يا جرير غلبته بقطعك الزمام وذهابك بالناقة ثم احسن جائزتهما وفضل جريرا (ومن ذلك) ما ذكره ابن سلام فى طبقات الشعراء قال اجتمع جرير والفرزدق والاخطل فى مجلس عبد الملك فأحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه فأيكم غلب فله الكيس فبدر الفرزدق فقال

أنا القطران والشعراء جربى * وفى القطران للجربى شفاء

فقال الاخطل

فان تك زق زاملة فانى * أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير

أنا الموت الذى آتى عليكم * فليس لهارب منى نجاء

فقال خذ الكيس فلعمرى ان الموت يأتى على كل شئ (ومن ذلك) ما روى أن جريرا اجتمع مع الفرزدق فى مجلس عبد الملك فقال الفرزدق النوار بنت مجاشع طالق ثلاثا ان لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدا ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو فقال

فانى أنا الموت الذى هو واقع * بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

وما احد يا ابن الاتان بوائل * من الموت ان الموت لا شك نائله

فأطرق جرير قليلا ثم قال أم حرزة طالق منه ثلاثا ان لم اكن نقضته وزدت عليه فقال عبد الملك هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس * بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد * فجئنى بمثل الدهر شيأ يطاوله

فقال عبد الملك فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك فقال الفرزدق فبارى امير المؤمنين فقال وايم الله لا تريم حتى تكتب الى النوار بطلاقها فتأتي ساعة فزجره عبد الملك فكتب بطلاقها وقال فى ذلك

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت يدى ونفسى * لكان الى للقدر الخيار

(وقد أفضى الحال الى ذكر خبر الكسعي الذي تمثل به الفرزدق في الندامة)

اذ الحديث شجون واللسان غير مسجون وهو أنه خرج يرعى ابلاله في واد فيه حمض وشوحط فرأى قضيب شوحط ناشئا في صخرة صماء ملساء فقال نعم منبت العود في قرار الجلمود ثم أخذ يسقاه وصب ما كان فيه من ماء في أصله فشربه لشدة ظمئه وجعل يتعاهده بالماء سنة حتى سبط العود وبسق واعتدل فقطعه وجعل يقومه ويتقوم اوده حتى صلح فبراه قوسا وهو يرتجز ويقول

أدعوك فاسمع يا الهي جرسي * يارب سددني لنحت قوسي

وانفع بقوسي ولدي وعرسي * فانها من لذتي لنفسي

انحتها صفراء لون الورس * صلداء ليست كقسي النكس

ثم برى بقيته خمسة أسهم وهو يرتجز ويقول

هن لعمري خمسة حسان * يلذ للرمي بها البنان

كأنما قوامها ميزان * فأبشروا بالخصب يا صبيان

ان لم يعقني الشؤم والحرمان * أو يرمني بكيده الشيطان

ثم أخذ قوسه وأسهمه وخرج الى مكمن كان مورد الحمر في الوادي فوارى شخصه حتى اذا وردت رمى عيرا منها بسهم فمرق منه بعد أن أنفذه وضرب صخرة فقدح منها نارا فظن انه قد أخطأ فقال

أعوذ بالله العزيز الرحمن * من نكد الجد معا والحرمان

مالي رأيت السهم فوق الصفوان * يرمي شرارا مثل لون العقيان

فاخلف اليوم رجاء الصبيان

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا فصنع سهمه كالاول فظنه أخطأ فقال

أعوذ بالرحمن من شر القدر * أأخطأ السهم لارهاف الوتر

أم ذاك من سوء احتيال ونظر * واني عهدي لرام ذو ظفر

مطعم بالصيد في طول الدهر

ثم وردت حمر أخرى فرمى عيرا منها بسهم ففعل سهمه كالاول وظنه أخطأ فقال

ياحسرتا للشؤم والجد النكد * قد شفني القوت لاهلي والولد

والله ما خلفت في ذاك العمد * لصبيتي من سبد ولا لبد

أذهب بالحرمان مع طول الامد

ثم وردت فصنع كالاول فقال

مابال سهمي يظهر الحباحبا * وكنت أرجو أن يكون صائبا
اذ أمكن العير وأبدى جانبا * وصار ظني فيه ظنا كاذبا
وخفت أن ارجع يومي خائبا * اذ أفلتت أربعة ذواهبا

ثم وردت اخرى فصنع كالاول فقال

أبعد خمس قد حفظت عدها * احمل قوسي وأريد ردها
اخزى الاله لينها وشدها * والله لاتسلم عندي بعدها
ولا أرجي ماحييت رفدها * قد اعذرت نفسي وأبات جهدها

ثم خرج من مكمنه فاعترضته صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها ثم قال ابيت لياتي ثم آتي اهلي فبات فلما أصبح رأى خمسة حمر مصرعة ورأى أسهمه مضرجة بالدم فندم على ماصنع وعض على أنامله حتى قطعها وقال

ندمت ندامة لوأن نفسي * تطاوعني اذا اقتلت نفسي
تبين لى سفاه الرأى مني * لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المفدى * لدي وعند صبياني وعرسي
فلم أملك غداة رأيت حولي * حمير الوحش أن ضرجت خمسي

(وقد روى في طلاق الفرزدق النوار غير هذا) وليس هذا موضع ذكره (وروى) الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة وغيره قال خرج جرير والفرزدق من العراق طالبي الرصافة لهشام بن عبد الملك وقد مدحاه فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير ليبول فتلفتت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال

علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي
متى تردى الرصافة تستريحي * من الانساع والدبر الدوامي

ثم قال لرواتهما الساعة يجيء ابن المراغة فانشدوه البيتين فينقضهما بأن يقول

تلفت انها تحت ابن قين * الى الكيرين والفاس الكهام
متى ترد الرصافة تخز فيها * كخزيك في المواسم كل عام

فرجع جرير فوجد القوم يضحكون فقال ما الخبر فقال له أحد الرواة يا أبا حرزة ان اخاك أبا فراس وقع له كيت وكيت وانشده البيتين الاولين فارتجل البيتين الآخرين فعجب القوم من ذلك الاتفاق وقالوا والله يا أبا حرزة لهكذا زعم انك

تقول فقال أوما علمتم أن شيطاننا واحد * (وروى) أن معن بن اوس المزنى كان قد قدم البصرة وجلس بالمربد ينشد الناس فوقف عليه الفرزدق وقال يامعن من الذى يقول

لعمرك ما مزينة رهط معن * بأخفاف يطأن ولا سنام

فقال معن هو الذى يقول

لعمرك ما تميم أهل فلج * بارداف الملوك ولا كرام

فقال الفرزدق حسبك فانما جربتك فقال قد جربت وأنت أعلم فانصرف عنه الفرزدق (وروى) فى مثل هذا أن خلف بن خليفة الشاعر كان قد سرق فقطعت يده فصنع كفا وأصابع من جلود واتفق أن مر بالفرزدق فى بعض الايام فأراد العبث به فقال يا أبا فراس من القائل

هو القين وابن القين لا قين مثله * لفطح المساحى أو لجدل الاداهم

فقال الفرزدق هو الذى يقول

هو اللص وابن اللص لا لص مثله * لنقب جدار أو لطر دراهم

فانصرف مخزيا (وروى لنا عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه قال) كنت فى مجلس عبد الملك والاخطل ينشده اذ دخل الجحاف بن حكيم السلمى فقطع الاخطل انشاده والتفت اليه وقال

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر * بقتلى أصيبت من سليم وعامر

قال فنفض الجحاف يده فى وجهه وقال

نعم سوف نبكيهم بكل مهند * ونبكى عميرا بالرماح الشواجر

وكان ذلك عقب مقتل عمير بن الحباب ثم قال لقد ظننت يا ابن النصرانية انك لا تجسر على بهذا القول ولو وجدتنى اسيرا فى يدك فابرح الاخطل حتى حم فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال هبك أجرتنى منه يقظة فمن يجيرنى منه منا ما فضحك عبد الملك قال على بن ظافر وجرى هذا القول يوم البشر على تغلب (ومن ذلك) ما رواه أبو عبيدة وابن عائشة من سؤال عبد الملك بن مروان عمر ابن أبى ربيعة المخزومى عن مناقضته للفضل بن عباس اللهبى وغلبة الفضل عليه فقال عمر بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن عباس بن عتبة بن ابى لهب فوافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

فأقبل علي وقال يا أخا بني مخزوم ان بلدة نج بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقربها بيت الله عز وجل لحقيقة بأن لاتقشعر لهشام وان أشعر من هذا البيت وأصدق قول الذى يقول

انما عبد مناف جوهر * زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه وقلت يا أخا بني هاشم وان أشعر من صاحبك الذى يقول

ان الدليل على الخيرات أجمعها * أبناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال اشعر والله من صاحبك الذى يقول

جبريل أهدى لنا الخيرات أجمعها * اذ أم هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت فى نفسي غلبني والله ثم حملني الطمع فى انقطاعه على مخاطبتي فقلت بل أشعر منه الذى يقول

أبناء مخزوم الحريق اذا * حركت نيرانه ترى ضرما

يخرج منه الشرار مع لهب * من حاد عن حره فقد سلما

فوالله ما تلعثم أن أقبل بوجهه وقال أشعر من صاحبك يا أخا بني مخزوم الذى يقول

هاشم بحر اذا همى وطمى * أخمد حر الحريق واضطرما

واعلم وخير المقال أصدقه * بأن من رام هاشما هشما

فقال يا أمير المؤمنين فتمنيت والله أن الارض ساخت بي ثم تجلدت وقلت يا أخا بني هاشم أشعر من صاحبك الذى يقول

أبناء مخزوم أنجم طلعت * للناس تجلو بنورها الظلما

تجود بالنيل قبل تسأله * جودا هنيأ وتضرب البهما

فأقبل علي أسرع من البرق وقال أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول

هاشم شمس بالسعد مطلعها * اذا بدت أخفت النجوم معا

اختار منها ربي النبي فمن * قارعنا بعد أحمد قرعا

فاسودت الدنيا فى عيني وأدبر بي فانقطعت فلم احر جوابا فقلت يا اخا بني هاشم ان كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما تسعنا مفاخرتك فقال كيف لا ام لك والله لو كان منك لفخرت به علي فقلت صدقت وأستغفر الله

والله انه لموضع الفخار صلى الله عليه وسلم ودا خلني السرور لقطعه الكلام ولئلا ينالني عجز عن اجابته فأفتضح ثم انه ابتدأ المناقضة فأفكر هنيهة ثم قال قد قلت فلم اجد بدا من الاستماع فقلت هات فقال

نحن الذين اذا سما الفخار هم • ذو الفخر أقعده الزمان القعدد

فافخر بنا ان كنت يوما فاخرا • تلق الالى فخروا بفخرك افردوا

قل يا ابن مخزوم لكل مفاخر • منا المبارك ذو الرسالة احمد

ماذا يقول ذووا الفخار هنا لكم • هيهات ذلك هل ينال الفرقد

فحصرت وتبلدت وقلت لك عندي جواب ثم أنظرني فأفكرت مليا ثم أنشأت أقول

لا تفخر الا قد علاه محمد • فاذا فخرت به فاني أشهد

أن قد فخرت وفقت كل مفاخر • واليك في الشرف الرفيع المعمد

ولنا دعائم قد بناها اوّل • في المكرمات جرى عليها المولد

من رامها حاشى النبيّ وأهله • بالفخر غطمطه الخليج المزبد

دع ذا ورح لغناء خود بضة • مما نطقت به وغنى معبد

مع فتية تندى بطون اكفهم • جودا اذا علج الحرون الانكد

يتناولون سلافة عانية • لذت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجابني بجواب كان أشد عليّ من الشعر فقال يا أخا بني مخزوم أريك السها وتريني القمر قال أبو عبد الله اليزيدي يريد أدلك على الامر الغامض وأنت لم تبلغ أن ترى الامر الواضح وهو مثل ثم قال تخرج من المفاخرة الى شرب الخمر المحرمة فقلت له أما علمت أصلحك الله أن الله تعالى يقول في الشعراء وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال قد صدقت وقد استثنى الله عز وجل قوما منهم فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا فان كنت منهم فقد دخلت في الاستثناء واستحققت العقوبة بدعائك اليها وان لم تكن منهم فالشرك بالله عز وجل عليك أعظم من الخمر فقلت اصلحك الله لا أرى للمستجدي شيئا أعظم من السكوت فضحك وقال استغفر الله ثم قام عني فضحك عبد الملك حتى كاد يموت ثم قال يا ابن أبي ربيعة أما علمت أن لبني عبد مناف ألسنة لا تطاق ثم قضى حوائج عمر وصرفه • وقال علي بن ظافر

وأحسب الحكاية مصنوعة لان أشعارها ضعيفة * (وروى) ورقاء العامرى أن الحجاج قال لليلى الاخيلية لما وفدت عليه ان شبابك قد هرم فولى واضمحل امرك وأمر توبة بن الحمير فأقسم عليك الا ما صدقتنى هل كان بينكما ريبة قط أوخاطبك فى ذلك قط فقالت لا والله أيها الامير الا انه قال لى مرة كلمة فيها بعض الخضوع فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ماحييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

فلا والله ما سمعت بعدها منه نغمة فيها ريبة حتى فرق الموت بيننا فقال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك فقالت وجه صاحبا له الى حاضرنا فقال اذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة * من الدهر لا يسرى الى خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه * عزيز علينا حاجة لا ينالها

(ومن ذلك) ماروى أبو صالح الفزارى قال أقبل شقران مولى سلامان من البصرة بتمر قد امتاره فلقيه ابن ميادة الرماح بن أبرد فقال له ما هذا الذى معك قال تمر امترته لاهلى يقال له زب رباح فقال ابن ميادة

كأنك لم تقفل لاهلك مرة * اذا أنت لم تقفل بزب رباح

فقال شقران

فان كان هذا زبه فانطلق به * الى نسوة سود الوجوه قباح

فغضب ابن ميادة وانحى عليه بالسوط يضربه ثم انصرف مغضبا * وكان المغيرة ابن حبناء يهاجى زياد الاعجم العبقسى وكان بالمغيرة وضح فقال فيه زياد يصف بياضه

عجبت لابيض الخصيين عبد * كأن عجانه الشعرى العبور

فقيل له يا أبا امامة لقد شرفته ورفعت من قدره اذ تقول كأن عجانه الشعرى فقال أوهكذا ظنكم لازيدنه شرفا ورفعة ثم صنع فيه من قطعة فقال

لا تبصر الدهر منهم خاريا أبدا * الا وجدت على باب استه قرا

واتفق أنهما اجتمعا يوما بمجلس المهلب فجرى بينهما مهاترة فقال المغيرة لزياد

أقول له وأنكر بعض ما بي * ألم تعرف رقاب بني تميم

فقال زياد

بلى لعرفتهن مقصرات * جباه مذلة وسبال لوم

فانقطع المغيرة * (ومن ذلك) ما ذكره المدائني قال كان ارطاة بن سهية المزني يهاجي الربيع بن قعنب فاجتمعا يوما للمهاترة والمناقضة فقال أرطاة للربيع

لقد رأيتك عريانا ومؤتزرا * فما دريت أأنثى أنت أم ذكر

فقال الربيع

لكن سهية تدري اذ أتيتكم * على عريجاء لما انحات الازر

فانقطع ابن سهية * (ويروى) ان صح وجود مجنون بني عامر أنه لما تزوجت ليلى عظم ذلك عليه واشتد همه وحزنه وأراد ابن عم له سفرا وكان طريقه على منزل ليلى فأتاه المجنون وقال له اذا مررت على منزل ليلى فارفع صوتك بهذا البيت قائلا

اما وجلال الله لو تذكرينني * كذكريك ما نهنهت للعين مدمعا

فلما بلغ منزلها صنع ما سأله اياه فخرجت ليلى اليه وقالت

بلى وجلال الله ذكرا لوانه * تضمنه صلد الصفا لتصدعا

قال علي بن ظافر والصحيح أن هذين البيتين من قصيدة للصمة القشيري ولكن نقلت هذه الحكاية من كتاب الاجوبة للقمي (روى) الحسن بن صاعد الكوفي قال حدثني خولان الاسدي قال نزلنا على ماء يعرف بماء السيالي ونزل بجانب الماء حي آخر فعلق رجل منا بامرأة من ذلك الحي فلما أزمعنا الرحيل أخذ الرجل غلاما منا فرواه هذا البيت وهو

وما بين ذا الحيين أن يتفرقا * من الدهر الا ليلة وضحاها

حتى حفظه وقال له قم بازاء ذلك البيت الذي فيه الجارية وردد هذا البيت واحفظ ما يرد عليك ففعل الغلام وكانت الجارية جالسة وفي حجرها رأس اخ لها كبير تفليه وأخ لها صغير يصلح شيأ فقالت

لقد كان في عيش رخي لو انه * حوى حاجة في نفسه فقضاها

فقال أخوها الصغير

أما سمع المغلي لا در دره * رسالة صب بالسلام نحاها

فقال الكبير

لحى الله من يلحى المحب على الهوى * ومن يمنع النفس اللجوج هواها

ثم دعا بالرجل فزوجه اياها * (وحدث المدائنى) قال كان بين يحيى بن زياد الحارثى وحماد الراوية ومعلى بن هبيرة ما يكون مثله بين الشعراء والرواة من المنافسة وكان معلى يحب أن يطرح حمادا فى لسان بعض الشعراء قال حماد فقال لى يوما بحضرة يحيى بن زياد أتقول لابى عطاء السندى قل زج وجرادة ومسجد بنى شيطان قال على بن ظافر وكان أبو عطاء يرتضخ لكنة سندية يجعل فيها الجيم زايا والشين سينا والطاء والضاد دالا والعين همزة والحاء هاء قال حماد فقلت ما تجعل لى على ذلك قال بغلتى بسرجها ولجامها قلت وعدلها على يحيى بن زياد ففعل وأخذت عليه بالوفاء موثقا وجاء أبو عطاء فجلس الينا وقال مرحبا هياكم الله فرحبنا به وعرضنا عليه العشاء فأبى وقال هل من نبيذ فأحضرناه فشرب حتى احمرت عيناه فقلت له يا أبا عطاء طرح علينا رجل ابياتا فيها الغز ولست أقدر على اجابته ففرج عنى فقال هات فقلت

أبن لى ان سئلت أبا عطاء * يقينا كيف علمك بالمعانى

فقال مسرعا

خبير الم فاسألنى تزد نى * بها دبا وآيات المثانى

فقلت فما اسم حديدة فى رأس رمح * دوين الكعب ليست بالسنان

فقال هو الزز الذى ان بات ديفا * لقلبك لم يزل لك أولتان

فقلت فما صفراء تدعى أم عوف * كأن رجيلتيها منجلان

فقال أردت زرادة وأدن دنا * بأنك ما قصدت سوى اسانى

فقلت أتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

فقال بنو سيطان دون بنى أبان * كقرب ابيك من ابد المدان

قال حماد ورأيت عينيه قد احمرتا وعرف الغضب فى وجهه فتخوفته فقلت يا أبا عطاء هذا مقام المستجير بك ولك النصف مما أخذت قال فأصدقنى فأخبرته الخبر فقال أولى لك سلمت وسلم لك جعلك وانقلب يهجو معلى بن هبيرة فأفحش وروى العسكرى هذه الحكاية على غير هذا السياق فذكر أن حماد الراوية وحماد عجرد وحماد بن الزبرقان وبكر بن مصعب الزهرى اجتمعوا فقالوا لو بعثنا

الى عطاء السندى ولم يذكر السبب الذى من اجله اقترح حماد على أبى عطاء ما اقترح وذكر البيت الثانى

تزدنى والقران بها عليا * بصيرا بالمقاطع والمبانى

وذكر البيت الثالث

فما اسم حديدة فى الرمح ترسا * دوين الصدر ليست بالسنان

وذكر البيت الثامن

وذلك مسجد لأناس قدما * بنو سلطان معروف المكان

مدح بشار بن برد يعقوب بن داود وزير المهدى فلم يعبأ به وحرمه فوفد عليه وطال مقامه ببابه وهو لا يأذن فاحتجب به فى بعض الايام فرفع بشار صوته فأنشد طال الوقوف على رسوم المنزل فأجابه يعقوب مسرعا وقال

فاذا تشاء أبا معاذ فارحل * فرحل بشار فهجاه بقوله فيه وفى المهدى

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناى والعود

وهجا اخاه صالح بن داود وكان قد ولى ولاية فسقط به المنبر فقال فيه من قطعة

هم حملوا فوق المنابر صالحا * اخاك فضجت من اخيك المنابر

فلما اشتهر هجاؤه دخل يعقوب على المهدى فقال يا أمير المؤمنين ان هذا المشرك هجاك بما لا استطيع أن اذكره فلم يزل المهدى به حتى كتب له قوله

خليفة يزنى بعماته * يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره * ودس موسى فى حر الخيزران

فجر ذلك الى قتل بشار بن برد *(وذكر أبو الفرج الاصبهانى فى كتاب القيان والمغنين قال كانت بالكوفة جارية مغنية يقال لها سعاد جارية السكونى وكان مولاها من الظرفاء وقيان طبقته مروءة وحسن عشرة ومساعدة فحضرت سعاد فى مجلس فيه مطيع بن اياس وحماد عجرد فقال مطيع

قبلينى سعاد بالله قبله * واسأليني بها فديتك نحله

فورب السماء لو قلت صل لوجهى جعلت وجهك قبله

فقالت الجارية لحماد اكفنيه فقال

ان خلا لها سواك وفيا * لا غدورا بها ولا فيه مله

لا يتباع التقبيل بيعا ولا ير * نى ولا يجعل التعاشق علة

فقال له مطيع هذا هجاء وما أرادت الجارية هذا كله ولقد اشتفيت منى على لسان غيرك فقالت الجارية وكانت ظريفة بارعة صدق ما أردنا أن نسبه فقال حماد

أنا والله أشتهى مثلها منـ * ـك ببذل والبذل فى ذاك حله

فأجيبى وأنعمى وخذى البذ * ل وأطفى لعاشق منك غله

قال فرضى مطيع وخجلت الجارية وقالت أنا عائذة بكما من شر كما فاكفيانيه وخذا فيما جئتماله * (حدث) المداينى قال كان عثمان بن شيبة مجلاوكان حماد عجرد يهجوه فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له

أعنى من غناك ببيت شعر * على فقرى لعثمان بن شيبه

فقال حماد مسرعا

فانك ان رضيت به خليلا * ملأت يديك من فقر وخيبه

فقال له الرجل جزاك الله خيرا فقد عرفتنى من أخلاقه ما قطعنى عنه وصنت ماء وجهى عن بذله له * (وروى) اسمعيل بن يحيى اليزيدى عن ابيه قال كنت جالسا أكتب كتابا فنظر فيه سلم الخاسر فقال

اى يحيى أخط من كف يحيى * ان يحيى بأيره لخطوط

قال فقلت مسرعا

أم سلم أدرى بذلك منه * انها تحت ايره لضروط

ولها تحته اذا ماعلاها * أزمل من وداقها وأطيط

ليت شعرى ما بال سلم بن عمرو * كاسف البال حين يذكر لوط

لا يصلى عليه حين نصلى * بل له عند ذكره تثبيط

قال فقال لى سلم مالك ويلك جنيت أى شئ دعاك الى هذا فقلت بدأت فانتصرت والبادى أظلم * وذكر أبو مروان صاحب كتاب المقتبس فى أبناء أهل الاندلس أن ابا المخشى عاصم بن زيد بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدى ابن زيد بن على العبادى شاعر الاندلس فى زمانه كان خبيث اللسان كثير الهجاء وهو الذى قطع هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان لسانه لانه عرض به فى قصيدة مدح بها أخاه أبا أيوب

المعروف بالشامى وكان بين الاخوين تباعد مفرط والبيت الذى عرّض فيه قوله

وليس كمن اذا ما سيل عرفا * يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام فى احدى عينيه نكتة بياض كجدّ أبيه هشام بن عبد الملك ثم اتفق لابى المخشى أن مدح هشاما ووفد عليه على ماردة وهو يومئذ يولى حربها لابيه فلما مثل بين يديه قال له يا عاصم ان النساء اللاتى هجوتهن لمعاداة اولادهن وهتكت أستارهن قد دعون عليك فاستجاب الله لهن فبعث عليك منى من يدرك منك ثارهن وينتقم لهن ثم أمر به فقطع لسانه ثم نبت بعد ذلك وتكلم به وكان أبو المخشى هذا يسكن بوادى سوس وكان بينه وبين ابن هبيرة مهاجاة شديدة فاجتمعا يوما للمناقضة فقال له ابن هبيرة وعيره بأن نسبه الى النصرانية لاجل أن آباءه كانوا انصارى بقوله

اقلفتك التى قطعت بسوس * دعتك الى هجاءى وانتقالى

والانتقال الشتم فقال أبو المخشى مسرعا

سألت وعند امك من ختانى * جواب كان يغنى عن سؤالى

فقطعه * وعلى ذكر أبى المخشى وقطع لسانه كان مالك رضوان الله عليه يفتى فى قطع لسانه رجل عمدا بقطع لسانه من غير انتظار ثم رجع لما انتهت اليه قصة أبى المخشى وانه نبت لسانه بعد أن قطع بمقدار سنة وأنه تكلم به فقال ينتظر سنة فقد ثبت عندى أن رجلا بالاندلس نبت لسانه بعد أن قطع فى نحو هذه المدة * ونقلت من خط الفقيه أبى محمد عبد الخالق المسكى قال بشار لعنان

عنان يامنيتى ويا سكنى * اما ترين اجول فى سككك

حرمت منك الوفا معذبتى * فجعلى بالسجل من صككك

انى ورب السماء مجتهد * فى حل ما قد عقدت من تككك

فقالت مجاوبة له

لم يبق مما تقول قافية * يقولها قائل سوى عككك

فقال

بلى وان شئت قلت فيشلة * تسكن الها نجات من حككك

قال على بن ظافر عنان لم يدركها بشار وانما كان يشاغبها أبو نواس ولهما فى مثل هذا أخبار كثيرة * وهذه القافية مما يعايابه * وعلى ذكرها كان بمصر

رجل زجلي كثير الوسخ قذر الجلدة والثوب لا تكاد تفارقه قفة فيها كراريس يعرف بالمفشراني ويلقب أديب القفة وكان يصنع مقامات مضحكة فيها غرائب وعجائب يزعم انه يضاهي بها مقامات الحريري وكان يقول أنا موازنه في كل شيء حتى في اسمه ولقبه هو أبو القاسم محمد وأنا أبو القاسم محمد وهو ابن علي وأنا ابن علي وهو الحريري وانا الحريري وهو البصري وأنا المصري ويجعل هذا من أوضح البراهين وأقوى الادلة على مساواته في كل قصيدة ومما أنشدنيه لنفسه في الزيادة على هذه القافية وانما ذكرته على سبيل الاطراف فلقد كان عجيب الشأن قوله

ياساجياً في بركك * وصائداً في شبكك
لا تحقرن ككي * فككي ككككك

والككة مركب من مراكب صعيد مصر ليس فيها مسمار * (وروى) أن أبا نواس خرج يوماً وهو مخمور الى الكناسة فاستقبله أعرابي ومعه غنم فقال له أبو نواس

أيا صاحب الذود اللواتي تسوقها * بكم ذلك الكبش الذي قد تقدما

فقال الاعرابي

ابيعكه ان كنت تبغي شراءه * ولم تك مزاحاً بعشرين درهما

فقال أبو نواس

أخذت هداك الله رجعي جوابنا * فأحسن الينا ان أردت تكرما

فقال الاعرابي

أحط من العشرين خمساً لانني * أراك ظريفاً فاخرجنها مسلما

فقيل للاعرابي أتدري من يكلمك منذ اليوم فقال لا فقيل أبو نواس فرجع فلحقه فحلف بصدقة غنمه ان لم يقبله (وروى) انه مر به أعرابي معه نعجة وكبش وجمل صغير فقال أبو نواس لمن معه ما رأيكم في تخجيله فقالوا الها افعل فقال

بكم النعجة التي * خلفها الكبش والجمل

فقال الاعرابي

بثلاثين درهما * جدد أبيعها الاجل

(وروى) انه دخل على عنان فكتب رقعة وناولها اياها فاذا فيها

ماذا تقولين فيمن * يريد منك نظيره

فكتبت تحتها عجلة

اياى تعنى بهذا * عليك فاجلد عميره

ثم ناولته الرقعة فكتب تحتها عجلا

اريد هذا واخشى * على يدى منك غيره

فخجلت وقالت تعست وتعس من يغار عليك (وروى) الجماز أنه دخل عليها بنبل تعاورفهما اذ أنشد

ان لى أيرا خبيثا * عارم الرأس قلوتا

لو رأى الحر بحر * عاد للغلمة حوتا

أو رآه فوق جو * انبرى حتى يموتا

أو رآه جوف بيت * صار فيه عنكبوتا

فقالت ارتجالا

زوجوا هذا بألف * واطن الالف قوتا

انى اخشى عليه * ان تمادى أن يموتا

بادروا ماحل بالمسكين خوفا أن يفوتا

قبل أن ينعكس الحال فلا يأتى ويوتى

فعجب الحاضرون منهما واستظرف كل منهما صاحبه ودامت صحبتهما بعد ذلك * (وروى) المدائنى قال اجتمع أبو نواس واسمعيل بن نوبخت وأبو الشمقمق فى بيت ابن اذين قال على بن ظافر وأبو عبد الله الجماز فبينما هم عنده اذ جاء أبو العتاهية يسأل عن ابن اذين وكان بينه وبين أبى الشمقمق شر فخبأوه من أبى العتاهية فى بيت ودخل أبو العتاهية فنظر الى غلام عندهم فيه تأنيث فظنه جارية فقال لابن أذين متى استطرفت هذه فقال قريبا يا أبا اسحق فقل فيها شيأ فمد أبو العتاهية يده الى الغلام وقال

مددت كفى نحوكم سائلا * ماذا تردون على السائل

فصاح أبو الشمقمق من داخل البيت قائلا

ترد فى كفك ذا فيشة * تشفى جوى فى استك من داخل

فقام أبو العتاهية مغضبا وهو يطلب الباب ويقول شمقمق والله وضحك القوم

حتى كادوا يملكون * (وذكر الخالديان) فى كتاب أخبار مسلم بن الوليد هذه الحكاية وذكرها غيرهما بأبسط مما ذكراها فكتبناها بلفظ الاكثر * قال دعبل ابن علي الخزاعي بينما أنا بباب الكرخ اذ أنا بقينة تسمى قرة معروفة بظرف وجمال وشعر وأدب وغناء وقد اجتازت فتعرضت لها وقلت

دموع عيني لها انبساط * ونوم عيني به انقباض

فقالت

وذا قليل لمن دهته * بسحرها الاعين المراض

فقلت

فهل لمولاي عطف قلب * أو للذى فى الحشى انقراض

فقالت مسرعة من غير تلبث

ان كنت تبغي الوصال منا * فالوصل فى ديننا قراض

قال دعبل فلا أعلم أني خاطبت جارية تقطع الانفاس بعذوبة ألفاظها وتختلس الارواح ببلاغة منطقها وتذهل الالباب برخيم نغمتها * مع تلاعة جيد ورشاقة قد وكمال عقل وبراعة شكل واعتدال خلق قبلها فحار والله البصر وذهل اللب وجل الخطب وتلجلج اللسان وتعقلت الرجلان وماظنك بالحلفاء أدنيت من النيران ثم ثاب الي عقلي وراجعني حلمي وذكرت قول بشار لا يؤيسنك من مخبأة * قول تغلظه وان جرحا

عسر النساء الى مياسرة * والصعب يمكن بعدما جمحا

هذا لمن حاول مادون الطمع فيه اليأس منه فكيف بمن وعد دون المسئلة وبذل قبل الطلبة فنقلتها من تلك القافية وقلت

اترى الزمان يسر نا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

فقالت مسرعة

ماللزمان تقول فيه وانما * انت الزمان فسر نا بتلاق

قال دعبل فاستتبعتها وذلك فى زمن املاقي فقلت ليس لي الا بيت مسلم بن الوليد صريع الغواني فصرت الى بابه فاستوقفتها وناديته فخرج فقلت أحمل اليك الخبر معي وجه مليح تقل له الدنيا بما فيها مع ما انا فيه من ضيقة وعسر فقال والله لقد شكوت ما كدت أبادرك بشكواه انتسبها فلما دخلت قال والله

ما املك سوى هذا المنديل فقلت هو البغية ناولنيه فقال خذه لا بارك الرحمن فيه فأخذته فبعته بدينار وكسر واشتريت به لحما وخبزا ونبيذا ثم صرت اليهما فاذا هما يتساقطان حديثا كأنه الدر فقال ما صنعت فأخبرته فقال كيف يصلح طعام وشراب وجلوس مع وجه مليح بغير نقل ولا ريحان ولا طيب اذهب فأ لطف بتمام ما كنت اوله قال فخرجت فاضطربت في ذلك حتى أتيت به فأتيت باب الدار مفتوحا فدخلت فلم أرلهما ولا لشيء مما كنت جئت به أثرا فأسقطت في يدي وقلت أرى صاحب الربع اخذهما وبقيت متلهفا حائرا أرجم الظن وأجيل الفكر سائر يومي فلما أمسيت قلت في نفسي افلا ادور في البيت لعل الطلب يوقعني على اثر فنعلت فوقعت في سرداب واذا بهما قد نزلا فيه وأنزلا معهما ما احتاجا اليه فلما أحسست بهما دليت رأسي ثم صحت مسلم ثلاثا فكان من اجابته أن غرّد بصوته وقال

بت في درعها وبات رفيقي * جنب القلب طاهر الاطراف

ثم قال دعبل ويلك من يقول هذا وقال

من له في حر امه الف اير * قد أنافت على علو مناف

قال فضحكا ثم سكتا واستجابت كلامهما فلم يجيباني بشيء وباتا في لذتهما وبت ليلة بقصر عمر الدنيا عن ساعة منها طولا وغما وهما حتى اصبحت ولم اكد نخرج الى مسلم وهي معه فجعلت أشتمه وأفترى عليه فلما اكثرت قال يا احمق منزلي دخلت ومنديلي بعت ودراهمي أنفقت فعلى من تترتب يا قواد فقلت مهما كذبت على فما كذبت في الحق والقيادة وانصرفت وتركتهما * (وذكر) صاحب كتاب نجباء الابناء أن الرشيد اطلع من مستشرف له على قصره فرأى ولده عبد الله المأمون يكتب على حائط وهو صغير فقال للخادم انطلق حتى تنظر ماذا يكتب عبد الله واحرص على أن لا يفطن لك فذهب الخادم فتسلل حتى قام من خلفه وهو مقبل على الحائط فنظر وعاد الى الرشيد فأخبره انه كتب

قل لابن حمزة ما ترى * في زرياج محكمه

ثم قال الخادم اني تسللت عليه حتى قمت من خلفه وهو لا يعلم لغلبة الفكر عليه فقال له الرشيد ارجع فسله عما يكتب فسيقول لك اني مفكر في التتميم على هذا البيت فقل له اكتب تحته

قال ابن حمزة يا بني هزلت مجتر يا فه
فانطلق الخادم فسأله فكان منه ما ظنه الرشيد فقعل الغلام ما أمره به
فأطرق المأمون قليلا ثم قال لولا أنك مأمور لم تنج من يدي
فرجع الخادم الى الرشيد فأخبره فقال نجوت ثم دعا ابن حمزة الكسائي
وقال له من اين علم عبد الله أن الخادم مأمور فقال الكسائي علمه من قوله
هزلت مجتر يا فه اذ كان الخادم لا يقدر على مخاطبته بذلك الا عن أمر
(وذكر أبو عبد الله) محمد بن عبدون الجهشياري في كتاب الوزراء قال ذكر أبو
الفضل بن عبد الحميد في كتابه أن الاحول المحرر شخص مع محمد بن يزداذ
عند شخوص المأمون الى دمشق وانه شكا يوما الى ابي هرون خليفة محمد
ابن يزداذ الوحدة والغربة وقلة ذات اليد فسأله في أن يسأل له ابن يزداذ أن
يكلم المأمون في امره فيبره بشيء ففعل أبو هرون ذلك ورأى محمد بن يزداذ من
المأمون طيب نفس فكلمه له وعطفه عليه فقال له المأمون أنا اعرف الناس
به انه لا يزال بخير ما لم يكن معه شيء فاذا رزق فوق القوت بذرة أفسده ذلك
ولكن قد أمرنا له لشفاعتك بأربعة الاف درهم فدعا ابن يزداذ بالاحول فعرفه
بما جرى ونهاه عن الفساد وأمر له بالمال فلما قبضه ابتاع غلاما بمائة دينار
واشترى سيفا ومتاعا وأسرف فيما معه حتى لم يبق معه شيء فلما رأى الغلام
ذلك أخذ كل ما كان في بيته وهرب فبقي عريانا بأسوأ حال فجاء الى ابي هرون
خليفة محمد بن يزداذ فأخبره فأخذ أبو هرون نصف طومار فكتب في آخره

فر الغلام فطار قلب الاحول * وأنا الشفيع وأنت خير مؤمل

ثم ختمه وقال له امض الى محمد بن يزداذ فمضى وأوصله اليه فلما رآه محمد قال له
ما في كتابك قال لا ادري قال وهذا من حمقك تحمل كتابا لا تدري ما فيه ثم فضه
فلم ير شيأ فجعل ينشره وهو يضحك حتى انتهى الى آخره فوقف على البيت
فكتب تحته

لولا تعبث احول بغلامه * كان الغلام ربيطة في المنزل

ثم ختمه وناوله اياه وأمره أن يرده الى خليفته فقال الله الله في جعلني الله
فداك ارحمني من الحالة التي قد صرت اليها فرق له ووعده أن يكلم المأمون
فكلمه وشرح له الحال ووصف له ضعف عقل الاحول ووهي عقدته فأمر

المأمون باحضاره فلما مثل بين يديه قال له يا عدو الله تأخذ مالى وتشترى به غلاما حتى يفر منك فارتاع لذلك وتلجلج لسانه فقال جعلنى الله فداك ما فعلت فقال ضع يدك على رأسى واحلف أنك لم تفعل فارتاع وجعل ابن يزداذ يأخذ بيده لذلك والمأمون يضحك ويشير اليه أن يحبها ثم امر باجراء رزق واسع له كل شهر ووصله مرة بعد مرة حتى اغناه الله لانه كان يعجبه خطه (انبأنا الفقيه الحافظ التقى أبو محمد عبد الخالق المسكى اجازة انبأنا الحافظ السلفى اجازة أنبأنا أبو محمد جعفر بن احمد السراج اللغوى وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستانى الحافظ قال اخبرنا التجيرمى أبو يعقوب حدثنا المهلبى قال لما حضرت المأمون الوفاة جلست عند رأسه جارية كان بها مشغوفا وقد أخذته غشية فجعلت تبكيه وأنشأت تقول

يا ملكا لست بناسيه * وليتنى بالنفس افديه

فافاق من غشيته ونظر اليها وأنشأ يقول

يا كيتى من جزع أقصرى * قد غلق الرهن بما فيه

(ومن حسن الجواب بالشعر بديها) ماروى طماس قال جاء ابن دنفش الحاجب الى دار محمد بن عبد الملك الزيات يستدعيه وقد كان المعتصم طلبه فدخل المجلس ليلبس ثيابه فرأى ابن دنفش فى صحن الدار غلاما له رونق فقال وهو يظن أن محمد بن عبد الملك لا يسمعه

وعلى اللواط فلا تلومن كاتبا * ان اللواط سجية الكتاب

فقال محمد مسرعا

وكما اللواط سجية الكتاب * فكذا الحلاق سجية الحجاب

فاستحيا ابن دنفش واعتذر بأن هذا شئ جرى على لسانه من غير قصد فقال له محمد بن عبد الملك انما يحسن الاعتذار اذا لم يقع القصاص * (وذكر الصولى) فى كتاب الوزراء قال حدثنا محمد بن موسى اليزيدى قال دخل الحسن ابن وهب على محمد بن عبد الملك وهو فى بستان له وأقبل غلام لمحمد بن عبد الملك حسن الوجه فقال للحسن أجز

كيف ترى هذا الغلام الذى * أقبل يحكى البدر فى المطلع

فقال الحسن

لاتسألني يا ابا جعفر * عن مثله فى مثل ذا الموضع

فقال أبو الجهم أحمد بن سيف وكان حاضرا

أتيت والله بها جملة * وخمة المربع والمرتع

فقال الحسن يعرض بأبى الجهم

اذا ما حامت العقبان يوما * تسترت الجوارح بالغياض

فقال ابو الجهم يجيبه

ألم يخفق فؤادك يا ابن وهب * لذكرى دون رميك فى عراضى

وهل ثبتت عقاب فى مكان * اذا نسر تحامل فى انقضاض

فأقسم عليهما محمد بأن يمسكا وأقبل يردد بيت الحسن الذى اوله لا تسألني

فقال الحسن

نعم وان احببت ياسيدى * فسرت ما اجملته فاسمع

فقال محمد

ان كنت تهواه فخذه فقد * جدت لك الآن به فاقطع

فقال الحسن

ان كنت تهوى الصدق فأذن له * يخرج اذا حان خروجى معى

قال اخرج معه يا غلام فأنت له (وروى) على بن الجهم قال كنت يوما عند فضل الشاعرة فلحظتها لحظة رابتها فقالت

يارب رام حسن تعرضه * يرمى ولا اشعر أنى غرضه

فقلت

اى فتى لحظك ليس يرضه * واى عهد محكم لا ينقضه

فضحكت وقالت خذ فى غير هذا الحديث وكان أبو الفضل بن المضا أحد أمراء بنى الاغلب يخضب فأنشده يوما ابو شهراحيل شريح بن عبد الله بن غانم بن العاص يعرض به

لعمرك ما الخضاب اذا تولى * شباب المرء الا كالسراب

فقال يعقوب يجيبه بديها

فلا تعجل رويدك عن قريب * كأنك بالمشيب وبالخضاب

(وذكر الصولى) فى كتاب الوزراء حدثنى محمد بن العلاء السجزى قال دخل

ابو ناضرة الى عبيد الله بن سليمان فقال

ايظعن فى جملة الظاعنين * غدا ام يقيم أبو ناضره

فقال الوزير

يقيم بقيم على رغمه * وصفاق لحيته الوافره

فقال عبيد الله بن الفرج كاتب عبيد الله سرا

ويصفع من غير ما حشمة * وتزنى حليلته الفاجرة

وذكر ابو على التنوخى فى كتاب نشوان المحاضرة قال حدثنى محمد بن الحسن البصرى قال حدثنى الهمدانى الشاعر قال قصدت ابن الشلمغانى فى مادرايا فأنشدته قصيدة قد مدحته بها وتأنقت فيها وجودتها فلم يحفل بها فكنت اغاديه كل يوم وأحضر مجلسه الى أن يتقوض الناس فلا أرى لثواب طريقا فحضرته يوما وقد احتشد مجلسه فقام شاعر فأنشد نونية الى أن بلغ فيها الى بيت وهو

فلت الارض كانت مادرايا * ولت الناس آل الشلمغانى

فعن لى فى الوقت هذا البيت فقمت وقلت مسرعا

اذا كانت بطون الارض كنفا * وكل الناس أولاد الزوانى

فضحك وأمرنى بالجلوس وقال نحن أحوجناك الى هذا وأمر لى بجائزة سنية فأخذتها وانصرفت (وكان) ابو عمر احمد بن عبد ربه صديقا لابى محمد يحيى القلفاط الشاعر ثم فسد ما بينهما وتهاجيا وكان سبب الفساد بينهما أن ابن عبد ربه مر به يوما وكان فى مشيته اضطراب فقال يا ابا عمر ما علمت أنك آدر الا اليوم لما رأيت مشيتك فقال له ابن عبد ربه كذبتك عرسك أبا محمد فعز على القلفاط كلامه وقال له أتتعرض للحرم والله لاريتك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة اولها

يا عرس احمد انى مزمع سفرا * فودعينى سرا من أبى عمرا

ثم تهاجيا بعد ذلك وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان اطلس لا لحية له ويسمى كتاب العقد حبل الثوم فاتفق اجتماعهما يوما عند بعض الوزراء فقال الوزير للقلفاط كيف حالك اليوم مع أبى عمر فقال مرتجلا

حال طلاس لى عن رأيه * وكنت فى قعدد أبنائه

فبادره ابن عبد ربه فقال

ان كنت في قعدد أبنائه * فقد سبق اقتك من مائه

فاقطع القلقاط خجلا (أنبأنا) الشيخ النبيه الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن ابي عبد الله محمد ابن ابي نصر بن عبد الله الحميدي قال اخبرني أبو محمد علي بن احمد الفقيه ابن حزم قال اخبرني الحسن علي بن محمد بن ابي الحسن قال وجدت بخط ابي قال امرنا الحاكم المستنصر بالله بمقابلة كتاب العين للخليل بن احمد مع ابي علي اسمعيل بن القاسم البغدادي وابي سعيد في دار الملك التي بقصر قرطبة وأحضر من الكتاب نسخا كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد التي رواها بمصر عن ابن ولاد فنزلنا صدرا من الكتاب بالمقابلة فدخل علينا المستنصر في بعض الايام فسألنا عن النسخ فقلنا له ان نسخة القاضي التي كتبها بخطه محرفة وأرينا مواضع مغيرة وأبياتا مكسورة وأسمعناه ألفاظا مصحفة ولغات مبدلة فعجب من ذلك وسأل اباعلي فقال له نحو ذلك واتصل المجلس بالقاضي فكتب الى المستنصر رقعة فيها

جزى الله الخليل الخير عنا * بأفضل ما جزى فهو المجازي

وما خطا الخليل سوى المغيلي * وعضرو طين في دار الطراز

فصار القوم زرية كل زار * وسخرية وهزأة كل هاز

فلما دخلنا على المستنصر قال انا أما القاضي فقد هجاكم وناولنا الرقعة بخط القاضي وكانت تحت شئ بين يديه فقرأناها وقلنا يا مولانا نحن نجل مجلسك الكريم عن انتقاص احد فيه لا سيما مثل القاضي في سنه ومنصبه فان احب مولانا أن يقف على حقيقة ما استدركناه فليحضره وليحضر الاستاذ أبا علي ثم نتكلم على كل كلمة استدركناها عليه فقال قد ابتدأكم والبادى أظلم وليس على من انتصر لوم قال ابي فمددت يدي الى الدواة وكتبت بين يديه

هلم فقد دعوت الى البراز * وقد ناجزت قرنا ذا نجاز

ولا تمش الضراء فقد اثرت * الأسود الغاب تخطو باحتفاز

وأصحر للقاء تكن صريعا * تناضي الحتف مقول جراز

رويت عن الخليل الوهم جهرا * لجهلك بالحقيقة والمجاز

دعوت له بخير ثم اخنت * يداك على مفاخره العزاز

ثم ـذ مها وتجعـل ماعلاها * اسافلها استجزيك الجوازى
جزى الله الامام العدل عنا * جزاء الخير فهوله مجازى
به وريت زناد العـلم قدما * وشرف طالبيه باعـتزاز
وجلى عن كتاب العين دجنا * واظلاما بنورذى امتياز
باستاذ اللغات أبى عـلى * واخدان بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصـيروه * من التصحيف فى ظل احتراز

قال الحميدى وأسقطنا نحن منها أبياتا تجاوزالحد فيها قال ثم انشدتها المستنصر بالله فضحك وقال قد انتصرت وزدت وأمر بها فختمت ثم وجه بها الى القاضى فلم تسمع له بعد كلمة (أنبأنا) الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكى قال نزلت من قرافة مصر لوداع الشيخ الاجل أبى الحسين بن جبير فقال لى كنت على المجىء اليك ففات وهمة سيدنا هى التى اتت بى فسألنى عن القرافة فقلت هى موضع يصلح للخير والشر من طلب شيأ وجده فقال خذ هذه الحكاية قال لى بعض مشايخنا عن ابن الفرضى كنت فى موضع يتفرج فيه وبت به ثم اقبلت باكرا منه فلقينى بعض من يقرأ على فقال

من اين اقبلت يامن لانظيرله * ومن هوالشمس والدنيا له فلك

فأجبته مسرعا

من موضع تحجب النسال خلوته * وفيه سترعلى الفتاك ان فتكوا

(قال بديع الزمان الهمذانى) كنت عند الصاحب كافى الكفاة ابى القاسم اسمعيل بن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب وهى

غنينا بالطبول عن الطلول * وعن عنس عـذافرة ذمول
وأذهلنى عقار عن عقار * ففى است ام القضاة مع العدول
فلست بتارك ايوان كسرى * لتوضح أولحومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب * بها يعوى وليث وسط غيل
يسلون السيوف لرأس ضب * حراشا بالغداة وبالاصيل
اذا ذبحوا فذلك يوم عيد * وان نحروا ففى عرس جليل
امالولم يكن للفرس الا * [illegible]ار الصاحب القرم النبيل

لكان لهم بذلك خير فخر * وجيلهم بذلك خير جيل

فلما وصل الى هذا الموضع من انشاده قال له الصاحب قذالك ثم اشرأب ينظر الى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالسا فى زاوية من البهو فلم يرنى فقال ابن ابى الفضل فقمت وقبلت الارض وقلت امرك قال أجب عن ثلاث قلت وما هى قال ادبك ونسبك ومذهبك فأقبلت على الشاعر فقلت لا فسحة للقول ولا راحة للطبع الا السرد كما تسمع ثم انشدت أقول

أراك على شفا خطر مهول * بما أودعت لفظك من فضول

تريد على مكارمنا دليلا * متى احتاج النهار الى دليل

ألسنا الضاربين جزى عليكم * وان الجزى أولى بالذليل

متى قرع المنابر فارسى * متى عرف الاغر من الحجول

متى عرفت وأنت بها زعيم * اكف الفرس أعراف الخيول

فخرت بملء ماضغتيك هجرا * على قحطان والبيت الاصيل

وتفخر أن مأكولا وابسا * وذلك فخر ربات الحجول

ففاخرهن فى خدّ أسيل * وفرع فى مفارقها رسيل

وأمجد من ابيك اذا تزيا * عراة كالليوث على الخيول

قال فلما تممت انشادى التفت اليه الصاحب وقال له كيف رأيت قال لو سمعت به ما صدقت قال فاذن جائزتك جوازك ان رأيتك بعدها ضربت عنقك ثم قال لا أدرى أحدا يفضل العجم على العرب الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه قال العميد أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى فى كتابه المعروف بدمية القصر وعصرة اهل العصر جرى بين القاضى ابى سعيد على ابن عبد الله الناصحى وبين الحاكم أبى سعد دوست مبادهة قال له القاضى

وما وصل الكتاب الىّ حتى * اجبت الى الذى استدعاه منى

فقال أبو سعد

جزاك الله عن مولاك خيرا * وخفف ثقل هذا الشكر عنى

فقال القاضى

وأولى الشيخ عزا مستفادا * وحقق فيه ما مولى وظنى

فقال ابو سعد

وكم لك نعمة من غير ذكر * وكم لك منة من غير من

(وكان) حسان بن عجل الكلبي المعروف بعرقلة اعور وكان يجلس على حانوت خياط بدمشق يعرف بأبي الحسين الاعرج وكان له طبع في قول الشعر فقال له عرقلة يوما يداعبه

الاقل للرقيع ابي الحسين * اراني الله عينك مثل عيني

فقال الاعرج مجاوبا له

الاقل لابن كاب لا ابن عجل * أراني الله رجلك مثل رجلي

فخجل عرقلة من قوله وانصرف

(الباب الثالث في بدائع بدائه الاجازة)

الاجازة أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه مايكون به تمامه وكماله وقد يكون بين متعاصرين وغير متعاصرين وهي مشتقة من الاجازة في السقي يقال أجاز فلان فلانا اذا سقاه أو سقى له فكأنهم شبهوا عمل الشاعر المجيز على الشاعر المجاز شعره بسقي الشخص للشخص قال يعقوب بن السكيت يقال للذي يرد الماء مستجيز وأنشد

وقالوا امقيم قيم الماء فاستجز * عبادة ان المستجيز على قتر

قال أبو علي حسن بن رشيق مولى الازد ويجوز أن يكون من اجزت عن فلان الكاس اذا صرفتها عنه دون أن يشربها الى من يليه وكأنهم شبهوا الشاعر لما تعدى اتمام شعره بمجيز الكاس قال أبو نواس

وقلت لساقيها أجزها فلم يكن * ليَنهى امير المؤمنين وأشربا

فجوزها عني عقارا ترى لها * على الشرف الاعلى شعاعا مطنبا

وقد ذكرنا أن الاجازة تكون بين عصريين وغير عصريين ونحن الآن نجعلها لك في فصلين ونذكر ماورد في كل فصل من الاخبار على ترتيب الاعصار وهو شرطنا في هذا الكتاب

(الفصل الاول في اجازة الشاعر لمعاصره) فمن هذا القسم ماتكون الاجازة فيه بقسيم لقسيم كما روى الزبير بن بكار قال استنشد عبد الله بن عباس رضوان الله عليه عمرو بن ابي ربيعة فأنشده تشط غدا دار جيراننا فبدره ابن عباس فقال وللدار بعد غد أبعد فقال له عمرو كذلك قلت اصلحك الله افسمعته قال لا ولكن

كذلك ينبغي أن يكون * (وروى) عمران بن عبد العزيز الزهري أن عمرو بن ابي ربيعة شبب بزينب بنت موسى اخت قدامة بن موسى الجمحي وكان سبب تشبيبه بها أن ابن ابي عتيق ذكرها له فأطنب في وصفها بالحسن والجمال فصنع فيها قصيدته التي أولها

يا خليلي من ملام دعاني * وألما الغداة بالاظعان

فبلغ ذلك ابن ابي عتيق فلامه في ذكرها فقال له

لا تلمني في ذكرها ابن عتيق * ان عندي عتيق ما قد كفاني

لا تلمني فأنت زينتها لي فبدره ابن عتيق فقال أنت مثل الشيطان للانسان فقال عمر وهكذا ورب الكعبة قلتم فقال ابن عتيق ان شيطانك ورب العزة ربما ألم بي فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب منك وأصيب منه (ومن ذلك) ما روى ابو عبيدة أن راكبا اقبل من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس فقال له من اين اقبلت قال من اليمامة فقال هل احدث ابن المراغة بعدي من شئ قال نعم قال هات فانشد

هاج الهوى بفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق فانظر بتوضح باكر الاحداج

فأنشد الرجل هذا هوى شغف الفؤاد مبرح

فقال الفرزدق ونوى تقاذف غير ذات خداج

فأنشد الرجل ان الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق بنوى الاحبة دائم التشحاج

فقال الرجل هكذا والله قال أفسمعتها من غيري قال لا ولكن هكذا ينبغي أن يقال أوما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال أمدح بها الحجاج قال نعم قال اياه أراد (ومن ذلك) ما اخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الخالق المكي اخبرنا أبو طاهر السلفي اجازة أنبأنا أبو صادق مرشد بن يحيي بن القاسم المديني قال كتب الي القاضي أبو الحسين علي بن محمد بن صخر الازدي أن أبا القاسم عمر بن محمد بن سيف أذن لهم في الرواية عنه اخبرنا أبو خليفة عن ابن سلام قال قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن عبد الاعلى اتمم هذا البيت وأنت اشعر العرب

نروح ونغدو كل يوم وليلة فقال مجيبا وعما قليل لا نروح ولا نغدو

(ومن ذلك) ماروى سلمة النميرى قال حضرت مجلس هشام بن عبد الملك وبين يديه جرير والفرزدق والاخطل فأحضرت بين يدى هشام ناقة فقال انخها مابدالى ثم ارحلها ايكم أتمه كما اريد فهى له فبدر جرير فقال

كأنها معتق تعدو بصحراء فقال لم تصنع شيأ فقال الفرزدق

كأنها كاسر بالدو فتخاء فقال ولا أنت فقال الاخطل

ترخى المشافر واللحيين ارخاء فقال اركبها الاحملك الله (ومن ذلك) ماروى أن بعض الشعراء قال لابى العتاهية أجز

برد الماء وطابا فقال أبو العتاهية حبذا الماء شرابا (ومن ذلك) ماروى عن دعبل بن على الخزاعى أنه قال كنت أناو محمد بن وهب نسمر عند معقل بن عيسى بن ادريس العجلى اخى أبى دلف فطلعت الثريا الليلة فقال معقل أجيزوا

أماترون الثريا فبدر محمد بن وهب فقال كأنها عقد ريا (ومن ذلك) ماروى حماد بن اسحق عن ابيه قال قلت وصف الصد لمن اهوى فصد ثم اجبات فمكثت عدة ليال لااقدر على تمامه فدخل على عبد الله بن عمار فرآنى مفكرا فقال لى ماقصتك فأخبرته فقال فى الحال وبدا يمزح بالهجر فجد قال اسحق ثم تممتها بعد فقلت

ماله يعدل عنى وجهه * وهو لا يعدله عندى احد

(ومن ذلك) ماروى محمد بن داود بن الجراح قال كان ابو تمام حبيب بن اوس الطائى عند الحسن بن وهب فدخل عليهما ابو نهشل بن حميد فلما رآه أبو تمام قال اعضك الله أبا نهشل ثم قال للحسن أجز فقال بخدريم ابيض اكحل ثم قال أجز أبا نهشل فقال

تطمع فى الوصل فان رمته * صار مع العيوق فى منزل

وهذا فيه اجازة بيت ببيت (ومن ذلك) ماروى النميرى قال دخل أبى على المعتز بالله وكان من جلسائه فوقع بين الجلساء تنازع فنهاهم حتى اضجروه قال النميرى فقال له ابى عادتك الصفح والذنوب لنا فقال المعتز كذا فعل العبيد والملك (وذكر) عبيد الله بن احمد بن ابى طاهر فى تاريخه الذى ذيل به كتاب ابيه قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم انه اول ماقال الشعر حضر أبو الصقر

اسمعيل بن بلبل عند ابيه في مجلس فيه أبو عبد الله احمد بن ابي فنن ووالدي احمد ابن ابي طاهر وجماعة من اهل الادب فاستنشدني أبو الصقر شيأ من شعري فانشدته فاستنكره أبو الصقر ثم قال اريد أن أمتحنك في شي تجيزه فقلت له ذلك لك ففكر ثم قال أنت غلام شاعر خبيث فقلت من غير تلبث انت امرؤ بجوده يغيث * يجهل ما يعطي ولا يريث * لك القديم ولك الحديث فقال أبو عبد الله بن أبي فنن اذهب يا غلام فأنت اشعر الاولين والآخرين ثم حضرت المائدة وحضر عليها كباب رشيدي فقال ابن أبي فنن

كباب رشيدي اذا ما رأيته ثم قال أجز فقلت وان كنت شبعانا قرمت الى الاكل ثم قال ابن أبي فنن ما سمعت أحسن من هذا ما لهذا الصدر عجز أولى به من هذا وهذه الحكاية صدرها من باب الاجوبة وآخرها من هذا الباب (وذكر) الرئيس هلال بن المحسن بن الصابي في كتاب الوزراء والكتاب قال حدث أبو الفرج الاصبهاني قال سكر الوزير المهلبي ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي يا أبا الفرج أنا أعلم انك تهجوني سرًا فاهجني الساعة جهرا فقلت الله الله في ايها الوزير ان كنت قد ثقلت عليك فخبرني فلا اعود اجيبك ابدا وان كنت تريد قتلي فبالسيف اهون فقال دع هذا فلا بد والله أن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت اير بغل مكوكب فبدر فقال في حر ام المهلبي هات مصراعا آخر فقلت الطلاق لازم لي ان زدت على هذا كلمة (وروى) عبد الجبار بن حديس الصقلي قال صنع عبد الجليل بن وهبون المرسي الشاعر لنا نزهة بوادي اشبيلية فألفينا فيه يومنا فلما دنت الشمس للغروب هب نسيم ضعيف غضن وجه الماء فقلت للجماعة أجيزوا حاكت الريح من الماء زرد فأجازه كل بما تيسر له فقال لي أبو تمام غالب بن رباح الحجام كيف قلت يا أبا محمد فأعدت القسيم له فقال أي درع لقتال لو جمد خفظ القسمان وتني ما عداهما * قال علي ابن ظافر وقد أنبأني الفقيه أبو محمد المنكي اجازة قال كتب الي الحافظ السلفي أنشدني أبو الفضل أحمد بن عبد الكريم بن مقاتل المقري الصنهاجي بالاسكندرية قال أخبرني محمد بن حديس قال كنا مع المعتمد بن عباد بحمص الاندلس فخرج على اضاة قد راح عليها الصبا فأبدت على وجه الماء مثل الزرد فقال نسج الريح على الماء زرد وطلب الاجازة من شعرائه فلم يجبه أحد

فقلت أنا أى درع لقتال لو جمد فاستحسن ذلك منى وكنت وقت الانشاد رابعا فجعلنى ثانيا وأمر لى بجائزة سنية (قال) على بن ظافر والحكاية الاولى منصوصة فى ديوان احمد بن حديس الذى دونه لنفسه وهو موجود فى ايدى الناس والحكاية الثانية رويناها من هذا الطريق وقد نقله ابن حديس الى غير هذا الموصوف فقال

نثر الجو على الترب برد * أى در لنحور لو جمد

فناقض المعنى بقوله البرد وقوله لو جمد اذ ليس البرد الا ما جمد البرد اللهم الا أن يريد بقوله لو جمد لو دام جموده فيصح ويبعد عن التحقيق * ومثل هذا قول المعتمد بن عباد يصف فوارة

ولربما سلت لنا من مائها * سيفا وكان عن النواظر مغمدا
طبعته لجينا فزانت صفحة * منه ولو جمدت لكان مهندا

قال على بن ظافر وقد أخذت أنا هذا المعنى فقلت أصف روضا

فلو دام ذاك الذوب كان زبرجدا * ولو جمدت أنهاره كن بلورا

وهذا المعنى مأخوذ من قول على بن التونسى الايادى من قصيدته الطائية المشهورة الؤلؤ قطر هذا الجو أم نقط * ما كان احسنه لو كان يلتقط

وهذا المعنى كثير للقدماء * قال على بن الرومى من قطعة فى العنب الرازقى

لو أنه يبقى على الدهور * قرط آذان الحسان الحور

(أنبأنا) الشيخان الاجل العلامة أبو اليمن تاج الدين الكندى والشيخ الفقيه جمال الدين بن الحرستانى اجازة عن الامام الحافظ ابى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر سماعا قال أنبأنا أبو الفرج غيث بن على الصورى حدثنى ابى قال سمعت بكار بن على الرياحى بدمشق يقول لما وصل عبد المحسن الصورى الى هنا جاء فى المجدى الشاعر فعرفنى به وقال هل لك فى أن نمضى اليه ونسلم عليه فأجبت وقمت معه حتى أتينا الى منزله وكان ينزل دائما اذا قدم فى سوق القمح وكان بين يديه دكان قطان وفيها رجل اعمى فوقفت به عجوز كبيرة فكلمها بشىء وهى منصتة له فقال المجدى فى الحال منصتة تسمع ما يقول فقال عبد المحسن فى الحال كالخلد لما قابلته الغول فقال له المجدى احسنت والله يا أبا محمد أتيت بتشبيهين فى نصف بيت اعيذك بالله * قال على بن ظافر

واخبرنى

وأخبرني من اثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي اليحصبي القرموني الزجال بجامعنا هذا قال ركب المعتمد على الله أبو القاسم بن عباد للتنزه بظاهر اشبيلية في جماعة من ندمائه وخواص شعرائه فلما أبعد أخذ في المسابقة بالخيول فجاء فرسه بين البساتين سابقا فرأى شجرة تين قد اينعت وزهت وبرزت منها ثمرة قد بلغت وانتهت فسدد اليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت في اعلاها فأطربه ما رأى من حسنها وثباتها والتفت ليخبر من لحقه من اصحابه فرأى ابن حاج الصباغ أول لاحق به فقال أجز كأنها فوق العصا فأجابه مسرعا هامة زنجي عصي فزاد طربه وسروره بحسن ارتجاله وأمر له بجائزة سنية * قال علي بن ظافر وأخبرني ايضا أن سبب اشتهار ابن حاج هذا أن الوزير أبا بكر ابن عمار كان كثير الوفادة على ملوك الاندلس لا يستقر ببلد ولا يستفزه عن وطره وطن وكان كثير التطلب لما يصدر عن ارباب المهن من الادب الحسن فبلغه خبر ابن حاج هذا قبل اشتهاره فمر على حانوته وهو آخذ في صباغته والنيل قد جر على يده ذيلا وأعاد نهارها ليلا فأراد أن يعلم سرعة خاطره فأخرج زنده ويده بيضاء من غير سوء وأشار الى يده فقال

كم بين زند وزند فقال ما بين وصل وصد فعجب من سرعة ارتجاله مع مضيه في عمله واستجاله وجذب بضبعه وبالغ في الاحسان اليه غاية وسعه * وأخبرني ايضا انه دخل سرقسطة فبلغه خبر يحيى القصاب السرقسطي فمر عليه ولحم خرفانه بين يديه فأشار ابن عمار الى اللحم وقال

لحم سباط الخرفان مهزول فقال يقول للمفلسين مه زولوا * وأخبرني الشيخ الاجل الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد القرطبي ايده الله قال قال ابو محمد عبد المؤمن بن علي صاحب قرطبة والمغرب يوما في مجلسه وقد عوفي من مرض الحمد لله رب العالمين على ثم طلب اجازته من اهل المجلس فلم يجبه احد فقال ابو العباس ابن حيوس برء الامام الذي في الآمنين علا قال لي الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب عمر بن دحية صنع شيخنا قاضي الجماعة أبو العباس بن مضاء اجازة له برء الامام الذي في الناس قد عدلا ثم عمل فيها أبياتا * واخبرني الاجل شهاب الدين يعقوب ابن اخت الوزير الملك العزيز رحمهما الله تعالى قال اخبرني البهاء الحسن علي بن محمد الخراساني المعروف بابن الساعاتي قال سايرت

الفقيه مرتضى الدين نصر الشيرازي رحمه الله تعالى يجري من الحديث ما أوجب أن قال ان هذي النفوس للموت تسعى فاستجازني فقلت فاذا قيل مات لم يك بدعا (وأخبرني) القاضي الموفق بهاء الدين أبو علي بن الديباجي الكاتب قال أنشدني القاضي السعيد أبو القاسم بن سناء الملك رحمه الله تعالى

اذا مت مهجورا فلا عاش عاشق وقد أعياني اتمامه على هذا النمط من الجناس فقلت ولا طار للاحباب بعدي طارق فقال انما اردى أن يكون الجناس متصلا مثل الاول فقلت وبعدي للاحباب لا طار طارق (قال) علي بن ظافر سايرت في بعض اسفاري سنة ثلاث وستمائة أبا الحسن البوني وأنا عائد من ميافارقين الى ماردين وكان الشتاء كلبا والبرد قويا والوحل شديدا فلقينا في تلك العقاب عشا فقال عقاب في ثناياها عقاب واستجازني فقلت للوقت فما هي بالعذاب بل العذاب * قال علي بن ظافر وبتنا ليلة بالقرافة فرأى بعض اصحابنا الزهرة وقد قارنت المشتري وهما مشرقان في حندس الظلماء فأفرط في استحسانهما فقال أبو الفضل الوجيه جعفر بن جعفر الحوي

تقارن الزهرة والمشتري فقلت كالزج واللهذم في السمهري فأفرط الجماعة في استحسانه ثم وقع لي أن اشبههما بلهذم من ذهب وزج من فضة لاصفرار الزهرة وشدة بياض المشتري فقلت

اماترى المشتري وقد قارن الـزهرة يبغي دنوه مقترب

كصعدة زجها ولهذمها * ذا اللجين وذا من الذهب

(قال) علي بن ظافر اجتمعت أنا والقاضي الاعز أبو الحسن علي بن المؤيد الغساني رحمه الله يوما بالرصد فرأينا شعاع الاصيل فوق بياض الماء فقلت له أجز أذكت الشمس على الماء لهب فقال فكست فضته منها ذهب وقلت له يوما أجز طار نسيم الروض من وكر الزهر فقال وجاء مبلول الجناح بالمطر (وذكر) أبو علي حسن بن رشيق في كتاب الانموذج حكاية مطبوعة قال جلست في دكان أبي لقمان الصفار وكان يتهم في شعره مع جماعة من الشعراء وأبو لقمان والدركاذو يلعبان بالشطرنج ونحن نضحك لما يجري بينهما من غريب المهاترة فقال الدركاذو أجزيا ابالقمان

حيتان حبلي في طنجير بلواني فقال أبو لقمان
وفحم وجهك في كانون احشائي فقال له احمد بن ابراهيم اليكموني احسنت
يا أبا لقمان قسيمك خير من قسيمه فزهي ابو لقمان وقال ادا نفع في بديع
الشعر وهذا شعري في الهنف وانما لم أورد هذه الحكاية في الحكايات
المتقدمة على ترتيب الاعصار والازمنة اذ كان حقها أن تكون بين الحكايات
المنسوبة الى أبي الفرج والمهلبي والمنسوبة الى ابن حديس لانها ليست من
بدائع البدائه ولم أرا خلاء الكتاب منها لما فيها من الحلاوة * (ومن الاجازة
اجازة قسيم بقسيم وبيت ببيت) كما روى لنا من أن الرشيد هرون رحمه الله
تعالى صنع قسيما وهو الملك لله وحده ثم ارتج عليه فقال استدعوا من
بالباب من الشعراء فدخل عليه جماعة منهم الجماز فقال أجيزوا وأشدهم
القسيم فبدرهم الجماز فقال وللخليفة بعده فقال له الرشيد زد فقال
وللمحب اذا ما * حبيبه بات عنده فقال له الرشيد احسنت ولم تعد ما في نفسي
وأجازه بعشرة آلاف درهم * (وذكر) عبد الله بن أحمد بن ابي طاهر في تاريخ
بغداد قال حدثني أبو أحمد يحيي بن علي بن يحيي المنجم قال استزارني أحمد بن
سعيد الدمشقي وأناصبي وسأل أبي ابا الحسن الاذن لي في المصير اليه وأخبره
أن أحمد بن ابي طاهر وأبا طالب بن مسلمة وعلي بن مهدي وجماعة من اهل
الادب عنده فأذن لي فصرت اليه فصادفت عنده أبا الحسن جحظة فلما أردنا
القيام الى صفة في داره للاكل لبس الجماعة نعالهم وبقي جحظة بغير نعل فسمعته
يقول ياقوم من لي بنعل فقلت في بيت تصحيف نعل فضحكت الجماعة
وغضب الدمشقي فقلت وليس ذا قول جد * لكنه قول هزل فضحك وتعجب
القوم من بديهتي * (قال) علي بن ظافر صنع المتوكل على الله عمر بن
الافطس صاحب بطليوس من بلاد الاندلس قسيما وهو الشعر خطة خسف
وارتج عليه فاستدعى أبا محمد عبد المجيد بن عبدون أحد وزراء دولته
وخواص حضرته فاستجازه اياه فقال لكل طالب عرف للشيخ عيبة
عيب * وللفتى ظرف ظرف (وقد أنبأني) الشيخ الاجل الحافظ العلامة ذو
النسبتين أبو الخطاب عمر بن الحسن الرحي الكلبي اجازة عن الاستاذ المفيد
أبي بكر محمد بن خير قراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبي القاسم خلف بن يوسف

الشنتريني عرف بابن الابرش عن أبي الحسن بن بسام في كتاب الذخيرة أن قائل القسيم الاول الاستاذ أبو الوليد ضابط وأن عبد المجيد أجازه ارتجالا وهو ابن ثلاث عشرة سنة (وبهذا الاسناد) قال ابن بسام ذكر أبو علي الحسين بن الغليظ المالقي قال قلت يوما للاديب أبي عبد الله بن السراج المالقي ونحن على جرية ماء أجز شربنا على ماء كأن خريره فقال مبادرا

بكاء محب بان عنه حبيبه فمن كان مشغوفا كئيبا بالفه * فاني مشغوف به وكئيبه

(وبه ايضا) ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة قال اجتمع ابن عبادة وعبد الله ابن القابلة السبتي بالمرية فنظر الى غلام وسيم يسبح في البحر وقد تعلق بسكان بعض المراكب فقال ابن عبادة أجز انظر الى البدر الذي لاح لك فقال ابن القابلة في وسط اللجة تحت الحلك

قد جعل الماء سماء له * وصير الفلك مكان الفلك قال علي بن ظافر وكل ما اسنده الى ابن بسام فبهذا الاسناد (ومنها اجازة قسيم بقسيم واكثر من بيت) أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن الكندي وجمال الدين بن الخراساني اجازة عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو بكر بن المرزوقي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن احمد بن الحسين ابن عبد العزيز العسكري أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الصلت المجبر حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني أخبرني جعفر بن قدامة حدثني احمد بن ابي طاهر قال دخلت يوما على بت جارية مخفرانه وكانت حسنة الوجه والغناء فقلت لها قد قلت شعرا فأجيزيه فقالت لي قل فقلت

يا بت حسنك يغشي بهجة القمر فقالت

قد كاد حسنك أن يبتزني بصري ثم وقفت افكر فسبقتني فقالت

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت * ريا الرياض عليه في دجى السحر

فزاد فكري فبادرتني فقالت

فهل لنا منك حظ في مواصلة * اولا فاني راض منك بالنظر

فقمت عنها خجلا ثم عرضت بعد ذلك على المعتمد فاشتراها بمشورة علي بن يحيى بثلاثين ألفا وذكر أحمد بن الطيب عن بعض الكتاب أنها عرضت بعد ذلك على المعتمد فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي بما ظهر منها وكان أول ما غنته

لحناً غريباً والشعر فى المعتمد فقالت سنة وشهر قابلا بسعود
فطرب المعتمد وتبرك بغنائها ثم قال لاحمد بن حمدون عارضها فقال
وهبت نفسى للهوى فقالت بخارلما أن ملك فقال فصرت عبداً خاضعاً
فقالت يسلك بى حيث سلك فأمر المعتمد بابتياعها فاشتريت بثلاثين ألفاً
(وبالاسناد المتقدم عن ابن بسام) قال روى أبو عامر بن شهيد قال لما قدم
زهير الصقلى حضرة قرطبة من المرية وجه ابو جعفر بن عباس وزيره الى لمة
من اصحابنا منهم ابن برد وأبو بكر المروانى وابن الخياط والطبى فحضروا
فسألهم عنى وقال وجهوا اليه فوافانى رسوله مع دابة بسرج محلى فسرت
اليه ودخلت المجلس وابو جعفر غائب فتحرك المجلس لدخولى وقاموا جميعاً
الى حتى طلع ابو جعفر علينا ساحباً ذيلاً لم أر احداً سحبه قبله وهو يترنم
فسلمت عليه سلام من يعرف قدر الرجال فرد رداً لطيفاً فعلمت أن فى انفه نعرة
لا تخرج الا بسعوط الكلام ولا تراض الا بمتحصد النظام ورأيت أصحابى
يصيخون الى ترنمه فقال لى ابن الخياط وكان كثير الانحناء على جالباً فى المحافل
ما يسوء الاولياء الى الوزير حضره قسيم وهو يسألنا اجازته فعلمت أنى
المراد فاستنشدته فأنشد مرض الجفون ولثغة فى المنطق
فقلت لمن حضر لا تجهدوا نفوسكم فلستم المراد ثم اخذت الدواة فكتبت
سببان جرا عشق من لم يعشق

من لى بألثغ لا يزال حديثه * يذكى على الاكباد جمرة محرق
ينبى فينبو فى الكلام لسانه * فكأنه من خمر عينيه سقى
لا ينعش الالفاظ من عثراتها * ولو أنها كتبت له فى مهرق

ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا على وأخبرونى أن ابا جعفر لم يرض بما جئت به
من البديهة وسألونى أن أحل مكاوى الهجاء على حماره وزعموا أن ادريس
ابن اليمانى هجاه فأفحش فقلت

أبو جعفر كاتب شاعر * مليح سنى الخط حلو الخطابه
علا شحماً ولحماً وما * يليق علوه بالكتابه
له عرق ليس ماء الحياء * ولكنه رشح ماء الجنابه
يجرى الماء فى سفله جرى لين * فأحدث فى العلو منه صلابه

(قال علي بن ظافر وأحسب أن الذي هجاه به ادريس وأفحش فيه قوله وقد كان وفد عليه بالمرية وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ اليه عند خروجه منها يقول.

ايه أبا جعفر المرجى * ما بال طيري خلاف طيرك

اهديت رقراقة المعاني * لم اهد أمثالها لغيرك

فلم ترها ولم ترني * ولم ترها بفضل ميرك

فصار شعري لديك بكرا * قد يئست من فلاح ايرك

(وذكر العميد أبو الحسين علي بن الحسن بن أبي الطيب الباخرزي في كتابه دمية القصر وعصرة العصر قال حدثني الاديب يعقوب بن احمد قال أنشدت بحضرة أبي كامل مفرج بن دغفل الطائي.

صهل الكميت فقلت مالك تصهل فغيره بعض الحاضرين فقال

نعب الغراب فقلت مالك تنعب. فقال أبو كامل بديها.

أناي ألبفك أم لحال ترهب.

أم بت تخبرنا بفرقة جيرة * قد آن في شعبان أن يتشعبوا

عزموا على ترك النفوس ورائهم * ما يسيل على لظى يتلهب.

(وأنبأني) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي قال أنبأني الفقيه أبو القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن سعيد السرقسطي عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عمر الاشبوني قال قصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد فلما وصل اليه ودخل عليه قال أجز اذا مررت بركب العيس حييها. فقال ابن جاخ في الحال

يا ناقتي فعسى احبابنا فيها ثم زاد فقال

يا ناق عوجي على الاطلال علي بها * منهم غريبا يراني كيف ابكيها

أم كيف أرفض طيب العيش بعدهم * أم كيف اسكب دمعا في مغانيها

اني لاكتم اشواقي وأسترها * جهدي ولكن دموع العين تبديها

(وذكر) الوزير ابو ابانة الداني في كتاب سقط الدرر ولقط الزهر قال صنع المعتمد على الله بن عباد رحمه الله تعالى قسيما في القبة المعروفة بسعد السعود فوق المجلس المعروف بالزاهي وهو سعد السعود يتيه فوق الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا فصنع ولده عبيد الله الرشيد وكلاهما في حسنه متناه

ومن اغتدى سكنا لمثل محمد * قد جل في العلياء عن الاشباه
لازال يخلد فيهما ما شاءه * ودهت عداه من الخطوب دواهي

وكذلك ما روى أن القاضي الفقيه أبا الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة أحد رؤساء المغرب الاوسط تنزه مع جماعة من اصحابه منهم محمد بن عيسى بن سوار الاشبوني ورجل يسمى بأبي موسى خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث بالحاضرين بأبيات من الشعر يصنعها فيهم فصنع القاضي أبو الحسن معابثا له وشاعر أثقل من جسمه ثم استجاز ابن سوار فقال

تأتي معانيه على حكمه

يهجو ولا يهجى فهل عندكم * ظلامة تعدى على ظلمه
لسانه في هجوه حية * منية الحية في سمه
أما أبو موسى ففي كفه * عصا ابنه والسحر في نظمه
يصيب سر المرء في رميه * كأنما العالم في علمه

(وأخبرني) القاضي الاعز بن المؤيد المقدم ذكره رحمه الله قال أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عمر المستقر الاندلسي قال كتب أبو بكر البلنسي الى الاديب أبي بحر صفوان بن ادريس هذين البيتين يستجيزه القسيم الاخير منهما وهما

خليلي أبا بحر وما فرقف اللمى * بأعذب من قولي خليلي ابا بحر
أجز غير مأمور قسيما نظمته * تأمل على بحر المياه حلى الزهر

فاجازه بقوله كعهدك بالخضراء والانجم الزهر

وقد ضحكت للياسمين مباسم * سرورا بآداب الوزير أبي بكر
وأصغت من الآس النضير مسامع * لتسمع ما تتلوه من سور الشعر

قال وهذان الرجلان من الفضلاء في عصرنا هذا * (ومنها اجازة بيت ببيت) فمن ذلك ما روى يونس بن حبيب قال لما بني يوسف بن زياد داره بالساحة صنع طعاما ودعا اصحابه فدخلوا الحمام المعروفة بحمام فيل ثم خرجوا فتغدوا عنده وركبوا تلك المهاليج والمقاريف والبغال واجتازوا بجارية بن بدر الغداني

وأبي الاسود وهما جالسان فقال أبو الاسود

لعمر ابيك ما حمام كسرى * على الثلثين من حمام فيل

فقال حارثة

ولا ايجافنا خلف الموالى * بسنتنا على عهد الرسول

(وروى) حبيب بن نصر المهلبي قال حج يزيد بن معاوية بالاخطل فاشتاق يزيد أهله فقال

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه * تهام فانى يلتقى الشجنان

وقال أجز يا اخطل فقال

يغور الذى بالشام أو ينجد الذى * بغور تهامات فيلتقيان

(وروى) عمر بن عبد الله العتكى عن الرقاشي عن أبي عبيدة قال كان حارثة ابن بدر بدير كوارا يتنزه فقال

الم تر أن حارثة بن بدر * اقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال للجند الذين كانوا معه من اجاز هذا البيت فله حكمه فقال رجل منهم على أن تجعل لى الامان من غضبك وتجعلنى رسولك الى البصرة وتطلب لى النفل من الامير قال ذلك لك ثم رد عليه البيت فقال

مقيم يشرب الصهباء صرفا * اذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك ولو كنت قلت لنا قولا تسر نا لسررناك (وروى) أبو روح الراسبي قال لما ولى خالد بن عبد الله القسرى مالك بن المنذر شرطة البصرة قال الفرزدق

يغض فينا شرطة المصر أننى * رأيت عليها مالكا اثر الكلبى

قال فقال مالك على به فبلغه فقال

اقول لنفسى اذ تغص بريقها * ألا ليت شعرى ما لها عند مالك

فنسج مالك على طرازه وقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها * اليها وتنجو من عظيم المهالك

قال الفرزدق هذا أشعر الناس أو ليعودن مجنونا يصيح به الصبيان فكان كما قال (وروى) أن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه خرج وهو أمير المدينة ومعه عبد الله بن الحسن فنزلوا تحت سرحة وتغدوا وأخذ

عبد الله حجرا وكتب به على ساق السرحة يقول

خبرينا خصصت بالغيث ياسر * ح بصدق فالصدق فيه شفاء

فأخذ عبد العزيز الحجر وكتب تحته

هل يموت المحب من ألم الحب * ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم ركبوا دوابهم ومضوا غير بعيد فاذا السماء قد أقبلت عليهم فرجعوا مسرعين الى السرحة فأصابوا تحت ما كتبوا

ان جهلا سؤالك السرح عما * ليس يوما به عليك خفاء

ليس للعاشق المحب من العشق * سوى لذة الوصال دواء

(حدث) المدائني قال وهب نصر بن سيار لابي عطاء السندي جارية فبات معها فلما أصبح غدا على نصر فقال له كيف كانت ليلتك معها قال كان بيني وبينها ماشرد منامي وقضى مرامي قال فهل قلت في ذلك شعرا قال نعم وأنشد

ان النكاح وان هزلت اصالح * خلف العيني من لذيذ المرقد

فقال نصر

ذاك الشفاء فلا تظنن غيره * ليس المجرب مثل من لم يشهد

(وروى) زحر بن حصن قال خرجنا من مكة مع المنصور في زمان صائف فلما كان بزبالة ركب نجيبا والشمس تلعب بين عينيه وعليه جبة وشي فالتفت الينا وقال اني قائل بيتا فمن اجازه فله جبتي هذه قلنا يقول امير المؤمنين فأنشد

وهاجرة نصبت لها جبيني * يقطع حرها ظهر العظايه

فبدر بشار فقال

وقفت لها القلوص ففاض دمعي * على خدي وأسعد واعظايه

فخرج له عن الجبة ثم لقيته فذكر أنه باعها بخمسمائة دينار وقد ذكرها الصولي في كتاب الاوراق على غير هذا السياق (وروى) أن رسول علية بنت المهدي أو عائشة بنت الرشيد خرج يوما الى الشعراء فقال تقرئكم سيدتي السلام وتقول من أجاز هذا البيت منكم فله مائة دينار فقالوا وما هو فأنشد

انيلي نوالا وجودي لنا * فقد بلغت نفسي الترقوه

فبدرهم مسلم بن الوليد الصريع فقال

واني لكالدلو في حبكم * هويت اذا انقطعت عرقوه

فخرجت له المائة دينار (وروى) محمد بن حسن الحاتمى عن أبى العيناء عن العتبى قال دخل يحيى بن خالد بستان داره ومعه جاريته دنانير فرأى بهجة الورد على شجره فقال أجيزى

الورد أحسن منظرا * فتمتعوا باللحظ منه

فقالت مسرعة

فاذا انقضت ايامه * ورد الخدود ينوب عنه

فاستحسن ذلك منها وأمر لها بمال جزيل بعد أن قبل خدها (وروى) الحسن بن الضحاك قال كنت امشى مع أبى العتاهية فمررنا بمقبرة فاذا امرأة تبكى ولدا لها فقال أبو العتاهية

فيا لك باكية بعين * غزير دمعها كمد حشاها

أجز يا حسن فقلت

تنادى حفرة اعيت جوابا * فقد ولهت وصم بها صداها

(وروى) أن أبا نواس دخل على عنان جارية الناطفى فى بعض أيام الربيع فقال أجيزى

كل يوم عن الحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت مسرعة

فهو كالوشى من ثياب عروس * جلبتها التجار من صنعاء

قال على بن ظافر والبيت الاول أظنه لابن مطير من قصيدة الا انه منسوب فى الموضع الذى نقلت منه الى أبى نواس فأوردته كما وجدته (وروى) انه دخل عليها يوما وهى تبكى وقد كان مولاها ضربها فقال

بكت عنان فجرى دمعها * كاللؤلؤ ينسل من خيطه

فقالت قلت من يضربها ظالما * تجف يمناه على سوطه

(وقد روى) أبو الفرج الاصبهانى هذه الحكاية عن مروان بن ابى حفصة وانه الذى استجازها البيت الاول (وروى) محمد بن الاشعث قال قال دعبل ابن على الخزاعى مررت أنا ورزين العروضى بقوم من بنى مخزوم فلم يقرونا فقلت فيهم

عصابة من بنى مخزوم بت بهم * بحيث لا تطمع المسحاة فى الطين

ثم قلت لرزين أجز فقال

في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض * بنو النفاق وآباء الملاعين

قال ابن الاشعث وكان هذا أقوى الاسباب في مهاجاته لابي سعيد المخزومي (وروى) لنا أن العباس بن الاحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان فقال لها اجيزي

اهدى له احبابه اترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر

فقالت ارتجالا خاف التلون في الوداد لانها * لونان باطنها خلاف الظاهر

فجن استحسانا وحلف لها وكانت تعزه ان ادعته مادخل دارها فتركته له فاستلحقه (وذكر) ابن القمي في كتاب النباهة قال دخل ابو السمراء على نخاس فسمع بكاء من داخل البيت وقائلة

وكنا كزوج من قطا في مفازة * لدى خفض عيش مونق معجب رغد

اصابهما ريب الزمان فأفردا * ولم تر شيأ قط أوحش من فرد

فقال للنخاس أخرجها فقال ان صاحبها مات وهي شعثة مغبرة قال فخرجت فقال لها قولي في معنى هذا قالت أي معنى قال في معنى هذين البيتين اللذين تمثلت بهما فقالت

وكنا لغصني بانة وسط روضة * نشم جنى الجنات في عيشة رغد

فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع * فيا فردة باتت تحن الى فرد

فكتب الى عبد الله بن طاهر يخبرها فكتب ان أجازت هذا البيت فاشترها وهو

هذا بعيد وصل بديع صد * جعلته في الهوى ملاذا

فقالت مسرعة

فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

فاشتراها أبو السمراء فماتت من الغد (وروى) ابراهيم بن محمد اليزيدي قال كنت عند المأمون يوما وبحضرته غريب فقال لي على سبيل الولع والعبث ياسعلوس وكانت جواري المأمون يلقبنني بها عبثا فقلت

قل لغريب لاتكوني مسعلسه * وكوني كنتريف وكوني كونسه

قال فبدرني المأمون فارتجل

فان كثرت منك الاقاويل لم يكن * هنالك شك أن ذا منك وسوسه

قوله قل لغريب الخ فيه الخرم كما لا يخفى اه مصححه

فقلت له كذا والله يا امير المؤمنين أردت أن أقول وعجبت من ذهن المأمون وجودة طبعه (وانبأنا الفقيه) أبو محمد عبد الخالق المسكي عن السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن احمد بن السراج اللغوي وابن بعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا ابو يعقوب النجيرمي حدثنا ابن سيف قال حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عم أبي احمد ابن محمد اليزيدي قال واللفظ من رواية اخرى قريب من لفظ هذا الاسناد قال دعا المعتصم اخاه المأمون ذات يوم الى داره فأتاه فاجلسه في بيت على سقفه جامات فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم وكان احسن تركي على وجه الارض وكان المعتصم أوجد خلق الله به فصاح المأمون لاحمد بن محمد اليزيدي فقال انظر ويلك الى ضوء الشمس على وجه سيما ارأيت أحسن من هذا قط وقد قلت

قد طلعت شمس على شمس * فزالت الوحشة بالانس

فأجز فقال أحمد

قد كنت أشنى الشمس من قبل ذا * فصرت أرتاح الى الشمس

ففطن المعتصم فعض شفته لاحمد فقال احمد للمامون والله يا امير المؤمنين ان لم يعلم الامير حقيقة الامر منك لاقعن معه فيما اكره فدعاه المأمون فاخبره الخبر فضحك المعتصم فقال له المأمون كثر الله يا اخي في غلمانك مثله انما استحسنت شيأ أخرى ما سمعت لا غير * وقد وقعت لنا هذه الحكاية باسناد أخصر من هذا عن ابن سيف هو مذكور في اجازة قسيم بقسيم (وحكى) صاحب كتاب المقتبس أن الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس خرج في بعض أسفاره فطرقه خيال جاريته طروب ام ولده عبد الله وكانت اعظم حظاياه عنده وأرفعهن لديه لا يزال كلفا بها هائما بحبها فانتبه وهو يقول

شاقك من قرطبة الساري * في الليل لم يدر به الداري

ثم انتبه عبد الله بن الشمر نديمه فاستجازه كمال البيت فقال

زار فحيا في ظلام الدجى * أحبب به من زائر ساري

(وذكر) الصولي في كتاب الاوراق برواية تنتهي الى جعفر بن محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال دخلت على المتوكل على الله لما توفيت امه معزيا فقال

يا جعفر انى ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته توقفت وقد قلت

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد

قال فأجازه بعض من حضر المجلس فقال

وقلنا لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

قال الصولى فظننا أن جعفر بن محمد بن عبد الواحد قائل البيت (قال) مروان ابن المحبوب دخلت على المتوكل فرمى الى برقعة فيها بيت شعر وهو

ادرت الهوى حتى اذا صار كالرحى * جعلت محل القلب فى موضع القطب

وتحت البيت أجز يا مروان فكتبت تحته

فلما جعلت القلب تحت رحى الهوى * ندمت وصار القلب فى موضع صعب

(وذكر) يزيد بن محمد المهلبى قال كان ابن المعتز يشرب يوما فى بستان مملوء بالثمام وشقائق النعمان فدخل عليه يونس بن بغا وعليه قباء اخضر فقال ابن المعتز لما رآه ارتجالا

شبهت حمرة خده فى ثوبه * بشقائق النعمان فى الثمام

ثم قال أجيزوا فبدر بنان المغنى وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت فقال

والقد منه وقد بدا فى قرطق * بالغصن فى لين وحسن قوام

فطرب ابن المعتز وقال له غن فيه الآن فصنع فيه لحنا (وذكر) عبد الله بن احمد ابن أبى طاهر فى تاريخه قال حدثنى أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم قال صرت الى أبى زيد عمر بن شبة فقال لى قد قلت بيتا تعذر على ثان له فأحب أن تجيزه فقلت وما هو فقال

كبرت وغالتنى خطوب تتابعت * ومن يصحب الايام لا بد يهرم

فقلت

ومن يصحب الايام تنقص خطوبها * قواه ويجهل بعض ما كان يعلم

فأعجب به وحدث الناس بما بيننا فكتبوه عنه (وأنبأنى) الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى قال حدثنى أبو محمد على بن احمد قال حدثنى أبو عبد الله محمد بن عبد الاعلى بن هاشم القاضى المعروف بابن الغليظ أن صهيب بن منيع قال

علي بن ظافر وكان قاضيا ببعض بلاد الاندلس ومات بها في أيام الناصر عبد الرحمن سنة ثمان وعشرين وثلثمائة كان نقش خاتمه

يا عليما كل غيب كن رؤفا بصهيب وانه كان يشرب النبيذ لعله كان يذهب مذهب أهل العراق فشرب مرة عند الحاجب موسى بن جدير وكان من عظماء الدولة الاموية فسكر ونام فأمر موسى باختلاس خاتمه وأحضر نقاشا فنقش تحت البيت المذكور واستر العيب عليه ان فيه كل عيب ورد الخاتم عليه وختم به زمانا حتى فطن له (وأنبأني) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والفقيه جمال الدين بن الحرستاني عن الشيخ الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر سماعا أخبرنا أبو النجم بدر الدين عبد الله السنجي أخبرنا أبو بكر الخطيب أنبأنا علي بن أبي علي المعدل حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن أبي بكر المحرف العلاف الشاعر وكان أحد ندماء المعتضد قال كنت ليلة في دار المعتضد وقد أطلنا الجلوس بحضرته ثم نهضنا الى مجالسنا في حجرة كانت مرسومة بالندماء فلما أخذنا مضاجعنا وهدأت العيون أحسسنا بفتح الابواب وتفتيح الاقفال بسرعة فارتاعت الجماعة لذلك وجلسنا في فرشنا فدخل الينا خادم من خدم المعتضد فقال لنا ان امير المؤمنين يقول لكم ارقت الليلة بعد انصرافكم فعملت هذا البيت

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى * اذا الدار قفرى والمزار بعيد

وقد ارتج علي تمامه فاجيزوه ومن اجازه بما يوافق غرضي أجزلت عطيته وفي الجماعة كل شاعر مجيد مذكور وأديب فاضل مشهور فأفحمت الجماعة وأطالوا الفكر فقلت مبتدرا

فقلت لعيني عاودي النوم واهجعي * لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم اليه بهذا الجواب ثم عاد فقال امير المؤمنين يقول لك أحسنت وما قصرت وقد وقع بيتك الموقع الذي أريده وقد أمرت لك بجائزة وهاهي فأخذتها فازداد غيظ الجماعة مني (وقال) يزيد بن أبي اليسر الرياضي في كتابه الامثال دخل رحمون الفارسي على أبي وهو مريض فقال له كيف أصبحت فقال

يكاد جسمي من نحول الضنا * تحمله أنفاس عوادي

فقال رحمون هل ترى أن أزيد عليه يا أبا اليسر فقال نعم فقال رحمون

لم يبق الا الروح فى مهجة * يروح أو يغدو بها الغادى

(أنبأنى) القاضى الفقيه الامام نبيه الدين أبو الحسن بن على بن المفضل المقدسى رحمه الله قال أخبرنى الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى بن قلينا الاسكندرى قال أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الجبار بن سلامة الهذلى قال اخبرنا أبو القاسم على بن جعفر بن على الصقلى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على ابن الحسن التميمى قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابورى قال اخبرنا أبو منصور الثعالبى فى كتاب اليتيمة أن الصاحب بن عباد اتهم بعض المردفى مجلسه بسرقة بعض كتبه فقال

سرقت ياظبى كتبى * ألحقت كتبى بقلبى

وأمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى باجازته فقال

فلو فعلت جميلا * رددت قلبى وكتبى

وكل ما أسنده الى اليتيمة فبهذا الاسناد (وذكر) الرئيس هلال بن الصابى أن الصاحب بن عباد قال ارسل الى الاستاذ الرئيس أبو الفضل بن العميد يستدعينى فى وقت لم تجر عادته باستدعاءى فى مثله فتهيأت للمضى فجاءنى رسول ثان فركبت فلقينى ثالث يستحثنى فارتبت وارتعت فلما دخلت عليه قال انى قلت بيتا تماعيت عن اتمامه وهو

وجاءوا بظبى كمثل الغزال * يسائل على الرسم فى مثله

فقلت فى الحال

فأدخلت بعضى فى بعضه * فياليت كلى فى كله

فجعل يكثر التعجب منى ثم انصرفت (وأنبأنا) العماد أبو حامد الاصفهانى قال ذكر السمعانى فى تاريخه قال سمعت أبا المظفر منصور بن محمد بن سعيد ابن مسعود المسعودى المروزى فى مذاكرتى اياه يقول دخلت على العزيز الخشاب وشبل الدولة عنده حاضر فقال العزيز قلت اليوم بيتا وأنشده

صفودة العمر فى عصر الصبا * وزمان الشيب دردى محيل

وقال لشبل الدولة أجز فقال مبادرا

والذى يطلب صفوا بعده * انما يطلب شيأ مستحيل

(أخبرنى) الشيخ أبو عبد الله بن على العصبى القرموني قال سمعت أبا بكر

البكى الشاعر وهو بجامع عدوة القرويين بفاس يحكى لابى ولجماعة معه قال خرجت من فاس قاصدا تلمسان فدخلت فى بعض الخانات وكانت ليلة مطيرة جدا فأنزلنى صاحب الخان فى بيت مفرد وأوقد لى قنديلا فبينما أنا جالس واذا برجل قد فتح الباب ودخل على وعلى وجهه سلهامة قد سترته فجلس وقد عرفنى ولم أعرفه فسألته عن صناعته فقال أنا شاعر فقلت له كالمستهزئ به أجز وضربت بيدى الى شئ أصفه فلم أجد غير القنديل فقلت

وقنديل كأن الضوء فيه * محيا من أحب اذا تجلى

فقال فى الحال

أشار الى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله هربا وولى

فجننت استحسانا لما أتى فكشف السلهامة عن وجهه فاذا هو أبو العباس البنى الشاعر فقال كيف ترى هذا الكهن وما خالف منه وبتنا بأطيب ليلة فلما قام الركب للسفر سار هو الى فاس وسرت أنا الى تلمسان (وأخبرنى) القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك رحمه الله قال أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال اجتمعت فى بعض الايام بأمين الدولة ابى الحسن هبة الله بن صاعد قال على بن ظافر هو المعروف بابن التلميذ وانما امه من بنات التلميذ فعرف بذلك قال فأخذنا فى ذم الدهر واخنائه على أهل الفضل واذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد أبرزت فى جلال الوشى والديباج فخرك ذلك ما كنا نتجاذب اهدابه فى ذم الدهر فقلت

من كان يكسو الكلب وشـ * ـيا ثم يقنع لى بجلدى

واستجزته فقال

الكلب خير عنده * منى وخير منه عندى

(وأخبرنى) الاجل بهاء الدين بن الساعاتى المقدم ذكره قال حضرت مجلس سماع عند بعض الرؤساء فغنى مغن قبيح النغمة سيئ الضرب فقال بعض الحاضرين

من منصفى ممن اذا * ما ناح تحت لقبح نغمه

واستجازنى فقلت

هو خارج وقت الغنا * وداخل فى رحم امه

(وأخبرني) الفقيه أبو ثابت بن حسن الكربوني بالاسكندرية قال حضرت أنا والاديب عبد المنعم بن صالح الحريري صاحبنا بعض الاماكن ورجل يقرأ المقامات التي صنفها الحريري على رجل آخر وهما يصحفان فيها فقال عبد المنعم

يا ايها الثور البهيم الذي * يقرا المقامات على الثور

ثم استجازني فقلت

دع المقامات لاربابها * وعد الى الناقات والدور

(قال) علي بن ظافر حضر ليلة عندي وأنا برأس العين في خدمة الملك الاشرف أدام الله أيامه الاديب الموفق علي بن محمد البغدادي الساكن بها والفقيه بهاء الدين بن كساء الشاعران وعندنا رجل يعرف بالضياء بن الزراد مصري معروف وكانوا يمجنون معه فعمل ابن كساء بديهة وقال

رأيت الضياء وفي دبره * قد كزند البعير الشديد

ثم استجاز الموفق فقال في الحال

كأن جهنم في دبره * تقول لآتيه هل من مزيد

ثم صنع الموفق فيه بديها

زمان الضياء رعاه الاله * عيد ولكن به يرتزق
فطورا بأعلاه رمي القبق * وطورا بأدناه طعن الحلق
تساوى به أعظم الحالتين * فمنه البغاء ومنا الشبق
فلو جمعتنا به خلوة * لقد قيل وافق شن طبق

وهذا المعنى الذي ذكر فيه الحلق والقبق معنى مطبوع الا أنه لم يحسن نظمه وقد نظمته على سبيل التجريب للخاطر فقلت

لقد عبد الترك في ذا الرقيع * وعاطوه باللعب أكواسه
بنيك يقطع أعفاجه * وصفع يزعزع أضراسه
فكم جعلوا حلقة دبره * وكم جعلوا قبقا راسه

وقلت ايضا في المعنى

اصبح عبد الترك من هو كالشـ * ـامات في عين من رأى خلقه
وفوه بالنيك تارة وبنـ * ـز الصفع أخرى من لعبهم حقه

ان قرّ فالطعن بالآبور وان * فرّ أجادت نعالهم رشقه

فللسر امرز رأسه قبق * وللفياشى خناره حلقه

(وكان) يصحبنى وأنا فى خدمة الاشرف أبقاه الله رجل كاتب حسن الخط من أهل العلم والخير هاجر الى دمشق يقال له جمال الدين على بن أبى طالب فلما رأيت ما عليه الاحوال من الاختلال وقويت فى نفسى شهوة الانفصال كنت ليلى ونهارى مكبا على الدعاء بتسهيل ذلك وتعجيله وتيسير ما أرجوه منه وأقمت على هذا مدة طويلة بحيث كان الامر مشهورا عند كل أحد من الحاشية فأخبرنى أنه بات مشغول القلب بما يسمعه منى فى ذلك فرأى كأنه فى جامع دمشق تحت النسر والى جانبه شيخ وكأنهم ينتظرون الصلاة واذا برجل شاب قد أقبل من الباب الغربى فقال له الشيخ يا أبا العباس أجز

ان ابن ظافر سوف يظفر بالذى يرجوه عاجل

فقال

ظفرت عداه بخيبة * وغدا لما قد شاء نائل

فسررت بذلك فلم يكن شئ أسرع من عود الملك الاشرف أبقاه الله من دمشق وانفصالى من خدمته على الوجه الجميل وكان ذلك والله أعظم ظفر وأرفق قدر ولو لم يكن فيه الا الرجوع الى الباب الذى منه درجت وفى خدمته تخرجت والوطن الذى هو أول أرض مس ترابها جلدى وعلقت فيه تمائمى فالله تعالى يحقق الرجاء ويكمل الامل بمنه وطوله (وكنت) أنا وابن المؤيد يوما عائدين الى مصر فثار قتام شديد ترب وجه الارض واقذى عين الشمس فقال

وقتام اذا رآه بصير * عاد مما يقذيه مثل الضرير

ثم استجازنى فقلت

ردّ ثوبى مصندلا بعد ما كا * ن شديد النقاء كالكافور

(واجتمعت) يوما بالاجل شهاب الدين ابن اخت الوزير نجم الدين العزيزى رحمه الله فأنشدنى لنفسه فى غلام رآه فى الحمام مؤتزرا بازار أخضر

ومرتج ردف ازروه بأخضر * كما ماج ماء قد تردى بطحلب

واستجازنى فقلت

يخيل لى مرآه نعمان أطلعت * قضيبا على حقف لبير بن معشب

(قال على بن ظافر) وهذه حكاية قرأتها فى بعض المجاميع ولا اعرف من حاكيها

فلذلك

فلذلك أخرتها ولم أوردها على ترتيب الاعصار خيفة من انتقاد منتقد وهى (قال) أبو على اجتمعنا فى بعض الايام جماعة من أهل الادب وخرجنا الى منتزه فوقفنا فى ظل قصر لنستريح فوقعت علينا منه رقعة فيها أجيزوا هذا البيت

ولى مقلة عهدها بالكرا * بعيد وبالدمع عهد قريب

فكتبت تحته

تحار اذا امتزج فيها الكرا * كما حار فى الحى ضيف غريب

ثم صرفنا الرقعة مع بواب القصر فأخرج الينا سفرة فيها طعام كثير وأشياء فيها عون لنا على نزهتنا (قال على بن ظافر) وأحسب أن أبا على هذا الحاتمى فان صح الحديث فينبغى أن تكون بعد حكايتى الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى * (ومن اجازة بيت ببيت) ما يكون الشاعر قد عمل بيتا واستجاز له أولا أو عمل بيتين وأراد ابدال أحدهما أو الاختيار فيه مثل ما انبانا به العماد أبو جعفر الاصبهانى قال اخبرنى الامير الاجل نجم الدين بن مصال أن شابا يعرف بأحمد الابى من أهل الاسكندرية سافر الى الشيخ الاجل أبى بكر احمد ابن محمد العيذبى التميمى الكاتب فاضل اليمن ورئيسه وانتفع من جانبه وأن احمد ذكر عنه أنه عمل ابياتا يهنى فيها الداعى بطهور أولاده من جملتها قوله

كذبالة المصباح يقضى قطعها * عند الخمود لها بقوة ناره

قال فقال الاديب العيذبى يصلح أن يكون لهذا البيت توطئة من قبله فقال

أخذ من العضو الشريف قضى له الـ * ـتأثير فيه بمقتضى آثاره

(قال العماد) ونقلت من مجموع ابى المعالى الكتبى لابى القاسم الهمدانى

تعيرنى وخط المشيب بعارضى * ولولا الجول البيض لم تحسن الدهم

حنى الشيب ظهرى واستمرت عزيمتى * ولولا انحناء القوس لم ينفذ السهم

قال فنظمت المعنى وقلت

يفيد العاقل اليقظ التغابى * ليدرك فى الغنى حظ الغبى

فلم تصب السهام على اعتدال * بها لولا اعوجاج فى القسى

قال وانشدتها للامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فصنع فى الحال بدل الاول من البيتين وهو

أرى حلم الحليم به افتقار * الى جهل الفتى الغر الغبى

(قال علي بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني مما أورده في كتاب الذخيرة ماهذا معناه واللفظ لي أن المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن عباد صاحب اشبيلية وغرب الاندلس جلس يوما للشرب وذلك في وقت مطر أجرى كل وهدة نهرا وحلى جيد كل غصن من الزهر جوهرا وبين يديه ساقية تخجل الزهر بطيب العرف والريا وتقابل بدر وجهها بشهاب الكاس في راحة الثريا فاتفق أن لعب البرق بحسامه وأجال سوطه المذهب ليسوق به ركاب ركامه فارتاعت لخطفته وذعرت من خيفته فقال بديها

روعها البرق وفي كفها * برق من القهوة لماع

عجبت منها وهي شمس الضحى * كيف من الانوار ترتاع

وحين صنعهما أطربه معناهما وهزه وحركه استحسانهما واستفزه فاستدعى عبد الجليل بن وهبون المرسي وأنشده البيت الاول فقال عبد الجليل

وان ترى أعجب من آنس * من مثل ما يمسك يرتاع

فاستحسنه وأمر له بجائزة وبيته أحسن من بيت المعتمد عندي (وأخبرنا) القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك رحمه الله بما هذا معناه قال تذاكرنا في بعض الايام بديوان الانشاء فأفضى بنا الحديث الى ذكر الناشي الاصغر وقوله في وردة

ووردة في بنان معطار * حيابها في خفي أسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فقلت تشبيه الصفرة بالدينار فيه بعض تقصير وعليه نقد خفي لا يدركه الا الناقد البصير وهو كون الصفرة في رأى العين أصغر من الدينار ولو قال كمثل وجنة خود * قد نقطت برباع لكان أخصر وأحسن فاستحسنته الجماعة فقال السديد هبة الله بن سراج منشئ الديوان ياقوم أنا أجيزه ببيت أول ثم صنع جاريا على عادته في التجنيس

ووردة نالت الحسن اذ زهت في الرباع

(وأخبرني) صاحبنا الفقيه أبو الفضل جعفر الحموي قال مر بي في بعض الايام يهودي يعرف بابي الخير أقبح الناس صورة وأشدهم تنافر خلقة قصير القامة طويل اللحية بارز الانف فحين رأيته وقع لي بيت على شبه الارتجال وهو

قوله كيف الخ في نسخة من مثل ما تحمل ترتاع اه

لحية طولها ذراع وأنف * طول شبر وقامة طول اصبع

ثم أرتج على فقربى الاديب فاضل بن راجى الله المنبوز عداد فأنشدته اياه فقال أعمل له أولا فقلت ان شئت فقال

ما رأينا ولا سمعنا بشخص * كأبى الخير فى الخلائق أجمع

(ومن ذلك) ما أخبرنى الفقيه أبو محمد عبد الخالق بن زيدان المسكى المقدم ذكره قال اخبرنى صاحبنا الاديب أبو الحسن على بن خروف القرطبى المقدم ذكره فى هذا الكتاب قال رأيت فى المنام منشدا ينشدنى .

اذا كنت فى الدنيا حليف تكبر * فانك فى الاخرى أقل من الذر

قال فانتبهت وقد حفظته فأجزته بقولى

تنزه عن الدنيا وكن متواضعا * عفيفا ولا تسحب ذيولا من الكبر

(اجازة بيت بأكثر من بيت) * فمن ذلك مارواه أبو الفرج الاصبهانى فى أخبار بشار بن برد وهو أن المهدى أشرف يوما من أعلى القصر فرأى جارية من جواريه تغتسل فحين رأته استترت منه فقال

نظرت فى القصر عينى * نظرا وافق حينى

ثم ارتج عليه فأمر باحضار من يجيزه فأحضر بشار فأنشده البيت فقال

سترت لما رأتنى * دونه بالراحتين

فضلت منه فضول * تحت طى العكنتين

فقال المهدى قبحك الله أكنت ثالثنا ثم قال ثم ماذا فقال

فتمنيت وقلبى * للهوى فى زفرتين

أننى كنت عليه * ساعة أو ساعتين

فضحك المهدى وأمر له بجائزة فقال له يا أمير المؤمنين أقنعت فى مثل هذه الصفة بساعة أو ساعتين قال فبم ويحك قال سنة أو سنتين فضحك وقال اخرج عنى قبحك الله (ومثله ماروى) من أن الرشيد أنشد الاصمعى بيتا وهو

ليتنى عقدك أو يا ليتنى * تكة موشية من تككك

واستجازه فقال

امنحينى الوصل يا سيدتى * واطعمينى عسلا من عككك

ما على قومك أو ماضرهم * لو نفنا ساعة فى سككك

وقد تقدم قريب منه في باب المجاوبة (قال بريه بن أبي اليسر الرياضي) في كتابه في الامثال سمعت سيبويه يقول دخل عبد الله بن طاهر الرازي سحرا فسمع قرية تنوح فقال لله در الهلالي حيث يقول

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح

وكان معه عوف بن محلم الشاعر فقال له أجز هذا البيت فقال

وأرقني بالليل صوت حمامة * فنحت وذو الشوق القديم ينوح
على أنها ناحت ولم تذر دمعة * ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون افراخي مهامه فيح

(انبأني الشيخان) الاجل العلامة تاج الدين الكندي وابن الحرستاني اجازة عن الحافظ ابي القاسم بن عساكر سماعا منه أخبرنا أبو بكر المرزقي أنبأنا أبو منصور العكبري أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد الصلت المجبر حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني حدثني علي بن صالح عن أحمد بن أبي طاهر حدثه أنه ألقى على فضل الشاعرة

علم الجمال تركتني * في الحب أشهر من علم

فقالت

وأبحتني ياسيدي * سقما يزيد على السقم
وتركتني غرضا فديتك للعواذل والتهم

(وذكر أبو العباس المروزي) قال صنع المتوكل بيتا وطالب فضل الشاعرة أن تجيزه وهو

لاذ بها يشتكي اليها * فلم يجد عندها ملاذا

فصنعت بديهة

ولم يزل ضارعا اليها * تهطل اجفانه رذاذا
فعاتبوه فزاد شوقا * فمات عشقا فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال أحسنت وحياتي يا فضل وأمر لها بمائتي دينار وأمر غريب فغنت به (قال علي بن ظافر) وقد ذكرنا البيت الاخير من بيتي فضل في حكاية أبي السمراء في اجازة بيت ببيت الا أن هذه الحكاية أثبت رواية من تلك وهي من رواية أبي الفرج في الاغاني (وبالاسناد المتقدم) ذكر الثعالبي في كتاب اليتيمة قال جلس سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان يوما مع جماعة من خواص كتابه وأصحابه فقال أيكم يجيز قولي

لك جسمي تعله * فدمي لم تحله

وليس ايها الاسيدى يمنى ابن عمه ابا فراس بن أبي العلاء بن حمدان فارتجل أبو فراس

لك من قلبي المكا * ن فلم لا تحله

ولئن كنت مالكا * فلك الامر كله

فاستحسنهما ووهب له ضيعة منبج تغل ألفي دينار في كل سنة (وذكر القاضي أبو علي التنوخي في كتاب النشوان) قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد الضروى لنفسه بالاهوازية قول

اذا حمد الناس الزمان ذممته * ومن كان فوق الدهر لا يحمد الدهرا

وزعم أنه حاول أن يضيف اليه شيأ فتعذر عليه مدة طويلة وضجر منه وتركه مفردا وكان عنده أبو القسم المصيصي المؤدب فسمع القول فعمل في الحال اجازة له وأنشدها لنفسه

وان أوسعتني النائبات مكارها * نبت ولم أجزع وأوسعتها صبرا

اذا الليل خطب سد طرق مذاهبي * لجأت الى عزمي فأطلع لي فجرا

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام في كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد جلس يوما في بعض دور الحرم فقرعليه بعض حظاياه في غلالة لا يكاد يفرق بينها وبين جسمها وذوائب تبدى اياة الشمس في مدلهمها فسكب عليها اناء ماء ورد كان بين يديه فامتزج الكل لينا واسترسالا وطيبا وجمالا وأدركت المعتمد أريحية الطرب ومادت بعطفيه راح الادب فقال

وهويت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين اسنة وبواتر

وتعذر عليه المقال فقال لبعض الخدم القائمين على رأسه سر الى الوليد النحلي وخذه باجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ فأضاف اليه لاول وقوع الرقعة بين يديه

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر

وتمايلت كالغصن بلله الندى * تختال في ورق الشباب الناضر

تندى بماء الورد مسبل شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر

تزهي برونقها وحسن جمالها * زهو المؤيد بالثناء العاطر

ملك تضاءلت الملوك لقدره * وعناله صرف الزمان الجائر

واذا لمحت جبينه وعينيه * أبصرت بدرا فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له أحسنت أو كنت معنا فاجابه النحلى بكلام معناه يا قاتل المحل أو ما تلوت وأوحى ربك الى النحل (ومن ذلك) بالاسناد المتقدم أيضا لكتاب الذخيرة ما روى ابن بسام أن المعتمد أيضا أمر بصياغة غزال وهلال من ذهب فصيغا فجاء وزنهما سبعمائة مثقال فأهدى الغزال للسيدة ابنة مجاهد والهلال لابنه الرشيد فوقع له أن قال

بعثنا بالغزال الى الغزال ... وللشمس المنيرة بالهلال

وأصطبح وحضر الرشيد فدخل عليه وجاء الندمان والجلساء وفيهم أبو القاسم بن مرزقان فحكى لهم المعتمد البيت وأمر باجازته فبدر ابن مرزقان فقال

فذا سكنى أسكنه فؤادى ... وذا نجلى أقلده المعالى

شغلت بذا وذا خلدى ونفسى ... ولكنى بذا الرشى بالى

زففت الى يديه زمام ملكى ... محلى بالصوارم والعوالى

فقام يقر عينى فى مضاء ... ويسلك مسلكى فى كل حال

قدمنا للعلاء ودام فينا ... فانا للسماح وللنزال

(وذكر أبو الفتح بن خاقان فى كتاب القلائد) قال خرجت من اشبيلية لوداع كبير من المرابطين فوجدت معه الوزير أبا محمد بن مالك فلما انصرفنا عدنا متسايرين فررنا بمرج حسن النبات بديع النوار فبادر مملوك من مماليكه وضىء الوجه الى زهرة بديعة فقطفها وأتاه بها لتجبه من حسنها فاقترح على أن أصفه فقلت وبدر بدا والطرف مطلع حسنه ... وفى كفه من رائق النور كوكب

فقال مجيزا له

يروح لتعذيب النفوس ويغتدى ... ويطلع فى أفق الجمال ويغرب

ويحسد منه الغصن أى مهفهف ... يجىء على مثل الكثيب ويذهب

(قال على بن ظافر) ومن هذا القسم ما تكون الاجازة لبيت بأبيات تجعل قبله أو بعده وقبله كما أنبانى العماد أبو حامد قال قال عمارة اليمنى الشاعر فى كتابه فى شعراء اليمن ان الفقيه أبا العباس أحمد بن محمد الابى حدثه قال اذكر ليلة وأنا أمشى مع الاديب أبى بكر العدنى على ساحل عدن وقد تشاغلت عن الحديث معه فقال لى فى أى شىء أنت تفكر فقلت فى بيت عملته وهو

وأنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل طرف الذى أهواه ينظره

فقال

فقال لمن هذا البيت فقلت لي فأنشد مرتجلا

يا راقد الليل بالاسكندرية لي * من يسهر الليل وجدا حين أسهره
ألاحظ النجم تذكارا لطلعته * وان جرى دمع أجفاني تذكره

(قال علي بن ظافر) اتفق أن خرجنا للقاء القاضي الفاضل فرأيت في الموكب رجلا اسود اللون وعليه جبة حمراء فأنكرته ولم أعرفه ولقيت القاضي الاسعد أبا المكارم أسعد بن الخطير فقلت له من هذا الاسود الذي كأنه فحمة في دم حجامة فقال لي كأنه ناظر طرف أرمد فقلت له يصلح أن يكون قبله

واسود في ثوبه المورّد وبعده أو مثل خال فوق خد أمرد

ثم لقيت بعد ذلك القاضي السعيد بن سناء الملك رحمه الله تعالى فأنشدته اياهما وكتمته الاول وقلت قد صنعت لهما أولا فأصنع أنت أيضا وقصدت بذلك اختبار القافية وتمكنها اذ كل خاطر انما يبادر اليها فقال وأسود في ملبس مورّد فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة ولا مجتلبة الا أن قوله في ملبس أحسن من قولي في ثوبه (قال علي بن ظافر) وخرجت أنا وشهاب الدين يعقوب ابن أخت ابن المجاور ونحن بالاسكندرية أيام حلول الملك العزيز رحمه الله بها الى جزيرتها المباركة لزيارة قبر صاحبنا القاضي الاعز أبي الحسين علي بن المؤيد المردد ذكره في هذا الكتاب وقد كان توفي أغبط ما كان بالحياة وأبعد ما كان من تخوف الوفاة وغصن شبابه رطيب والزمان على منبر فضله الخطير خطيب فلما نزلنا بفناء قبره وأسبلنا سبيل المدامع لذكره أنشدني شهاب الدين بيتين صنعهما في الطريق وهما

أيا قبر الاعز سقيت غيثا * كجود يديه أو دمعي عليه
فلا واخائه الصافي ودادا * وددت الموت من شوقي اليه

فقال ان بين الاول والثاني فرجة تريد بيتا ليسدها فلعلك أن تسعدني فقلت

وحلت جانبيك مروج زهر * تحاكي طيب أوقاتي لديه

(ومنه اجازة بيت وقسيم بقسيم) كما روى اسحق الجصاص قال صنع زهير بن أبي سلمى بيتا وقسيما وهما

تزال الارض اما مت خفا * وتحيا ان حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العزمنها *

ثم أكدى فقربه النابغة الذبيانى وقال له أجزيا أباامامة وأنشده فأكدى النابغة وأقبل كعب بن زهير وانه لغلام فقال له أبوه أجزيا بنى فقال وما أجيز فأنشده فقال وتمنع جانبها أن يزولا فضمه زهير اليه وقال له أنت ابنى حقا

(ومن ذلك) مارواه اسحق الموصلى قال ولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود فدخل عليه أبو النصر عمر بن عبد الملك ولم يكن علم الخبر فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنونه نثرا ونظما وقف وأنشد ارتجالا

ونفرح بالمولود من ال برمك * بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنبسط الآمال فيه لفضله *

ثم ارتج عليه فلم يدر ما يقول فقال الفضل يلقنه

ولاسيما ان كان من ولد الفضل فاستحسن الناس بديهته وأمر لابى المنصور بصلة (أنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال أنبأنى الفقيه أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى قال أخبرنى أبو زكريا يحيى بن على الانصارى فيما أظن وقد كتبت منه قال أخبرنى عمر بن الصيرفى المقرى قال أخبرنا محمد بن عبد الله عن أبيه أنه سمع أبا عمرو الكلبى قال كنت جالسا عند أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه فأتاه من بعض اخوانه طبق فيه أنابيب من قصب السكر وكتاب معه فحوّل ابن عبد ربه الكتاب وجاوبه بديهة وكتب فى الجواب

بعثت ياسيدى حلو الانابيب * عذب المذاقة مخضر الجلابيب
كأنما العسل الماذى شيب به *

قال الكلبى ثم توقف فقال يا كلبى اجز هذا البيت فانى لا أجد له تماما فقلت لا بل يزيد على الماذى فى الطيب فقال أحسنت يا كلبى ثم أخذ القلم وأراد أن يكتبه على ماقلت ثم كره الاستعارة فأطرق قليلا ثم قال أوريق محبوبة جادت لمحبوب قال الكلبى فقمنا وقبلنا رأسه سرورا منا بقوله

(واخبرنى) القاضى السعيد بن سناء الملك قال صنعت

قد كان لى منديل كم ساذج * ما جاز مسح يدى به فى مذهبى
فاعتضت عنه بخد من أحببته *

وأرتج على فلم أستطع أكمل البيت فاستجزت القاضى تاج الدين بن الجراح فقال فسحت فى منديل كم مذهب (ومنه اجازة بيتين ببيت) فمن ذلك ماروى لنا أن أبادلامة دعا السيد الحميرى الى منزله فبكت ابنة له فحملها على عاتقه فبالت عليه فوضعها مغضبا وقال

بالت على لا حييت ثوبى * فبال عليك شيطان رجيم
فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا رباك لقمان الحكيم

ثم استجاز السيد الحميرى فقال

ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

فضحك أبو دلامة وقال عليك لعنة الله ما دعاك الى هذا كله ثم حلف لا ينازعه بتابعدها فقال له السيد يكون الهرب من جهتك لا من جهتى وقد روى أبو الفرج هذه الحكاية باسناد ينتهى الى على بن اسمعيل قال كنت أسقى أبا دلامة والسيد ولم يذكر سوى البيت الثانى من بيتى أبى دلامة ورواها أبو الفرج أيضا باسناد ينتهى الى الهيثم بن عدى وانها كانت بين أبى دلامة وأبى عطاء السندى وأن أبا عطاء اجاز بيته بأن قال

صدقت أبادلامة لم تلدها * مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

وعلى هذه الرواية تدخل فى باب المجاوبة (وذكر ابن رشيق فى كتاب الانموذج) قال اجتمعت بابى حديدة الشاعر يوما وأنا سكران فسألنى عن حال المكان الذى كنت فيه فوصفته وأفضت بى صفته الى ذكر غلام كان ساقيا فقلت فى عرض الكلام ولم أرد الوزن

فشربتها من راحتيه كأنها من وجنتيه
وكأنها فى فعلها * تحكى الذى فى ناظريه

وقلت له أجز فقال

وشممت وردة خده * نظرا ونرجس مقلتيه

فقلت له أحسنت فى شمك بالنظر كما سمع أبو الطيب بالبصر حيث يقول (كالخط يملأ مسمعى من أبصرا) * واجتمع أبو عبد الله بن شرف الجذامى يوما بأبى على بن رشيق فوصف له منزلا ضيقا كان فيه ثم صنع فى صفته فقال

ومنزل قبيح من منزل * النتن والظلمة والضيق
كأنني في وسطه فيشة * ألوطه والعرق الريق

(وكان) ابن شرف أعور أصلع فقال ابن رشيق يداعبه على طريق الاجازة

وأنت أيضا أعور أصلع * فوافق التشبيه تحقيق

ولو قال ابن شرف كأنني في وسطه فيشة في فقحة لكان أوضح في تشبيه المنزل

(قال) على بن ظافر وأخبرني القاضي الاعز بن المؤيد رحمه الله بما هذا معناه أنه كان عند أبي المعالي بن الشماس كاتب القاضي الاسعد بن مماتي في ليلة اصطلى فيها بالجمر من كؤس الخمر واجتلى بها النجوم الزهر من مجتنى نجوم الزهر قال فأفضت في ذمها وذكر عظيم اثمها ثم ندمت على ما فرط واعتذرت اعتذار من فرط فقلت

شربتم قهوة وشربت ماء * فأغناني اللجين عن النضار
ومن بانت أحبته وساروا * تعلل بالتشاغل بالديار

ثم استجزته فقال

وكنت نظيركم بالشم منها * ولكني سلمت من الخمار

(قال) على بن ظافر بتنا ليلة على المقياس عند مبالغة النيل في نقصه واحتراقه وانفراجه عما لم يزل مستورا من أرضه وانفراقه والمراكب قد انتظمت في لبته وركدت بالارساء فوق لجته وأحاطت به احاطة المحيط بنقطته وسفهاء الرياح تعبث بها حتى كادت تذهب بوقارها وأجسادها قد لبست لفقد الماء حداد قارها وهي في أوكارها من المراسي مزمومه وأجنحة قلوعها العارض الليل مضمومه فقلت بديها

أوما ترى المقياس قد حفت به * سود المراكب فوق ظهر اللجة
يسمو وقد حفت به كقلادة * سبجية في لبة فضيه

واستجزت القاضي الاعز بن المؤيد رحمه الله فقال

وكأنه حصن عليه عسكر * للزنج أقبل بنوده للعملة

*(ومنه اجازة بيتين بأكثر من بيت) كما روى العباس بن الفضل بن الربيع قال غضب الرشيد على جارية له فخلف لا يدخل اليها ثم ندم فقال

صد عني اذ رآني مفتتن * وأطال الصد لما أن فطن

كان مملوكي فأضحى مالكي * ان هذا من أعاجيب الزمن

ثم قال لجعفر بن يحيى اطلب لي من يزيد في هذين البيتين فقال ليس لهما الا أبو العتاهية وكان محبوسا فبعثوا اليه فكتب الى الرشيد

يا ابن عم النبي سمعا وطاعه * قد خلعنا الكساء والدراعه

ورجعنا الى الصناعة لما * كان سخط الامام ترك الصناعه

فأمر باطلاقه وصلته فقال الآن طاب القول ثم قال يجيزهما

عزة الحب أرته ذلتي * في هواه وله وجه حسن

فلهذا صرت مملوكا له * ولهذا شاع ما بي وعلن

فقال الرشيد أحسنت والله وأصبت ما في نفسي وأضعف صلته وذكرها الصولي في كتاب الاوراق بقريب من هذا وأنه كتب اليه لما أمر بالاجازة يقول

ضعف المسكين عن تلك المحن * اهلك الروح منه والبدن

ولقد كلفت شيئا عجبا * زاد في النكبة واستوفى المحن

قيل فرحنا ويأبى فرح * أن يوافيني في بيت الحزن

ولم يذكر العينية وأما يزيد بن محمد المهلبي فانه روى البيتين اللذين هما على قافية العين الموصلين بالهاء لاسحق الموصلي وذلك انه كتب بهما الى المأمون وكان قد ترك الغناء والمنادمة فسجنه (وذكر) محمد بن جرير الطبري في تاريخه الكبير قال خرج كوثر خادم الامين لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد فأصابه سهم غرب فجرحه فدخل على الامين وهو يبكي لالم الجراحة فلم يتمالك الامين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول

ضربوا قرة عيني * ومن أجلي ضربوه

أخذ الله لقلبي * من اناس أوجعوه

ثم أرتج عليه فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره باحضار شاعر يجيز البيتين فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال

ما لمن أهوى شبيه * فبه الدنيا تتيه

وصله حلو ولكن * هجره مر كريه

من رأى الناس له الفضـ * ـل عليهم حسدوه
مثل ما قد حسد القا * ئم بالملك أخوه

فأمر الامين له بوقر ثلاثة أبغل دراهم فلما ولى المأمون الخلافة واستقر الامر له توسل اليه عبد الله بالحسن بن سهل فلما دخل عليه قال ألست القائل ما لمن أهوى شبيه فقال بل أنا القائل

نصر المأمون عبد الله لما ظلموه
نقضوا العهد الذي كا * نوا قديما أكدوه
لم يعامله أخوه * بالذي أوصى أبوه

وأنشده في مدحه قصيدة أولها

جزعت ابن تيم أن علاك مشيب * وبان شباب والشباب حبيب

فأمر له بعشرة آلاف درهم (وذكر) أبو الفرج الاصفهاني في كتاب القيان والمغنين أن المأمون قال يوما لمتيم الهاشمية جارية علي بن هشام أجيزي

تعالى تكون الكتب بيني وبينكم * ملاحظة نومي بها ونشير
فعندي من الكتب المشومة حيرة * وعندي من شؤم الرسول أمور

فقالت

جعلت كتابي عبرة مستهلة * ففي الخد من ماء الجفون سطور
ورسلي لحاجاتي وهن كثيرة * اليك اشارات بها وزفير

(انبأني) الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي والشيخ الاجل الفقيه جمال الدين بن الحرستاني اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني أخبرني جعفر بن قدامة قال اشترى أبو عبادة جاريته سلمى اليمانية من نخاس مكي قدم بها عليه فلما جاءه بها أراد أن يمتحنها فأنشد

من لحب أحب في صغره * فصار أحدوثة على كبره
من نظر شفه فارقه * وكان مبدا هواه من نظره

ثم قال لها أجيزي فقالت مجيبة غير متوقفة

لولا التمني لمات من كمد * مرّ الليالي يزيد في فكره
ما ان له مسعد فيسعده * بالليل في طوله وفي قصره
الجسم يبلى فلاح الذبه * والروح فيما أرى على أثره

(أنبأني) الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي عن الحافظ السلفي اجازة قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن السراج اللغوي وابن يعلان الكبير قالا حدثنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا أبو الحسين المهلبي عن أبي الفوارس عن يعقوب بن السكيت قال عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج فخرجت اليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله

دمعة كاللؤلؤ الرطـ * ـب من الطرف الكحيل
هطلت في ساعة البيـ * ـن على الخد الاسيل

فقالت الجارية حين هم القمر الزا * هر عنا بالافول
انما يفتضح العشـ * ـاق في وقت الرحيل

(قال علي بن ظافر) ذكر ابن رشيق في كتاب الانموذج ما معناه. قال خرج أبو العباس بن حديدة القيرواني في جماعة من رفقائه طالبا للتنزه فحلوا بروضة قد سفرت عن وجنات الشقيق وأطلعت في زبرجد الارض الخضراء نجوما من عقيق والجو قد أفرط في تعبيسه ونثر اغيظه جميع ما كان من لؤلؤ القطر في كيسه فقال ابن حديدة

أوما ترى الغيث المعرس باكيا * يذري الدموع على رياض شقيق
فكأن قطر دموعه من فوقها * درّ تبدد في بساط عقيق

قال وأنشدنيهما فأجزتهما بأن قلت

فاجمع الى شكليهما بزجاجة * شكلين من حبب وصفو رحيق
فكأنما اقتصر العبرة عاشق * مهراقة في وجنتي معشوق

(وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام قال في كتاب الذخيرة ورواه الفتح بن خاقان في كتاب قلائد العقيان قال ذكر أبو اسحق بن خفاجة الجزيري الاندلسي قال اجتمعت مع عبد الجليل بن وهبون المرسي ونحن نريد المرية أيام مقام العدو بحصن بليط فبتنا بلزقه تتجاذب اذيال المذاكرة الى أن قام السفر

في السحر للسري والسفر وقد شهروا سلاحهم وأظهروا عددهم لقربهم من العدو فظهر من عبد الجليل من الجزع والارتياع والهلع ما ألجأني الى تسكينه بانشاد عجائب الاشعار وايراد غرائب الاخبار وهو لا يفهم ما أورده ولا يعقل معاني ما أسرده فمررنا في الطريق بمشهدين متقابلين وعليهما رأسان منصوبان فقلت

الا رب رأس لا تزاور بينه * وبين أخيه والمزار قريب

اناف به صاحد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه فهو خطيب

ثم استجزته باستطالة فقال

يقول حذار الاغترار فطالما * أناخ قتيل بي وفر سليب

وينشد ذا ناعر بيان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب

فان لم يزره صاحب أو خليله * فقد زاره نسر هناك وذيب

وهاهو أما منظرا فهو ضاحك * اليك وأما نصبه فكئيب

قال أبو اسحق فما أتم انشاده حتى طلعت سرية العدو فأوقعت بالركب فأناخ قتيلا ونجوت مسلوبا فعجبت من هذا الاتفاق (قال) وصنع يوما الاعز أبو الحسن بن المؤيد رحمه الله تعالى بديهاً في مغن

مغن صوته يحكيه في حسن وفي لين

يغنيني فيغنيني * ويحيي اذ يحييني

واستجاز شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين بن المجاور فقال

ويسقيني سلاف الرا * ح من فيه فيشفيني

تسجات به أجري * ولم أعطف على ديني

(ومنه اجازة أبيات بيت) كما أنبأني الشيخان تاج الدين أبو اليمن زيد بن حسن الكندي وجمال الدين الخرستاني اجازة عن الامام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر قال أخبرنا أبو القاسم الحسين بن الحسين بن محمد أخبرنا أبو الفرج سهل بن بشر أخبرنا أبو الحسين علي بن عبيد الله الهمداني اجازة أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن خيران أخبرنا ابن الانباري قال دخل الزبير بن بكار على أمير المؤمنين المعتز بالله وهو محموم فقال له يا أبا عبد الله اني قد قلت في ليلتي هذه أبياتا وقد أعيا علي اجازة بعضها وأنشدني

انى عرفت علاج الجسم من وجعى * وما عرفت علاج الحب والجزع
جزعت للحب والحمى صبرت لها * انى لأعجب من صبرى ومن جزعى
من كان يشغله عن حبه وجع * فليس يشغلنى عن حبكم وجعى
فقال أبو عبد الله
وما أمل حبيبى ليتنى أبدا * مع الحبيب ويا ليت الحبيب معى
فأمر له على هذا البيت بألف دينار (وبهذا الاسناد) عن الإمام الحافظ ابن عساكر قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد الملحى لفظا وكتبه لى بخطه قال حدثنى السابق أبو اليمن محمد بن الخضر المعرى قال اجتمعت بأبى عبد الله بن الخياط يعنى الشاعر الدمشقى بطرابلس وكنت أنا وهو نجلس فى دكان عطار نصرانى يعرف بأبى المفضل فيه ذكاء ومحبة للأدب فخرجنا يوما الى ظاهر البلد فاخترنا موضعا نجلس فيه على غدير هناك فقال ابن الخياط بديها
أوما ترى قلق الغدير كأنه * يبدو لعينك منه حلى مناطق
مترقرق لعب الشعاع بمائه * فتراه يخفق مثل قلب العاشق
فاذا نظرت اليه راقك لمعه * وعلالت طرفك من سراب صادق
ولم يفتح الله على السابق ولا بلفظة فقال العطار
قد كنت أرجو أن تكون مصليا * حتى رأيتك سابقا للسابق
فاستحسنا ما أتى به العطار وجعلناه من مأثور الاخبار قال أبو عبد الله وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتا واحدا وأبو عبد الله بن الخياط بخلافه يحفظ شعره منذ عمله الى أن مات *(ومنه اجازة أكثر من بيت بأكثر من بيت)* فمن ذلك ما ذكره الثعالبى فى كتاب اليتيمة من حكاية أبى الفرج الببغا فى دير مران ووصفها بأن قال وهى وان كان فيها بعض طول فالبديع غير مملول وكل ما أرويه وأسنده الى اليتيمة فى هذا الكتاب فهو مما أجازه لى القاضى الفقيه نبيه الدين أبو الحسن على بن المفضل المقدسى رحمه الله تعالى قال أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم على بن مهدى الاسكندرى قال أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله الجبار بن سلامة الهذلى قال أخبرنا أبو بكر محمد بن على ابن الحسن التميمى قال أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن محمد النيسابورى قال

أخبرنا أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبي وقد تقدم ذكر هذا الاسناد قال الثعالبي قال أبو الفرج واللفظ له تاخرت عن سيف الدولة بدمشق مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحوق به من أصحابه حتى ان ذلك كان يؤدي الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى أبي بكر علي بن صالح الروذباري لتقدمه في الرياسة ومكانه من الفضل فاحسن تقبلي وبالغ في الاحسان الي فتوفرت على قصد البقاع المستحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان في بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلحنا وتوجهت نحوه فلما حصلنا تحته أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة النفس حسبما جرى به الرسم والعادة في غشيان الاغمار وطروق الديرة من التطرف بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى أن فض اللهو ختامه واوح السكر لصحبي أعلامه فحانت مني التفاتة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثبا ولنظري اليه مترقبا فلما أخذته عيني أخذ يجعجع بخفي الرمز ووحي الايماء فاستوحشت لذلك وأنكرته ونهضت عجلا واستحضرته فأدرج لي رقعة مختومة وقال لي قد لزمك فرض الامانة فيما تتضمنه هذه الرقعة وسقط ذمام كاتبها في سترها عني ففضضتها فاذا فيها مكتوب بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه الرقعة يا مولانا بين حزم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة فرفعت سجف الحشمة وأطعت في الانبساط أوامر الانسة واستهزت في التوصل الى مودتك فائت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك الزورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من المسرة مهنأة بالانفراد الامن غلامك الذي هو مادة مسرتك

وماذا الذي عن خلق يضيق بطارق * ولكن لاخذي باحتياط على حالي

فان صادف ما خطبته منك أيدك الله قبولا ولديك نفاقا فغنيمة غفل الدهر عنها اذ فارق مذهبه فيما أهداه الي منها وان جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فذمام المروءة يلزمك ردّ هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها ان شاء الله تعالى واذا بابيات تتلو الخطاب وهي

يا عامر العمر بالفتوة والـ * ـقصف وحث الكؤوس والطرب

هل لك في صاحب تناسب في الـ * ـغربة أخلاقه وفي الادب

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك مستنصرا على النوب

فان تقبلت ما أتاك به * لم تشب الظن فيك بالكذب

وان أبى الدهر دون رغبته * فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فورد عليّ ما حيرني واسترد ما أخذه الشراب من تمييزي وحصل لي في الجملة أني الغالب على أوصاف صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما وشاهدته بالفراسة من ألفاظه وجدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته فقلت للراهب ويحك من هذا وكيف السبيل الى لقائه فقال أتماذكر حاله فاليه اذا اجتمعتما وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قات دانى قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك منصرفا فاذا صرت بباب الدير عدلت بك الى باب صغير تدخل منه فرددت الرقعة عليه وقلت ادفعها اليه ليتمكن انسه بي وسكونه الي ثم عرّفه أن التوفر على اعمال الحيلة في التوصل الى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب يضيع وقت بكتابته ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به فأنكروا ذلك مني فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كانوا عوّلوا على المبيت فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي صبي صغير كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكري بردّ الدابة وستر خبري ومباكرتي وتلقاني الراهب فعدل بي الى طريق في مضيق وأدخلني الدير من طريق غامض وصار بي الى باب قلاية تميز عما يجاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة بينهما فابتدرنا منه غلام كان البدر ركب على أزراره مهفهف

الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما تستره وتظهر مع رقتها ما تضمره وعلى رأسه محلسية مدمت فبهرعقلي واستوقف نظري ثم أجفل كالظبي المذعور وتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضي الحيطان رخامي الاركان يضم طارمة خيش مفروشة بحصير مستعملة فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة حسن الصورة ظاهر النبل والهيئة متزمن اللباس بزي غلافه فلقيني حافيا يعثر في سراويله واعتنقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لاجعل ما لعلك استحسنته من صورته مصانعا لما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصاره الطريق الى بسطي وارتجاله للبادرة على نفسه حرصا على تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة الى امتثال أمره وأنا في خلال ذلك أواصل المبالغة في الاعتداد به ثم قال يا سيدي أنت مكدود عن كان معك والتمكن من الانس بك لا يتم الا براحتك وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت يسيرا ثم نهضت نخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي عهدتها في دار الملوك وجلة الرؤسا ثم جاءنا خادم لم أر أحسن وجها ولا أتم سوادا منه يضم ما يتخذ للعشاء فقال يا سيدي العشاء مني للحاجة ومنك للمؤانسة فنلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحبا نابذخائر رياضها من المنظر الجناني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا عليه واقتعدنا غارب اللذة وجرينا في ميدان المفاوضة وأخذنا هينى نوادر الاخبار ويخلط ذلك من المزح بأظرفه ومن التودد بألطفه فلما توسطنا الشرب التفت الى غلامه وقال يا مترف ان مولاك لم يدخر عنا ممكنا من السرور بحضرته فينبغي لنا أن لا ندخر ممكنا من تمام مسرته فامتقع وجه الغلام حياء وخفرا فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد فمضى ثم عاد يحمل طنبورا وجلس وقال لي تأذن يا سيدي في خدمتك فهممت بتقبيل يديه لما داخلني من عظم المسرة بذلك فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى يقول

يا مالكي وهو ملكي * وسالبي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى فيـ * ـك عن تعرض شك
لولاك ما بت أبكي * الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت أن الشعر له وكدت والله ان أطير طربا وفرحا لملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة منطقه وتكامل حسنه فاستدعيت كبيرا فما حضر الغلام عدة قطع من البلور وجيد الجام المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ماشربت به ثم قال أنا والله ياسيدى أحب ترفيهك ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن حيث عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلابد أن تسم ليلتنا هذه بشئ يكون لها طرازا ولذكرها علما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب منى

وليلة أوسعتنى * لهوا وحسنا وأنسا
مازلت ألثم بدرا * بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدير سعدا * لم يبق مذ آب نحسا
فصار للروح منى * روحا وللنفس نفسا

فطرب لقولى ألثم بدرا وأشرب شمسا ثم جذب غلامه فقبله وقال لم أجهل ياسيدى مايجب لك من التوقير ولكنى اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فحياتى الا مافعلت ذلك بغلامك كما فعلت فأجبته خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازة لها

ولم أكن لغريمى * والله أبذل فلسا
لو ارتضى لى غريمى * بديرمران حبسا

فقلت له اذا والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا وداعبته فى هذا المعنى بما حضرنى وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قدركبه فقال لى ياسيدى قد خرج لك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك القصة فآثرت مراده فى كتمان أمره فقلت ياسيدى كل مالا يتعرف بك نكرة وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب وينتخب من غيرا كراه ولا ابطاء الى أن رأيت الشراب قددب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبهه الى الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببرذعة ففرشها بازاء برذعته فنهضت اليها فقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت ان لى مذهبا فى تقريب غلامى منى واعتمدت فى ذلك تسهيل مايختاره من غلامه فى هذه الحال فتبسم وقال لى جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك

وأظهرت النوم وعاد يحادث غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويخلط ذلك
بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة يقبل فمه
وغلبتني عيناي الى أن أيقظني هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان بما عليهما
من اللباس فاردت توديعه وكرهت انباههما وازعاجه فخرجت فلقيني الخادم
يريد ايقاظه وتعريفه انصرافي فأقسمت عليه أن لا يفعل ووجدت غلامي
قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعازما على العودة اليه
والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ومتوهما أن ما كنت فيه
منام لطيبه وقرب آخره من أوله واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف
الدولة فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك

ويوم كأن الدهر سامحنا به * فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا * الى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر * النسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضة * ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها * فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما * وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الايام منها مودة * دعتني الى ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة * يخاطبني من معدن النظم والنثر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة * محلى السجايا بالطلاقة والبشر
فكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب الى السحر
وأحشمني بالود حتى ظننته * يريد اختلاعي عن حياتي ولا أدري
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا * فكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء سرور أن يلينا بشادن * فلاطفنا بالبدر أو باخي البدر
يعط عيونا ما اشتهت من جماله * ومضن قلوبا بالتجنب والهجر
جنينا جنى الورد في غير وقته * وزهر الربا من ورد خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنحي دجا الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا * باوفر حظ من محاسنه الزهر

واستمعنا

ومتعنا من وجنتيه بمثل ما * تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو اذ دعا * اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالى غرن عنه فعندما * تنبهن بدلن الوفاء الى الغدر
مضى فكأنى كنت منه مهوما * يحدث عن طيف الخيال الذى يسرى
وهل يحصل الانسان من كل مابه * تسامحه الايام الا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ماسلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا نص خبر يؤديانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فبادأت بشئ قبل مصيرى الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا وهو لا يعلم ما السبب فلما رآنى استطار فرحا وأقسم لا يكلمنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك فلما جلسنا للمحادثة قال لى مالى أراك لا تسألنى عن صاحبك قلت والله مالى فكر ينصرف عنه ولا أسف يتجاوز ما حزته منه ولا سررت بعودى الى هذا البلد الامن أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكرلى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من الماردانيين جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال عظيم فخاس به ضمانه لقعود السعر عنه وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج مستخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن لى به ارتباط فانى كنت عنده يوما اذ ظهر لى وقال لصديقه انى أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا على فذكر له صديقه مذهبى وأظهرت له السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفه غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته فلما حصل فى قلايتى واصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب الى الغلام فاعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكى ثم وقف على السفاتج فأنفذها مع رقعة الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفى دينار وما يحتاج اليه من فرش وملبوس ولم يزل متكئا على ما رأيت الى أن ورد عليه البغال والآلات السنية الحسنة من مصر وكتب اليه أهله باجتماعهم بصاحب مصر وتعريفهم اياه الحال فى بعده عن وطنه لضيق ذات

يده عما يطالب به وا توقيع بحطيطة المال فلما أعمل المسير قال لغلامه سلم مابقى معك من النفقة الى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير الى أن نواصل تفقده فى مستقرنا وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجلها ما يخل بتفقدى ولا يغب برى (قال أبو الفرج) فتجلت بعد السلو بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد به (قال) على بن ظافر أقسم بالله ان هذه الحكاية ولن طالت لحقيقة أن تكتب بالمقل السود على صفحات الخدود ولقد أزرت برأى العقود بين الترائب والنهود فرحم الله أبا الفرج وصاحبه فلقد استحقا منا بهذه الحكاية حمدا وشكرا وأبقيا لهما فى الظرفاء ذكرا ولقد بلغ من طربى بها وارتياحى عند قراءتها مالى اوسع هذا الفتى الماردانى دعاء وترحما وأتبع ذكره صلاة عليه وتسليما حتى انى أكثر قصد ترب الماردانيين بالزيارة والدعا أملا أن يكون فى جملتهم وطمعا وما انا واياهم الا كما قال خالد بن يزيد

أحب بنى العوام من أجل حبها * ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وهذه غاية جهدى مع تربة دائرة ورمة بالية فرحمه الله كلما غرب نجم وطلع ونبت نجم وأينع بحرمة محمد نبيه صلى الله عليه وسلم (أنبانى) العماد أبو حامد أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل دخل الى شاب من أهل بغداد فأنشدنى هذه الابيات

فى نهر عيسى والهواء معنبر * والماء فضى القميص صقيل
والطير اما هاتف بقرينة * أو نادب يشكو الفراق ثكول
والدهر كالليل البهيم وانتم * غرر تضئ ظلامه وحجول

واستجازنى فقلت

والغصن مهزوز القوام كأنما * هبت عليه من الشمال شمول
وكأنما السمر والتحفن بسندس * ورقصن فارتفعت لهن ذيول

(قال على بن ظافر) واتفقت لى وللقاضى الاجل شهاب الدين يعقوب سفرة الى البيت المقدس للتبرك بما هنالك من البقاع المقدسة والمشاهد المعظمة

وأجداث الانبياء المباركة الطيبة فلما جدبنا المسير وسهل من فراق الاهل والاوطان العسير وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد ولم يسمع الاهيد وهاد صنع الشهابى

يارب سير كالشهاب المحرق
قد حثه من زندعود اورق
يسير فى الخرق مسير الاخرق
فهل رأت عيناك عدو النقنق
حتى اذا ما افتر ثغر المشرق

ثم استجازنى فقلت

ولاح فى الجو احمرار الشفق
كالخمر صبت فى زجاج أزرق
بدا على الآل قطار الاينق
كمثل سطر فى بياض مهرق
أو كالمدارى فى مشيب المفرق
كم بازل فى بحره كالزورق
أو كهلال مشرق فى زبرق .

(وهذه) أيضا حكاية بديعة تشتمل على نوعى الاجازة القديم والعصرى قصدت بايرادها فى هذا الموضع أن تكون دهليزا للخروج من القسم الاول والدخول فى القسم الثانى لما بينهما من الاشتراك فيهما (روى) من طرق مختلفة كتبت أكملها وأتمها أن الامير محمد بن عبد الله بن طاهر ارتاح الى منادمة من بعد عهده بمنادمته أومن لم يره وحضره صاحبه الحسن بن محمد بن طالوت وكان أخص الناس به فقال له لا بد لنا فى يومنا هذا من ثالث نطيب بمعاشرته ونلتذ بصحبته ومؤانسته فمن ترى أن يكون طاهر الاعراق غير دنس الاخلاق فأعمل فكره وأمعن نظره وقال أيها الامير قد خطر ببالى رجل ليست علينا فى مجالسته كلفة قد خلا من ابرام المجالسة وبرئ من ثقل المؤانسة خفيف الوقفة اذا أحببت سريع الوثبة اذا أمرت قال ومن ذاك قال مانى الموسوس قال أحسنت والله فتقدم الى أصحاب الارباع بطلبه فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربع الكرخ فصاربه الى باب الامير فأدخل الحمام وأخذ من شعره

وألبس ثيابا لطافا ثم أدخل عليه فقال السلام عليك أيها الامير فقال وعليك السلام يا مانى ألم يأن أن تزورنا على حين توقان منا اليك ومنازعة قلوبنا نحوك فقال مانى الشوق شديد والمزار بعيد والحجاب عتيد والبواب فظ عنيد ولو سهل الاذن لسهلت علينا الزيارة قال لقد ألطفت فى الاستئذان فلا تمتنع فى اى وقت جئت من ليل أو نهار ثم أذن له فجلس ثم دعا له بالطعام فأكل ثم غسل يده وأخذ مجلسه وكان محمد قد تشوق الى السماع من تنوسة جارية ابنة المهدى فأحضرت فكان أول ما غنت

واستبد ناس اذ غدوا فتحملوا * دموعى على الاحباب من شدة الوجد

وقولى وقد زالت بليل حمولهم * بواكر تحدى لا يكن آخر العهد

فقال مانى أحسنت والله ألا زدت فيه

أقمت أناجى الفكر والدمع حائر * بمقلة موقوف على الجهد والصد

ولم يعدنى هذا الامير بعزه * على ظالم قد لج فى الهجر والبعد

فاندفعت تغنيه فرق محمد بن عبد الله له وقال أعاشق أنت يا مانى قال فاستحيا وغمزه ابن طالوت لئلا يبوح له بشئ فيسقط من عينه فقال بل هلع وطرب أعز الله الامير وشوق كان كامنا فظهر وهل بعد المشيب من صبوة ثم اقترح محمد على تنوسة هذا الصوت من شعر أبى العتاهية

حجبوها عن الرياح لانى * قلت يا ريح بلغيها السلاما

لو رضوا بالحجاب هان ولكن * منعوها يوم الرحيل الكلاما

فغنته فطرب محمد ثم دعا برطل فشربه فقال مانى ما على قائل هذا الشعر لو زاد فيه فتنفست ثم قلت لطيفى * آه لو زرت طيفها الماما

خصها بالسلام سرا والا * منعوه لشقوتى أن تناما

فكان أبعث للصبابة بين الاحشاء وألطف تغلغلا على كبد الظمآن من زلال الماء مع حسن تأليف نظامه وانتهائه الى غاية تمامه قال محمد أحسنت والله يا مانى ثم أمر تنوسة بالحاقها هذين البيتين بالاولين ففعلت ثم غنت هذين البيتين من شعر أبى نواس

يا خليلى ساعة لا تريما * وعلى ذى صبابة فأقيما

ما مررنا بدار زينب الا * فضح الدمع سرها المكتوما

فاستحسنه محمد فقال مانى لولا رهبة التعدى لاضفت الى هذين البيتين بيتين

لا يردان على سمع ذي لب الا صدر استحسانه لهما فقال محمد الرغبة فيما تأتي به حائلة دون كل رهبة فهات ما عندك فقال

ظبية كالغزال لو لحظ الصخـ * ـر بطرف لغادرته هشيما
واذا ما تبسمت خلت ما يبـ * ـدى من الثغر لؤلؤا منظوما

فقال محمد أحسنت والله فأجز

لم تطب اللذات الا لمن * طابت له لذة تنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة * كانت بحسن الصبر محبوسه

فقال ماني

وكيف صبر النفس عن غادة * تظلمها ان قلت طاووسه
وجرت ان شبهتها بانة * في جنة الفردوس مغروسه

ثم سكت فقال محمد فأعدلى وصفك لها فقال

وغير عدل ان قرنا بها * جوهرة في التاج ملبوسه
جلت عن الوصف فما فكرة * تلحقها بالنعت محسوسه

فقالت تنوسة وجب علينا يا ماني شكرك فساعدك دهرك وعطف عليك الفلك وقارنك سرورك وفارقك محذورك والله تعالى يديم لنا السرور ببقاء من ببقائه اجتمع شملنا فأنشأ يقول

ليس لي الف فيقطعني * فارقت نفسي الاباطيل
أنا موصول بنعمة من * حبله بالجد موصول
أنا مشمول بنعمة من * منه في الخلق مبذول
أنا مغبوط بزورة من * ربعه بالجد ماهول

فأومأ اليه ابن طالوت بالقيام فنهض وهو يقول

ملك عز النظير له * زانه الغر البهاليل
طاهري في مركبه * عرفه للناس مبذول
دم من يشقى بصارمه * مع هبوب الريح مطلول

فقال محمد وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سلفت منا اليك ثم أقبل على ابن طالوت فقال يا هذا ليست خساسة ثوب المرء واتضاع المنظر ونبو العين بذاهبة جوهر الادب المركب فيه ولله در صالح بن عبد القدوس حيث يقول

لا يعجبنك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت فما رأيت أحدا أحضر ذهنا منه اذ تقول له الجارية عطف عليك الفلك فينفيها بقوله ليس لى الف فيقطعنى البيت قال ولم يزل محمد مجريا عليه رزقا سنيا الى أن مات

* (القسم الثالث ما تكون الاجازة فيه لشعر قديم) *

(فمنه) اجازة بيت ببيت كما روى اسحق الموصلى قال قال أبو المجيب شداد بن عقبة دعا رجل يقال له أبو سفيان رجلا من حيه اسمه القتال الكلابى الى وليمة فجلس القتال ينتظر رسوله ولا يأكل حتى ارتفع النهار وكانت عند امرأته فقرة من حوار فقالت له امرأته هلم الى هذه الفقرة فقال كلا والاله انى لعلى دعوة أبى سفيان فلما يئس قال

أظن أبا سفيان ليس بؤمكم * بخير فهاتى فقرة من حوارك

قال اسحق فقلت له ثم ماذا قال لم يات بعده بشئ انما أرسله يتيما فقلت أفلا أزيدك اليه بيتا آخر ليس بدونه قال بلى فقلت

فبيتك خير من بيوت كثيرة * وقدرك خير من وليمة جارك

فقال بابى أنت وأمى والله لقد أرسلته مثلا وانك لبن طراز ما رأيت فى العراق مثله وما يلام الخليفة على أن يدنيك ويؤثرك ويتملح بك ولو كان الشباب يشترى لابتعته لك باحدى يدى وبعينى على أن فيك بحمد الله منه بقية تسر الودود وترغم الحسود هذا من رواية الاصبهانى يتصل بعمر بن شبة وحماد عن اسحق (وفى رواية) تتصل بالاخفش ويزيد المهلبى أن اسحق قال أخبرنى أبو زياد الكلابى قال أولم بجار لى وذكر الحكاية والبيت الاول فيها لابى زياد فعلى هذه الرواية تكون من اجازة بيت عصرى ببيت (ومن ذلك) ماروى أحمد بن أبى فنن قال دخل أبو نواس على الذلفاء جارية ابن طرخان ودخل على أثره مروان بن أبى حفصة فرفعه مولاها عنه فغضب وقال أجيزى لجرير

غيضن من عبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فقالت تشبب بالرشيد

قد هجت بالبيت الذى أنشدتنى * حبا بقلبى للامام دفينا

فقام أبو نواس عند ذلك وخرج وهو ينشد

عجبا من حماقة الذلفاء * تتشهى فياشل الخلفاء

فقال ابن ابى فنن فأجزت أنا قول أبى نواس وأكثر الناس يروونه له

لو تشهيت غيره كان أولى * من أيور الدناة والضعفاء

ان أدنى الامور عندى منالا * شهوات الاكفاء للاكفاء

(وروى) أحمد بن معاوية قال قال لى رجل تصنعت كتبا فوجدت فيها بيتا جهدت جهدى ان أجد من يجيزه فلم أجد فقال لى صديقى عليك بعنان جارية الناطفى فجئتها فقلت أجيزى

فما زال يشكو الحب حتى رأيته * تنفس فى احشائه وتكلما

فلم تلبث أن قالت

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه * اذا ما بكى دمعا بكيت له دما

(روى العباس بن رستم) قال دخلت مع أبان اللاحقى على عنان فى خيشها فقال أبان العيش فى الصيف خيش فقالت مسرعة اذلاقال وجيش قال فأنشدتها لجرير

ظللت أوارى صاحبى صبابتى * وقد علقتنى من هوى الـعلاوق

فقالت اذا عقل الخوف اللسان تكلمت * بأسراره عين عليه نطوق

(وذكر الجهشيارى) فى كتاب الوزراء والكتاب حدثنا محمد بن الفضل الهاشمى قال حدثنا أحمد بن سلمة الكاتب أنه قال لعياش بن القاسم اجتمعت مع عمرو بن مسعدة وأحمد بن يوسف فى مجلس فيه قينة فغنت

اناس مضوا كانوا اذا ذكر الالى * مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال عمرو هو والله حسن الا أنه مفرد فأضيفوا اليه بيتا آخر فانه أحسن له وأطول للقافية وأطوع للغناء فيه فقال أحمد بديها

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

فغنت بهما المغنية فطربوا وشربوا عليهما بقية يومهم (وروى) على بن الحسن الباخرزى فى كتاب دمية القصر أن أبا جعفر محمد بن ابراهيم المعدنى معدن زوزن رأى على جدار بيتا مكتوبا

لكل شيء تفقده عوض * وما لفقد الشباب من عوض

فقال وليس في الدهر من شدائده * أشد من فاقة على مرض

(وذكر) أحمد بن أبي طاهر قال أتى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة

ومستفتح باب البلاء بنظرة * تزود منها قلبه حسرة الدهر

فقالت مسرعة

فوالله ما ندري أتدري بما جنت * على قلبه أم أهلكته ولا تدري

(وروى) الفضل بن العباس الهاشمي عنها وعن بنان الشاعرة قالت توكا المتوكل على يدي ويد فضل وقال أجيزا قول الشاعر

تعلمت اسباب الرضا خوف سخطه * وعلمه حبي له كيف يغضب

فقالت فضل

يصد وأدنو بالمودة جاهدا * ويبعدني بالوصال وأقرب

فقلت أنا

وعندي له العتبى على كل حالة * فما منه لي بد ولا عنه مذهب

(قال) علي بن ظافر أنشدني أبو القاسم الصيرفي قول عبد الله بن السمط

حار طرف تأملك * ملك أنت أم ملك

فقلت بديها بل تعاليت رتبة * فلك الارض والفلك

(وأخبرني) بهاء الدين بن الساعاتي المقدم ذكره قال غني مغن في مجلس كنت به حاضرا

يا بدر عذالي عليك كثيرة * والمسعدون على هواك قليل

فأجزته بديها فقلت

في الصبر عن هذا القوام ولينه * قصر وفي شرح الصبابة طول

(وأخبرني) الاديب أبو القاسم العداس المنبوز بالراوية قال قصد الشيخ أبو الخير سلامة الانباري الضرير النحوي تعجيزي بين يدي الشيخ العلامة أبي محمد بن بري لشر كان بيني وبينه فقال لي ان كنت شاعرا كما تزعم فأجز

أدرجت في أثناء نسيانكم * حتى كأني ألف الوصل

فقلت بديها وكنت عين الفعل في قربكم * فصرت لام الجزم في الفعل

(قال) علي بن ظافر أنشدني بعض أصحابنا هذا البيت من شعر ابن منير وسألني اجازته

يجل عن التشبيه فى الحسن وجهه * فبدر الدجا من حسنه يتعجب
فقلت فى تضمينه اقتضاها سؤاله

ومن كان بدر التم يعجب ان رأى * محاسنه بالبدر كيف يلقب

ومنه ما تكون الاجازة فيه لبيت بأكثر من بيت (روى) أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أن بذلا الكبيرة جارية عبد الله بن موسى الهادى غنت بين يدى المأمون

ألا لا أرى شيأ ألذ من الوعد * ومن أمل فيه وان كان لا يجدى

وأبدلت مكان الوعد السحق فقال لها المأمون يا بذل أخطأت النبك ألذ من السحق ثم صنع المأمون بديها وقال زيديه ما فيه *

ومن غفلة الواشى اذا ما لقيته * ومن زورتى أبياتها خاليا وحدى

ومن ضحكة فى الملتقى ثم سكتة * وكلتاهما عندى ألذ من النهد

(وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال غنى يوما بين يدى العالى الادريسى بمالقة بيت لعبد الله بن المعتز

هل ترى البدر يحتال * ان غدت للسير أجمال

فأمر الفقيه أبا محمد غانم بن الوليد المالقى باجازته فقال بديها

انما العالى امام هدى * جليت فى عصره الحال

ملك اقبال دولته * لذوى الافهام اقبال

قل لمن أكدت مطالبه * راحتاه الجاه والمال

(وأخبرنى) أبو الحسن بن الساعاتى المقدم ذكره قال غنى مغن فى بعض المجالس

أسفى على بان القدود * ريان أثمر بالنهود

وكان عندنا بالمجلس رجل كبير الانف متطايب وكان ينعت بالسديد فأردت العبث به فقلت بديها

يا مانعى صفو الوصا * ل ومانحى كدر الصدود
ما ضاقت الدنيا على * وقد حوت أنف السديد

(وغنى) بعض القوالين يوما

سلام على من لست أرجو وصاله * وغير الصبا مالى اليه رسول

(فأجابه) الشهاب بن المجاور بديها بقوله

تراجعنى عن خده وهو عاطر * وترجع عن عطفيه وهى بليل
وما كنت لولا هجره بمروع * ولو صدنى عنه قنا ونصول
أناه فانى لا أصيخ للائم * ولو أن حد المشرفى عذول
سأصبر لا يدرى هواى فينثنى * ولا أنا أرجو عطفه فاقول

(وأخبرنى) القاضى الموفق بهاء الدين أبو على بن الدياجى كاتب الدست الشريف قال أنشدنا مولانا السلطان الملك الكامل خلد الله ملكه قول الشاعر

ترحل من حياتى فى يديه * فيا أسفى ويا شوقى اليه

واستجازالجماعة فقلت

ومن هذا يكون عليه مثلى * وهذى الريح أخشاها عليه

وقال الامير الاجل الكبير صلاح الدين أدام الله توفيقه

ألا يا ليته ان كان يأتى * حياتى ثم موتى فى يديه

ومنه ما تكون الاجازة فيه لا كثر من بيت (ذكر) أبو العتاهية قال حبسنى الرشيد لتركى الشعر وغلقت على الابواب فبقيت دهشا كما يدهش مثلى لتلك الحال فاذا رجل جالس فى جانب السجن وهو مقيد فجعلت أنظر اليه ساعة فتمثل بقوله

تعودت حسن الصبر حتى ألفته * فأسلمنى حسن العزاء الى الصبر
وصيرنى يأسى من الناس راجيا * لحسن صنيع الله من حيث لا أدرى

فقلت له أعد أعزك الله هذين البيتين فقال لى ويلك يا أبا العتاهية ما أسوأ أدبك وأقل عقلك دخلت على السجن فما سلمت تسليم المسلم على المسلم ولا سألت مسئلة الحر للحر ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذى لا فضيلة فيك سواه لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسئلتك عنهما عذرا لنفسك فى طلبهما فقلت يا أخى انى دهشت من هذه الحال فلا تعذلنى واعذرنى متفضلا فقال أنا والله بالدهش والحيرة أولى منك لانك حبست على أن تقول الشعر الذى به ارتفعت وبلغت ما بلغت واذا قلته أمنت وأنا حبست على أن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه والله لا أدل عليه أبدا والساعة يدعى بى فأقتل فأينا أحق بالدهش فقلت أنت والله أولى

سلمك الله وكفاك ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك فقال اذا لا أبخل عليك ثم أعاد على البيتين حتى حفظتهما وأجزتهما بقولي

اذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ثم سألته عن اسمه فقال أنا أبو حاضرة داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد قال فلم نلبث الا قليلا حتى سمعنا صوت الاقفال فقام فسكب عليه ماء من جرة كانت عنده ولبس ثوبا نظيفا ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعا وقدم قبلي الى الرشيد فسأله عن احمد بن عيسى فقال لا تسألني عنه وافعل ما بدا لك فلو أنه تحت ثوبي ما كشفت عنه فأمر به فضربت عنقه ثم قال لي أظنك يا اسمعيل ارتعت فقلت دون ما رأيته تسيل منه النفوس فقال ردوه الى محبسه فردوني (وذكر) ابن عبد ربه في كتاب العقد قال صنع أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي

أنا أبو دلف البادي بقافية * جوابها يعجز الداهي من الغبط

من زاد فيها له رحلي وراحلتي * وخاتمي والمدى فيها الى القبط

قال فظن أنه لا ثالث لهاتين القافيتين فصنعت

قد زدت فيها ولو أمسى أبو دلف * والنفس قد أشرفت منه على الغبط

قال علي بن ظافر تذاكرنا بهذه الرقعة فقال بعض الحاضرين لم يبق رابعة فصنعت أزيد فيها ولوما تابغبطهما * ما ألقت النمل أحيانا من البيظ

وذلك أن كل بيض لطائر أو حيوان فبالضاد الا بيظ النمل فانه بالظاء وكل ما يقبض من اناء وغيره فبالضاد الا قبظ النفس فانه بالظاء ثم صنع القاضي الاعز بن المؤيد رحمه الله بعد ذلك بديها

ذو الحزم لا يتعدى في فعائله * مادام للناس تكوين من البيظ

والبيظ ههنا ماء الرجل ثم صنع شهاب الدين ابن أخت الوزير نجم الدين رحمه الله

يا سادتي في القوافي قلما تركوا * كمائح البئر لم يترك سوى البيظ

حازت قوافيكم الظاآت أجمعها * كمثل ما حيزت البيظ بالبيظ

لكن مواعيد باديكم أبي دلف * لا صدق فيها كمثل الال والبيظ

البيظ في القافية الاولى بقية الماء في نقرة البئر وهي الحفرة التي يبقى فيها الماء بعد نزحها وفي القافية الثانية قشرة البيض الرقيقة فوق المح وهو الغرقىء قال زهير

كأن البيض لفقه قناعا • على الهامات كرات الدهور

وفي القافية الثالثة خيال وجه الانسان في السيف قال عبيد

كأن وجوه نسل بنى نمير • مثال البيض في السيف اليمانى

قالوا وجعها بالطاء ولست على يقين من صحة ذلك وأظن أن صاحب العقد وهم في كون قائل البيتين أبا دلف العجلى فان أبا دلف أفضل وأفصح وأعلم وأشرف من أن يقع في مثل هذا وأظن قائلهما أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعى الشاعر الوالى كان بالبصرة للمقتدر بالله سنة خمس وثلثمائة (وبالاسناد المتقدم ذكره) ذكر صاحب اليتيمة أن الصاحب أمر أبا محمد الحسن بن أحمد البروجردى باجازة هذين البيتين

يا نسيم الريح من بلدى • خبرى بالله كيف هم

ليس لى صبر ولا جلد • ليت شعرى كيف صبرهم

فقال ولسان الدمع يشهد لى • وهو ممن ليس يتهم

(وأنبأنى) الفقيه أبو الحسن بن المقدسى اجازة قال أنبأنى الشيخ أبو القاسم مخلوف بن على القيروانى عن أبى عبد الله محمد بن أبى سعيد السرقسطى عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى نصر بن عبد الله الحميدى قال أخبرنى أبو الوليد الحسين بن محمد الكاتب المعروف بابن الفراء قال حضرت عند عمى وعنده أبو عمر القسطلى يعنى ابن دراج وأبو عبد الله المعيطى فغنى المعيطى

مروع منك كل يوم • محتمل فيك كل لوم

يا غايتى في المنى وسؤلى • ملكت رقى بغير سوم

فأعجبنا بهذين البيتين فقال ابو عمر أنا أضيف اليهما ثالثا لا يتأخر عنهما ثم قال

تركت قلبى بغير صبر • فيك وعينى بغير نوم

(وذكر) ابن بسام في كتاب الذخيرة أن المعتمد بن عباد غنى بين يديه بقول ابن المعتز

وخمارة من بنات المجوس • ترى الزق في بيتها سائلا

وزنا لها ذهبا جامدا • فكالت لنا ذهبا سائلا

فأجازهما بقوله

وقلنا خذى جوهرا ثابتا • فقالت خذوا عرضا زائلا

(ونقلت) من خط عبد الجليل بن عبد المحسن الكاتمى الشاعر الاسيوطى قال

غنى لنا يوما بعض القوالين هذين البيتين وهما لابى العلاء الاسدى من شعراء اليتيمة

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا * حلفوا لى أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفراق شمل اتصالى * جمع الله شملهم أين كانوا

قال فأجزتهما بقولى بديها

أنا ممن يدين فى الرجعة الآ * ن تراهم بمذهب الصب دانوا

(قال على بن ظافر) ومما هو من هذا الباب الا أن الاجازة فيه لسد فرجة بين البيتين ما ذكره صاحب المقتبس من أن أبا الحسن زريابا المغنى مولى المهدى المروانى غنى يوما بين يدى الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ملك الاندلس بهذين البيتين

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده * أنت الخبير بموقع السهم

فقال عبد الرحمن هذان البيتان منقطعان فلو كان بينهما ما يوصلهما الكان أبدع فقال عبد الرحمن بن قزمان

فأجبتها والدمع منحدر * مثل الجمان هوى من النظم

فاستحسنه وأمر له بجائزة (ومما) يجرى مجرى الطرف ما أخبرنى به الاديب أبو القاسم بن نفطويه أنه جلس أيام اشتغاله على الشيخ الاستاذ العلامة أبى محمد بن برى مع جماعة من تلامذته فتذاكروا ما يعانيه الشيخ من بلادة بعض طلبته وهو رجل كرهت ذكره مع فرط اعتنائه بتعليمه وشدة عنائه فى تفهيمه فأنشد أحدهم قول أبى العباس المبرد

أقسم بالمبتسم العذب * ومشتكى الصب الى الصب
لو قرأ النحو على الرب * ما زاده الا عمى القلب

قال فقلت ارتجالا

قد عذب الله به شيخنا * فى هذه الدنيا بلا ذنب

فضحك الجماعة واستظرفوا البيت (ومنه ما تكون الاجازة فيه بأكثر من بيت لاكثر (فمن ذلك) ما ذكره اسحق الموصلى قال أنشدنى شداد بن عقبة لجميل

بثين سلينى بعض مالى فانه * يبين عند المال كل خليل

وانى وتكرارى الزيارة نحوكم * لبين يدى هجر بثين طويل

قال فقلت لشداد أفلا أزيدك فيهما قال بلى فقلت مسرعا

الاليت شعرى هل تقولين بعدنا * اذا نحن أجمعنا غدا لرحيل

ألاليت أياما مضين رواجع * وليت النوى قدساعفت بجميل

فقال أحسنت والله ان هذا لهو الشعر الضائع فقلت وكيف قال نفيته عن نفسك بتسميتك جميلا فيه ولم يلحق برتبة شعر جميل فضاع بينكما جميعا (أنبانى) الشيخان الاجل العلامة تاج الدين الكندى والفقيه جمال الدين بن الحرستانى اجازة قالا أخبرنا الامام الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى سماعا عليه قال أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقى عن أبى القاسم التنوخى أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عثمان الخرقى الفارقى الحنبلى التميمى قال كنت بالرملة سنة ثلثمائة وخمس وستين وقد ورد اليها القرمطى أبو على القصير الشاب فاستدنانى منه وقربنى الى خدمته فكنت ليلة عنده اذ حضر الفراشون بالشموع فقال لابى نصر بن كشاجم وكان كاتبه يا أبا نصر ما يحضرك فى صفة هذه الشموع فقال انما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه فقال أبو على فى الحال بديها

ومجدولة مثل صدر القناة * تعرت وباطنها مكتسى

لها مقلة هى روح لها * وتاج على الرأس كالبرنس

اذا غازلتها الصبا حركت * لسانا من الذهب الاملس

وان رنقت لنعاس عرا * وقطت من الرأس لم تنعس

وتنتج فى وقت تلقيحها * ضياء يجلى دجا الحندس

فنحن من النور فى أسعد * وتلك من النار فى أنحس

تكيد الظلام وما كادها * فتفنى وتفنيه فى مجلس

فقام أبو نصر بن كشاجم وقبل الارض بين يديه وسأله أن يأذن له فى اجازة الابيات فأذن له فقال

وليلتنا هذه ليلة * تشاكل اشكال اقليدس

فيا ربة العود غنى لنا * ويا حامل الكاس لا تجلس

فتقدم بأن يخلع عليه وحملت اليه صلة سنية والى كل من الحاضرين (وأخبرنى) الامير شمس الدولة عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن على بن منقذ بن نصر بن منقذ

قوله ويا حامل الكاس الخ فى نسخة ويا حابس الكاس لا تحبس اه

منقذ رحمه الله تعالى قال جرت بيني وبين القاضي المهذب أبي محمد الحسن بن علي بن الزبير مفاوضة في قول الشعر بديها وذلك في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة قال كنت في مبدا عمري أملي الشعر املاء كالمحفوظ على من يكتبه فربما سبقته بالاملاء ولا أتوقف فجعلت أتعجب من قوله تعجبا يظهر منه الاستبعاد فقال وكأنك تستصعب هذا انما الصعب أن تقترح على الشاعر العمل في معنى مخصوص على قافية شاذة في وزن معين وان أردت أن تقف على حقيقة ما قلته ليزول عنك الشك وتدركه بالرؤية لا بالرواية فأنشدني ما أعمل لك عليه قال فأنشدته من شعر الحماسة

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها * لقاء عدو أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا * وان يظهروا ما قد أجن ضميري

فأنشد مبادرا كأنه يحفظ ما ينشده

صبرت على جور الزمان وصرفه * وان كنت يوم البين غير صبور
وان الذي يبغي اعتلاقا بودها * لمستمسك منها بحبل غرور
أرى الناس قد فكوا العناة تحرجا * فهل لك يوما في فكاك أسير
اذا أظلمت أيامنا من صدودكم * جلوتم بدورا في ظلام شعور
ولم أر فيمن استعين به سوى * عذول نمن لي فيكم بعذير
وان ظباء الوحش تحسب منكم * بحسن نفور عندها ونحور
وما كنت ممن يصبح الحب قادرا * عليه ولكن ذا المفعل قدير

قال الامير فجئت استحسانا لما أتى به وتعجبا من سرعته فقال أنشدني غير هذا لئلا تقول انه محفوظ لي فامتنعت تحرجا من ذلك فأبى الا أن أنشد فأنشدته

وما فارقت لبنى عن ثقال * ولكن شقوة بلغت مداها

فاسترسل مع آخر انشادي قائلا

وكل مني النفوس الى انقطاع * اذا بلغت لعمرك منتهاها
أناديها وليس تجيب قولي * كأني قد دعوت بها سواها
سألقي دونها نبل الاعادي * وأرمي منهم من قد رماها
وأصبر للتجني كل يوم * وما أنا بالصبور على قلاها
سلاها حين مال القلب عنها * ولم يعلق سواها هل سلاها

ومن هذا الذى عفى حماها * على قرب ولم يدخل حماها
وضنت بالسلام على بخلا * وقد ضمنت اطارقها قراها
وعين حل فيها السحر لما * أحلت فى نواظرها قذاها
غدا الاعراض حظ مؤملها * وأمسى اليأس غاية من رجاها
أود ومهجتى فى راحتيها * مدى الايام لوجعلت فداها

قال الامير وحين انتهى الى هذا الحد ورأيت شدة تجمعه وفرط تحفزه وما يعانيه فى احضاره أرذ هنه قطعته اشفاقا عليه (ومما وقع من هذا الباب) وكانت الاجازة فى وسط الشعر صلة لمعنى منقطع ما أخبرنى به الشيخ أبو عبد الله محمد بن على القرمونى قال أنشد والدى الشيخ أبو الحسن على بن محمد اليحصبى القرمونى قول ابن الرومى

شهر الصيام مبارك * مالم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته * فوقعت فى نفس العذاب

فقال هذان البيتان منقطعان ويحتاجان الى مايصل بينهما فقال بديها

اليوم فيه كأنه * من طوله يوم الحساب
والليل فيه كأنه * ليل التواصل والعتاب

(الباب الثالث فى بدائع بدائه التمليط)

التمليط هو أن يجتمع شاعران فصاعدا على تجريد أفكارهم وتجريب خواطرهم فى العمل فى معنى واحد وأما اشتقاقه فذكر ابن رشيق أنه من أحد شيئين اما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام فى مردّ الكتفين قال جرير

ظللن حوالى خدر أسماء وانتحى * بأسماء موّار الملاطين أروح

فكأن كل قسيم أو بيت ملاط أى جانب من البيت أو القطعة والآخر أن يكون من الملاط وهو الطين يدخل فى البناء ملط به الحائط تمليطا أى يدخل بين اللبن حتى يصير شيأ واحدا وأما الملط وهو الذى لا يبالى ما صنع والاملط وهو الذى لاشعر له فى جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه (قال على بن ظافر) فن التمليط ما يكون بين شاعرين ومنه ما يكون بين شعراء ومنه ما يكون بقسيم لقسيم ومنه ما يكون ببيت لبيت ومنه ما يكون ببيتين لبيتين والفرق بينه وبين الاجازة أن التمليط يتفق فيه الشعراء قبل العمل على العمل أو يندبون لذلك

وتكرر منهم المناوبة وهذان ليسا من شروط الاجازة

(فما وقع من التمليط بين شاعرين بقسيم لقسيم) وهذا النوع يسمى المماتنة ما أنبأني به الشيخان تاج الدين الكندي وجمال الدين الخزستاني اجازة عن الامام الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي قال أخبرنا محمد بن طاوس أخبرنا عاصم بن الحسن أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا الحسن بن صفوان حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني أبو عدنان البصري حدثني الصامت بن مخبل اليشكري سنة احدى وتسعين ومائة وأخبرني به أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال أقبل امرؤ القيس حتى لقي التوأم اليشكري وكان اسمه الحرث ويكنى أباشريح فقال امرؤ القيس

أحار ترى بريقا هب وهنا فقال التوأم كنار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس أرقت له ونام أبو شريح فقال التوأم

اذا ماقلت قدهدأ استطارا فقال امرؤ القيس كأن حنينه والرعد فيه

فقال التوأم عشار وله لاقت عشارا فقال امرؤ القيس

فلم يترك ببطن الارض ظبيا فقال التوأم ولم يترك بجهلتها حمارا

فقال امرؤ القيس فلما أن دنا لقفا أضاخ فقال التوأم

وهت اعجاز ريقه فحارا

فقال امرؤ القيس لا أتعنت على أحد بعد ذلك بالشعر (وروى) ابن الكلبي عن أبيه قال حدثني شيخ من بني زياد بن عبد المدان وكان عالما بقومه قال نشأ غلام من بني جنب يقال له رفاعة ويقال له المحترش فنبغ في الشعر وماتن شعراء قومه حتى أبر عليهم فلما وثق من نفسه بذلك قال لابيه لاخرجن الى قبائل اليمن فان وجدت أحدا يماتنني رجعت الى بلادي وان لم أصادف من يماتنني تقربت قبائل العرب فنزل بصرم من بني فهد والحي حلوف فأتى حجرة عن جنب الحواء فاذا عجوز حيزبون قد أقبلت معتمة تتوكأ على محجن فقالت عم ظلاما فقال نعم ظلامك فقالت من الرجل قال فقلت من مذحج قالت من أيهم قلت من جنب قالت أضيف انت فقلت نعم قالت فلاحلاك الله ما عدوت أن بخلتنا وأسأت أحدوثتنا ثم أثارت ناقتي وكنتها في خبائها

وأمرت وليدة لها فجاءت بعتود يرح فى اهابه سمنا ومدية وقالت اذبح أيها
الرجل واعتجنت وامتلت وطبخت وقربت طعاما وجلست أنا وهى والوليدة
فلما تعشينا قالت مارمى بك الى هذه البلاد فأخبرتها خبرى فضحكت وقالت بت
فسأجيئك غدا بعشر خرائد تماتنك دون الرجال فان غلبت فارجع الى بلادك
واعلم انك ترمى من مرام فبت فلما أصبحنا اذا العجوز قد أقبلت ومعها ثلاث
فتيات كالمهرات فابتدرن الى الحجرة وأقبلت العجوز فحيتنى وسألتنى عن صبيتى
ثم أومأت الى احداهن فأقبلت كالعيدانة يميلها الصبا فقالت أنت المتحدى
بالمماتنة فقلت نعم فقالت قل أسمع فقلت

سوام تداعت سومها وعجافها فقالت حوامل اثقال تنوء فتزحح
فقلت اذا أيهت فى حجرتيها رعاؤها فقالت سمت فرق منها شوامر لقح
فقلت نواء تداعى بالحنين عشارها فقالت فتبرح نارا أو تبيت فتسنح
فقلت اذا وصلت أرضا تهادرتها فقالت أفاويق رسل محضه لا تضيح
فقلت اذا انسفعت أخلافها خاف ما جرى فقالت
على الارض منه لجة تتضحضح فقلت أمطلقة أم ذات بعل فقالت
عقال لعمر والله لو شئت بنه * شرادى ولكن التكرم أجدر

فقمت الى راحلتى فقالت العجوز رويت أم أحلب لك أخرى فقلت أروتنى
الاولى فقالت الحق الآن بأرضك فخرجت أريد الرجوع الى قومى فأبى بى
اللجاج الا قصد ما خرجت اليه فدفعت الى صرم من جرم فاذا صبيان على غدير
يتجزون فدعوت غلاما منهم من أبشرهم فقلت يا غلام هل فى صرمكم من
يماتننى فانى قد برزت على شعراء العرب فقال أنا فقلت أنت أيها الفصيعل
فقال قل ودع عنك ما لا يجدى فقلت أوابد كالجزع الظفارى أربع فقال
حماهن جون الطرتين مولع فقلت يرودهن الروض فى الامن جاره
فقال وأحلى لهن المستضى والمودع فقلت فلما اشتكت امات قردانه السفا
فقال وخب على البيد السفير المهذع فقلت
وشبت على الاكباد نار من الصدى فقال تظل لها بين الحيازيم تلذع
فقلت أولى لك وامتطيت راحلتى حتى دفعت الى شيخ يرعى غنيمات له فاستقريته
فقام مبادرا الى قعب له فاحتلب ما كان فى ضروعهن ثم جاءنى به فشربت فلما

اطمأننت قال مارمى بك الى هذا القطر فاخبرته وكتمت مالاقيت فكشر وصاح بغلمة يرعون قريبا منه فأقبل غلام منهم فقال ادع عشرقة فمالبث أن أقبلت جويرية عجفاء كأنها ويلة خيسفوج حتى وقفت بين يديه فقال ان ابن عمك هذا اخرج من بلاده يتحدى بالمماتنة فهل عندك شئ فقالت قل أيها المتحدى وانها لتقلب عينيها كعينى الارقم فقلت غبابسرة زرقاء فى ظل صخرة

فقالت ذخيرة غزاء الذرى جونة النضد

فقلت نفى سبلان الريح عن متنها القذى

فقالت وذادت غصون الايك عن متنها الوفد

فقلت سباب مجاج الخلص الدرارية

فقالت بصهباء صرف جيب عن صفوها الزبد * فتركت له وملت الى جهة اخرى ووصفت ناقة فقلت

اذا التشج الحرباء فى رأس عوده فقالت وألجأ أم الحسل فى متنها الصخد

فقلت أثارت تنونا بين تحت حجاجها فقالت حوالك اشباه كرانية الجلد

قال فرحت وآليت أن لا أماتن أحدا ماعشت (تفسيرها فى الكلام والشعر) العتود الجذع من الغنم اوفوق ذلك والعيدانة النخلة الطويلة قال الشاعر

واذا مشين مشين غير جوارب * هز الجنوب نواعم العيدان

والشوامر التى قد شالت بأذيالها أى رفعتها والنواء السمان الواحدة ناوية قال الشاعر

ألا يا حمز للشرف النواء * وهن معقلات بالفناء

والبارح الذى يمر وميا سره عن مياسرك والسانح الذى يمر وميامنه عن ميامنك وأهل نجد يتيامنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وأهل الحجاز يخالفونهم فى ذلك * وأفاويق جمع فواق ويمكن أن يكون جمع فيقة وهى السكنة بين المطرتين والسكتة بين الحلبتين قال

حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت * جاءت لترضع شق النفس لو رضعا

والضيح اللبن الذى صب فيه ماء وكذلك المذق قال الراجز

امتحا وأسقيانى ضيحا * فقد كفيت صاحبى الميحا

وانسفحت انصبت وبه سمى السفاح التغلبى لانه سفح ماء أصحابه وقال لا ماء

اـكم دون الكلاب   قال

وأخوهما السفاح ظمأ خيله * حتى وردن جبا الكلاب نهالا

الجبا الماء بعينه والجبا الحوض أيضا * والضحضاح الماء القليل يضطرب على وجه الارض * والخيفوج القطوف والخشب اليابس (ومن ذلك) ماروا. أبو عزبة قال أقبل النابغة الذبيانى يريد سوق بنى قينقاع فلحق الربيع بن أبى الحقيق نازلا من أطمه فلما أشرفا على السوق سمعا الضجة وكانت سوقا عظيمة فحاصت بالنابغة ناقته   فقال

كادت تهال من الاصوات راحلتى   ثم قال ياربيع أجز فقال

والنفر منها اذا ما أوجست خلق   فقال ما رأيت كاليوم شعرا ثم قال أجز

لولا أنهنهها بالزجر لاجتذبت   فقال

منى الزمام وانى راكب لبق   فقال النابغة

قد ملت الحبس فى الآطام واشتعفت   فقال

الى مناهلها لو أنها طلق   فقال النابغة ياربيع أنت أشعر الناس

(ومن ذلك) مارواه ابراهيم بن المدبر عن ابراهيم بن العباس الصولى قال وحدثنى به دعبل أيضا وكانا متفقين قال كنا نطلب جميعا بالشعر فخرجنا سنة وكنا فى محل فابتدأت أقول فى المطلب بن عبد الله   أمطلب أنت مستعذب

فقال دعبل   لسمر المنايا ومستقتل   فقلت   فان أسف منك تكن سبة

فقال دعبل   وان أعف عنك فما تفعل

(وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال حدثنى محمد بن يحيى قال قدم أعرابى اسمه عتبة يقول الشعر وكان ظريفا من الاعراب فضمه الحسن بن وهب اليه فاجتمع الحسن يوما وابراهيم بن العباس فقال لهما عتبة هذا ان كنتما تقولان الشعر بالعجلة فاهجوانى فقال الحسن   لمن طلل فى رأس عتبة مقمل

فقال ابراهيم   عفته رياح الصفع تعلو وتسفل   فقال الحسن

شكا ما يلاقيه من الصفع رأسه   فقال ابراهيم   تناوبه منه جنوب وشمأل

فقال الاعرابى والله ائن لم تمسكا لاخرجن من البلد (وذكر الصابى فى كتاب الوزراء والكتاب) قال روى أبو الفتح منصور بن محمد بن المقتدر الاصفهانى قال كان أبو القاسم بن ابى العلاء الشاعر من وجوه أهل اصفهان وأعيانهم

ورؤساتهم فحدثني أنه رأى فى منامه قائلا يقول له لم ترث الصاحب بن عباد
مع فضلك وشعرك فقلت ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدر بم أبدأ منها وخفت أن
اقصر وقد ظن بي الاستيفاء لها فقال أجزما أقول قلت قل فقال
ثوى الجود والكافى معافى حفيرة فقلت ليانس كل منهما بأخيه
فقال هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت ضجيعين فى قبر بباب دريه
فقال اذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت أقاما الى يوم القيامة فيه
(ومن ذلك) ما أخبربه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى كتابه المسمى بالحديقة
قال أخبرني محمد بن حبيب القلانسي الشاعر قال حضرنا ليلة بمجلس السلطان
أبي يحيي تميم بن المعز بن باديس فالتفت حميد بن سعيد الشاعر الى مملوكين من
مماليكه قد جمعا بين رأسيهما متناجيين فقال لي ملط
انظر الى اللمتين قد حكيا فقلت جنحي ظلام على صباحين فقال
فاعجب لغصنين كلما انعطفا فقلت ماسا من اللين فى وشاحين فقال
ظبيان يحمي حماهما أسد فقلت لولاه كانا لنا متاحين فقال
فلو تدانيت منهما لدنت فقلت منى فى الحين أسهم الحين
(ومن ذلك) ماروى أن المعتمد بن عباد ركب فى يوم قاصدا الجامع والوزير
أبو بكر بن عمار يسايره فسمع أذان مؤذن فقال المعتمد
هذا المؤذن قد بدا باذانه فقلت يرجو بذاك العفو من رحمانه فقال
طوبى له من شاهد بحقيقة فقلت ان كان عقد ضميره كلسانه
(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن على بن عبد الوهاب بن خليف بالاسكندرية
قال أخبرني الاديب المعروف بابن رزين قال أخبرني عبد الجبار بن حمديس
الصقلى قال أقمت باشبيلية لما قدمتها وافدا على المعتمد بن عباد مدة لا يلتفت الى
ولا يعبأ بي حتى قنطت لخيبتي مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي فاني
لكذلك ليلة من الليالى فى منزلي اذ أتاني غلام ومعه شمعة ومركوب فقال لي
أجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فأجلسني على مرتبته وقال
افتح الطاق الذى يليك ففتحته فاذا بكور زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه
وواقده يفتحهما تارة ويسدهما أخرى ثم أدام سد أحدهما وفتح الآخر فحين
تأملتهما قال لي ملط انظرهما فى الظلام قد نجما فقلت كما رنا فى الدجنة الاسد

فقال يفتح عينيه ثم يطبقها فقلت فعل امرئ فى جفونه رمد فقال فابتزه الدهر نور واحدة فقلت وهل نجا من صروفه أحد فاستحسن ذلك وأمر لى بجائزة سنية وألزمنى خدمته (واخبرنى) رجل من التجار يعرف بأبى الفضل بن فتوح المصرى قال سكنت بدار فى الخطة المعروفة بدويرة خلف فرأيت جميع جدران المنزل مكتوبة بأخبار بديعة وأشعار مستحسنة السبك ووجدت فى جملتها لما دخلت بجاية عند عبورى اجتزت فى بعض الايام بصديق لى من المعلمين وهو فى مكتبه وصبيانه قد حفوا به فأحضر صبيا منهم وقال لى اختبره فانه يقول الشعر الجيد فقلت له أجز وشادن ذى شطاط فقال يحيى له وبباطى فقلت موكل بضميرى فقال معلق بنياطى فعجبت من سرعة بديهته مع صغر سنه ثم تمادى الامر فاشتهر بقول الشعر فنمى الى السلطان تميم بن المعز أنه هجاه وأنه قال فيه

بلد مظلم وملك ظلوم * وهما فيه حمة وتميم

هو فيها كمالك والمقيمو * ن بها المجرمون وهو الجحيم

فاستحضره السلطان واستخبره عما قال فيه فأنكره وقال انما قلت

عز جاىى فذا مناخ كريم * هذه حمة وهذا تميم

هذه الجنة التى وعد الله وهذا صراطه المستقيم

فاستظرفه تميم واستلطفه وأكرمه ثم صرفه * قال المخبر بهذه الحكاية ثم تقصيت عن المنزل فقيل لى انه كان منزل أبى الصلت حين قدومه الى مصر (قرأت) فى بعض المجاميع أن شاعرا من أهل تنس من بلاد افريقية قصد المعتمد على الله ابن عباد وهو باشبيلية أيام جوازه للقاء أمير المؤمنين ابن تاشفين للاستنجاد به فوصف له فحضر فأنشده فقال هذا يصلح لمنادمتنا الليلة وأمر بامساكه فسقى وجرى فى المجلس حديث فرس أدهم كان مشهورا بالاندلس وعزيز المحل عند المعتمد واتفق أن الرجل سكر ونام فخرج منه ريح بصوت شديد فقال المعتمد ارتجالا فواعجبا من ضعيف القوى * تزلزلت الارض من ضرطته ثم قال لندمائه لايشعره أحد بما جرى واستيقظ الرجل فقال كالمعتذر من نومه ان هذا النوم سلطان فقال بعض الندماء الحاضرين صدقت قد سمعنا طبله فجعل الرجل يقول رأيت فى منامى كأن السلطان أعزه الله قد حملنى على فرس

ادهم

أدهم من صفته كذا ومن صفته كذا فقال المعتمد صدقت قد سمعنا تحمّل صهله
ثم قال المعتمد قولوا في هذا شيأ فقال بعض الحاضرين
وضرطة كالجرس فقال المعتمد أو كصهيل الفرس فقال الشاعر
أفلتها صاحبنا فقال المعتمد عند انصرام الغلس فقال الشاعر
سمعتها من سبتة فقال المعتمد وأصلها من تنس
(وأخبرني) الاديب أبو عبد الله محمد التوزري قال حدثني الشيخ الباغاني
النحوي قال تذاكرت مع الشيخ الزاهد ابي الفضل اليشكري رضي الله عنه
أمر أبي الهيثم الشاعر فقال اجتمعت به ليلة وكان نديمنا فيها فتى رامياً وضيء
الوجه فقلت له مستخبراً قريحته وسالكا به من التصنع غير مذهب أجزما أقول
نشبت نشائب حب هذا الناشب فقال بحشى حشاه نار وجد غالب
فقلت تصمى رمايته القلوب كأنما فقال يرمى الورى عن قوس ذاك الحاجب
قال الشيخ أبو الفضل فقلت انما تظهر القرائح في التشبيه ونظرت الى السماء
فاذا الجوزاء متوسطة فقلت وكأنما الجوزاء في وسط السما فقال
درّ تناثر من قلادة كاعب قال الشيخ أبو الفضل ومررت به يوما وهو
مطرق يفكر فقلت أراك تصنع شعرا فقال نعم لحبي بدرا
فقلت قد حار وصفي فيه فقال فتركي الوصف أحرى فقلت
هذا على أن ذهني فقال من عاصف الريح أجرى
(وأخبرني) العماد أبو حامد قال روى السمعاني في تاريخه عن محمد بن علي بن
أحمد بن جعفر بن الحسين البندنيجي أنه قال سمعت والدي يقول سمعت عم
والدي أبا سعيد عقيل بن الحسين يقول أتاني آت في المنام فقال هل لك أن
تصرع وأتمم أو تتمم وأصرع فقلت لا بل أصرع وتتمم فقال لي يا عيار
هربت من القافية ولكن قل فقلت
هل عندكم رحمة يرجو عواطفها فقال صب تشكت الى الشكوى جوارحه
فقلت اغلقتم كل باب في مودته فقال وفي يدي ظبيكم كانت مفاتحه
فقلت ما أمسكت قلبه اذ لم يطر جزعا فقال من فرط حر الجوى الا جوانحه
ثم استيقظت (وأخبرني) القاضي الاعز أبو الحسن علي بن المؤيد رحمه الله قال
أخبرني والدي قال كان الصالح طلائع بن رزيك الوزير لا يزال يحضر

مجلسه فى امالى الجمع جلساؤه وبعض امرائه لسماع قراءة مسلم والبخارى وأمثالهما من كتب الحديث وكان الذى يقرأ رجلا أبخر فلعهدى وقد حضر المجلس مع الامير على بن الزبير والقاضى الجليس أبى محمد عبد العزيز بن الحباب وقد أمال وجهه الى القاضى المهذب بن الزبير وقال له

وأبخر قات لا تجالس بجنبى فقال الامير اذا فابات بالليل البخارى

فقال الجليس ولم قال

فقلت وقد سئلت بلا احتشام * لانك دائما من فيك خارى

(قال على) بن ظافر أخبرنى أيضا هو وشهاب الدين يعقوب المقدم ذكره بما هذا معناه قالا جلسنا فى بعض الايام لاجتناء زهر المحادثه واقتناء درر المنافثه فسمعنا صوت شبابة تذكر الاشيب الهرم زمان الشبيبه وتحرك من الخرف الهم غزله وتشبيبه وصوتها أشجى من أنين المشتاق لفرط الاشواق وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق الى الفراق فقال شهاب الدين

وشبابة ثبت لظى الشوق فى قلبى فقال الاعز تذكرنى عهد الصبابة والحب

فقال شهاب الدين حبتنى على بعد بترجيعها الصبا

فقال الاعز فأحيت فؤادى المستهام على قرب

(وأخبرنى) الشهاب قال انفردت ببوصير يوما بالفقيه رضى الدين أبى اسحق ابن عبد البارى رحمه الله وكنا خرجنا اليها فى خدمة الوزير نجم الدين رحمه الله وكان قد مضى اليها متنزها فجاس الينا غلام من أولاد بعض الرؤساء الذين كانوا فى خدمته حسن الوجه ثم انصرف فقال الرضى

لله يوم مضى ببوصير فقلت والعيش صفو بغير تكدير فقال

نديمنا فيه شادن غنج فقلت مكحل جفنه بتفتير

(قال) على بن ظافر وجلست مع الشهاب يوما بالجامع الانور بالقاهرة لانتظار الجمعة وكان يجلس بالقرب من مكاننا صبى رضى ينهب وجهه وشعره من البدر نوره ومن الليل ديجوره واغتصب طرفه وعطفه من الظبى كحله ومن الغصن تميله ينعت بالشمس فتأخر حضوره يوما فتعاطينا القول فى غيبته فقلت أفدى الذى غاب فغاب السرور فقال الشهاب

واتسع الهم بضيق الصدور فقلت وأظلم الانور من بعده فقال الشهاب

وليس بعد الشمس للافق نور (واتفق لى) انى اجتمعت ليلة مع القاضى ابى الحسن بن النبيه ومعنا جماعة من شعراء مصر فأنشدهم قول مؤيد الدين الطغرائى فى الهلال

قوموا الى لذاتكم يا نيام * وأترعوا الكاس بصفو المدام
هذا هلال العيد قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال المذكور لو شبهه بمنجل ذهب يحصد نرجس النجوم لكان أولى ثم قال نظما انظر الى حسن هلال بدا فقلت يذهب من أنواره حندسا فقال كمنجل قد صيغ من عسجد فقلت يحصد من شهب الدجى نرجسا ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين يدركهما الناقد البصير فقلت

أما ترى الهلال يخفى أنجم الافق بنور وجهه الوسيم
كمنجل من ذهب يحصد من * روض الظلام نرجس النجوم

(ومن التمليط الواقع بين شاعرين بيت لبيت) ويسمى هذا النوع الانفاذ ما ذكره أبو الفرج برواية تتصل بحماد الراوية قال تحرك كعب بن زهير لقول الشعر فنهاه زهير مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروى له ما لا خير فيه فكان يضربه فى ذلك فيغلبه فلما طال عليه أخذه فحبسه ثم قال والذى أحلف به لا يبلغنى أنك قلت بيتا الا نكلت بك فبلغه أنه يقول فضربه ضربا مبرحا ثم أطلقه وسرحه فى بهمة وهو غليم صغير فانطلق فرعاها ثم راح عشية وهو يرتجز

كأنما أحدو ببهمى عيرا * من القرى موقرة شعيرا

فغضب زهير فركب ناقته وأردفه وهو يريد أن يتعنته ليعلم ما عنده من الشعر فقال زهير حين برز من الحى منشدا

وانى لتعدينى على الهم جسرة * تخب بوصال صروم وتعنق

ثم ضرب كعبا وقال أجز لكع فقال

كبنيانة القرئى موضع رحلها * وآثار نسعيها من الدم أبلق

فقال زهير

على لاحب مثل المجرة خلته * اذا ما علا نشزا من الارض مهرق

ثم ضربه وقال أجز فقال

منيرهداه ليله كنهاره * جميع اذا يعلو الحزونة أفرق

قال فبدأ ابنه زهير في وصف النعام ونزل عن حركة القاف يتعنته بذلك ليعلم ماعنده فقال

وظل بوعثاء الكثيب كأنه * خباء على صفياء بوان مورق

بوان عمود من أعمدة البيت فقال كعب

تراخت به خب الضحى وقد رأى * سماوة قشراء الوظيفين عوهق

فقال زهير

يحن الى مثل الحبابير جثم * لدى منتج من بيضها المتفلق

الحبابير جمع حبارى ويجمع أيضا على حباريات فقال كعب

تحطم عنها بيضها عن خراطم * وعن حدق كالنبخ لم يتفلق

النبخ الجدرى شبه عيون أولاد النعام به قال فأخذ زهير بيده وقال قد أذنت لك في قول الشعر يابني فلما نزل وانتهى الى أهله قال قصيدته وهو صغير يومئذ وهي أول شعر روى له

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع * لعرض أبيه في المعاشر ينفق

(ومن ذلك) ما أنبأني به الشيخان الشيخ الاجل العلامة تاج الدين الكندي والشيخ الفقيه جمال الدين الحرستاني قالا أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر سماعا عليه أخبرنا أبو العزبن كاديس أخبرنا أبو يعلى بن الفراء أنبأنا أبو القاسم اسمعيل بن سعيد بن المعدل بن سويد أنبأنا أبو علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي أنبأنا دعبل بن ذكوان أخبرنا الثوري عن الاصمعي عن ابن أبي طرفة قال جلس حسان بن ثابت ليلة ومعه ابنته ليلى فجعل يريد شعرا يقوله فقال

متاريك أذناب الامور اذا اعترت * تركنا الفروع واجتثثنا أصولها

ثم جعل يريد الزيادة فلم يقدر فقالت له ابنته كأنك قد أجبلت قال نعم قالت أفأجيز عنك قال نعم فقالت

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا * كرام يعاطون العشيرة سولها

فحمي حسان فقال

وقافية

وقافية مثل السنان رزينة * تناولت من جو السماء نزولها
فقالت يراها الذي لا ينطق الشعر عنده * ويعجز عن أمثالها أن يقولها
فقال والله لا قلت بيت شعر مادمت حية قالت أو أومنك قال فذلك قالت
فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت (وروى) عقيل بن خالد عن ابن شهاب
أن مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير اجتمعا ذات يوم في حجرة عائشة رضي
الله تعالى عنها والحجاب بينهما وبينها يحدثانها ويسألانها فجرى الحديث بين
مروان وابن الزبير ساعة وعائشة تسمع فقال مروان

فمن يشأ الرحمن يخفض بقدره * وليس لمن لم يرفع الله رافع

فقال ابن الزبير

ففوض الى الله الامور اذا اعترت * وبالله لا بالاقربين ادافع

فقال مروان

وداو ضمير القلب بالبر والتقى * فلا يستوي قلبان قاس وخاشع

فقال ابن الزبير

ولا يستوي عبدان هذا مكذب * عتل لارحام العشيرة قاطع

فقال مروان

وعبد يجافي جنبه عن فراشه * يبيت يناجي ربه وهو راكع

فقال ابن الزبير

وللخير أهل يعرفون بهديهم * اذا اجتمعت عند الخطوب المجامع

فقال مروان

وللشر أهل يعرفون بشكلهم * تشير اليهم بالفجور الاصابع

فسكت ابن الزبير ولم يجب فقالت عائشة رضي الله عنها يا عبد الله مالك لم تجب
صاحبك فوالله ما سمعت تجاول رجلين تجاولا في نحو ما تجاولتما فيه أعجب
الي من تجاولكما فقال ابن الزبير اني خفت عوار القول فكففت فقالت
عائشة رضي الله عنها أما ان لمروان ارثا في الشعر ليس لك من قبل صفوان بن
محرث الكناني وكانت أم مروان آمنة بنت علقمة بن صفوان (وروى) ابو عبد
الله الجماز قال كنت أنا وأبو نواس جالسين عند باب عثمان اذ مر بنا أحمد بن عبد
الوهاب الثقفي وهو غلام حسن فقال له أبو نواس قبلني قبلة فقال لا حتى

تقول فى شىء فقال أبو نواس

حلك يا أحمد اضنانى * يا قمرا فى زى انسان

فقبله فقلت وأنا فما شأنى فقال حتى تقول فى فقلت

بذلت للاول ما يشتهى * فجد أبا العباس للثانى

فقبلنى فقال أبو نواس وهذا بيت يكون عندك دينا وأنشد

يا وردة أعجلها قاطف * مرت بنا فى باب عثمان

(وذكر الاصبهانى فى كتاب الاغانى) قال دخل أبو نواس على عنان جارية الناطفى وهى تبكى وقد كان سيدها ضربها فأومأ اليه الناطفى أن يحركها بشئ فقال

عنان لو جدت لى فانى من * عمرى لا آمر الرسول بما

فقالت مسرعة

فان تمادى ولا تمادى فى * قطعك حبلى أكن كمن حرما

فقال علقت من لو أتى على أنفس الـ * ـسابقين والغابرين ما رحما

فقالت لو نظرت عينها الى حجر * ولد فيه فتورها سقما

(قال أبو الفرج) وقرأت فى بعض الكتب دخل بعض الشعراء على عنان فقال لها مولاها عاتبيه فقالت

سقيا لبغداد لا أرى بلدا * يسكنه الساكنون يشبهها

فقال كأنها فضة مموهة * أخلص تمويهها مموهها

فقالت أمن وخفض ولا كبهجتها * أرغد أرض عيشا وأرفهها فانقطع

(وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال قال على بن يحيى المنجم كنت عند أبى الصقر اسمعيل بن بلبل فقال حديثه علينا * بشكله وبقده

فقلت جزاؤه كلما أتانا * أن يهان بصده

فقال وقد ملا الارض طرا * بتيهه وببرده

فقلت يا رب فامنن علينا * قبل الممات بفقده

(وذكر محمد بن أيوب الغرناطى فى كتاب فرحة الانفس فى أخبار أهل الاندلس) أن الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل جلس فى جماعة من خواصه ومعهم ابو القاسم لب وكان يعده للمجون

فقال له اهج عبد الملك بن جهور أحد وزرائه فقال أخافه فقال لعبد الملك فاهجه
أنت فقال أخاف على عرضى منه فقال أهجوه أنا وأنت ثم صنع
لب أبو القاسم ذو لحية * طويلة فى طولها ميل
فقال عبد الملك وعرضها ميلان ان كسرت * والعقل مأفون ومخبول
فقال الناصر للب اهجه فقد هجاك فقال بديها
قال أمين الله فى عصرنا * لى لحية أزرى بها الطول
وابن عبير قال قول الذى * مأكوله القرضيل والفول
لولا حيائى من امام الهدى * نخست بالمنخس شو
ثم سكت فقال الناصر هات تمام البيت فامتنع فقال له قولو يعنى تمام البيت
قالها الناصر مسترسلا غير متحفظ من زيادة الواو وابدال الهاء واوا اذ صوابه
قله على حكم المشى مع الطبع والراحة من التكلف فقال لب يا مولانا أنت
هجوته ففطن الناصر والحاضرون وضحكوا وامر له بجائزة * القرضيل شوك
له ورق عريض تأكله البقر وشوا اسم ذكر الرجل بالرومية وقولو اسم
للاست فكأنه قال لولا حيائى من امام الهدى نخست بالمنخس الذى هو
الذكراسته (قال على بن ظافر) أخبرنى من أثق به وهو الشيخ أبو عبد الله محمد
ابن على القرمونى بمامعناه اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والاستاذ
ابو العباس بن صارة فى يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورقه ودقه والارض
قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فترافدا فى صفتها
فقال ابن صارة
هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار
فقال ابن القبطرنة
وكأن هذا الجو فيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار
فقال ابن صارة
فاذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار
فقال ابن القبطرنة
من أجل ذلة ذا وعزة هذه * يبكى الغمام وتضحك الازهار
(قال على بن ظافر) وأخبرنى أبو يحيى بن أحمد السبتولى بمامعناه أخبرنى كل

قوله فى طولها ميل هكذا فى نسخة وهو أنسب بقوله وعرضها ميلان وفى نسخة أخرى أزرى بها الطول وهو أنسب بقوله لى لحية الخ تأمل اه مصححه

من الاديب أبي عبد الله المتيطي وأبي العباس أحمد بن خير سبتة عشية في منار سبتة والشمس قد آذنت بالرواح ونثرت زعفرانها على مسك البطاح

فقال ابن خير عشيتنا وقد لبست رداءى * شحوب للتفرق والوداع

فقال المتيطي

فيا شمس الاصيل أراك تشكو * كشكواى أطبعك من طباعى

فقال ابن خير

فلا تجزع لعل الدهر يوما * يجود على التفرق باجتماع

(قال على بن ظافر) وقال لى السنولى ما معناه وأخبرانى أيضا أنهما مرّا على صبى نجار ينجر أخشاب سفينة كان البدر يبسم عن محياه والزهر ينسم عن رياه وهو يبذل من أخشابه ما كان مصونا ويعاقبها بالقطع لسرقتها حركات أعطافه حين كانت غصونا فتجاريا القول فيه فقال المتيطي

ورب ظبى غرير * يروع بالهجر روعى

فقال ابن خير ذلت له الخشب طوعا * كذلتى وخضوعى

فقال المتيطي فقلت حبى ماذا * تبغى بهذا الصنيع

فقال ابن خير فقال أنشى سفينا * لرحلتى ونزوعى

فقال المتيطي فقلت دونك فاجعل * سفينة من ضلوعى

فقال ابن خير شراعها من فؤادى * وبحرها من دموعى

(قال على بن ظافر) وأخبرنى القاضى الاسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه أبي الحسن على بن الذروى رضى الله تعالى عنه ومعنا رجل سيئ الخلق كثير الضجر والحنق ذو صدر يضيق عن مثقال الذره ويتسع عنه اتساع الافق لسم الابرة فترافدنا فى ذمه فقال ابن الذروى لو كان سرمك مثل صدرك ضيقة طال اشتياق حماره للفيشل

فقلت ولكنت أول من يقال بأنه * بغاء الا أنه لم يدخل

(وأخبرنى) الاديب عبد المنعم بن صالح الجزيرى قال اجتمع عندى ابن المنجم والوجيه أبو الحسن بن الذروى والفقيه الاديب أبو الفضل المنبوزبطرى وجلسوا للحديث فدخل علينا أبو الربيع سليمان بن تنين الطحان وذكر أنه رأى رجلا مصلوبا على الجسر وطعن بعد صلبه فقال الوجيه ابن الذروى

يا أصحابنا اصنعوا فى هذا شيأ فقال ابن المنجم انما يصنع فيه من يتهم بأنه لا يشعر وليس ههنا من يتهم الا الشيخ أبو الفضل والشيخ أبو الربيع فليصنعا يتبين على حرف الذال على سبيل المرافدة ليثبت لهما ما ادعياه من قول الشعر فصنع طبرى فى الحال

ومضيع تخذ الجذوع مطية * فتقطعت لركوبها أفخاذه

وأطال أبو الربيع التفكر وافتضح فى تمادى التأمل فدس اليه ابن المنجم رقعة صغيرة فيها

وبدا السن الرمح فيه نفاذة * أخنى على افلاذه فولاذه

ونماوا لهاله بحيث فطنت الجماعة وتغافلوا وخفى الامر على طبرى لسوء بصره فقال بيتى خير من هذا البيت وأكثر الصياح والجلبة فقال له ابن الذروى دع عنك هذا القول ألست القائل فى بيتك تخذ الجذوع فهذا صلب على جذع أوماثة وقلت أفخاذه فله فخذان أو عشرة وأوحى اليه بالقصة فأقصر عن الكلام ثم التفت ابن الذروى الى سليمان وقال له قد ثبت اليوم عملك للشعر فانصرف وقد ألزموه بعمل دعوة سرورا بذلك (وأخبرنى) الاديب أبو القسم عبد الرحمن العداس قال اجتمع فى منزلى أبو الفضل جعفر المنبوز بشلعلع والمهذب وابن سعدان الدمشقى فأنشدنا ابن سعدان قصيدتين مفرطتى الطول وقال صنعتهما وبيضتهما وحملتهما للممدوحين فى يومى هذا وكان الظهر لم يؤذن به بعد فردنا عليه قوله فأخذ يدعى قوة الارتجال وسرعة البديهة فقال له جعفر هذا مكان يمكن فيه اقامة البينة من كل مدع ثم أطرق وقال

ولقد قطعت اليوم غير مفصص * بمهذبين محلق ومقصص

وقال له اصنع على هذا البيت والزم الصادين فقال ابن سعدان هذا ينبغى أن يقوله صاحب المنزل وصدق لان جعفرا عنى بقوله محلق نفسه وعنى بقوله مقصص ابن سعدان لانه كان يفرط فى قص لحيته فقال له جعفر قل فلم يصنع شيأ فقلت أنا

وطفقت اغتنم السرور كأنما * قد فزت من لذاته بتلصص

ثم استدعينا منه القول فما أمكن وكأنما يبس أو اعتراه الخرس فقال المهذب

فكأنما اسقيتها من خاتم * ورق بياقوت المدام مفصص

ثم استدعيناه فلم يقل شيأ فقلت أنا أصنع عنك وقلت ونزلت عن تكرير الصاد

أشني المقند فى المدام فدامة * وأحب كل مسامح ومرخص

وانقضى المجلس ولم يصنع شيأ (قال على بن ظافر) وكتب الى القاضى الاعز ابن المؤيد من الاسكندرية ولفظ الخبر له قال تسايرت أنا والقاضى المخلص أبو العباس أحمد بن يحيي بن عوف بشاطئ خليج الاسكندرية من جهة القنطرة المعروفة بقنطرة السوارى وقد رفعت اشجاره على غناء اطياره وملأ لها ساقى الغمام كؤوس جلناره فبينما نحن نتناشد من نفيس رقيق الاشعار ونتعاطى من كؤوس رحيق الاخبار ونتعجب من سماء ذلك الماء كيف خلت من البدور ومن نجوم تلك الازهار مع طلوع شمس النهار كيف لا تغور اذا بجوار هناك جوار وبدور من قبل السوارى سوار فقلت

لله أى بدور * من السوار سوارى

فقال المخلص من كل هيفاء جرى الـ * وشاح خرسى السوار

فقلت لاحت فخلت وحلت * قلبى وعقد اصطبارى

فقال تنوب فرعا ووجها * عن الدجى والنهار

فقلت فناظراها وقلبى * ما بين راض وضار

فقال وخدها وفؤادى * من جلنار ونار

فقلت تحكى الغزالة فى بهجة وحسن منار

فقال والظبى فى حسن جيد * ومقلة ونفار

(قال على بن ظافر) وأخبرنى شهاب الدين يعقوب ابن أخت الوزير نجم الدين المقدم ذكره بما معناه جلسنا على بركة فى منظرة خالى بالجزيرة وقد ألقى عليها وردا أحمر ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها ونقبت حمرة خدوده صفحة مائها وأهدى رمدة الى مقلتها الزرقاء فصح سرورنا بدائها فقال رضى الدين اسحق بن عبد البارى

وبركة صادقة الصفاء فقلت بريئة من دنس الاقذاء

فقال نقب فيها الورد وجه الماء فقلت فأبصرت من مقلة رمداء

(وأخبرنى أيضا) هو والشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبى أنهما كانا مجتمعين فمر عليهما صبى من أبناء السواديين بسوق

بقر أو كان وضيء الوجه حسن القد فتعاطينا القول فى صفته

فقال الشهاب بنفسى غزالا يسرق البقر * ويقتل عمدا نفوس البشر

فقال الشريف بدا فبدا الغصن فوق الكثيب * وبدر الدجى فى ظلام الشعر

فقال الشهاب تقل الغزالة عن وجهه * ويصغر تشبيهه بالقمر

فقال الشريف شكوت اليه غرامى به * فأعرض عنى دلالا ومر

فقال الشهاب حلالى لما انثنى قده * ولكنه لحياتى أمر

(قال على بن ظافر) كنت فى بعض العشايا بالقرافة أنا والاعز بن المؤيد المقدم ذكره فى منزل قد انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طينه ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه والنسيم قد خفت فاعتل وسقط رداؤه فى الماء فابتل ووهت قواه فضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير فاقترح علينا أصحاب لنا كانوا معنا أن نصنع فى صفة تلك العشية على هذه القافية

فقال الاعز

جاء النسيم الى الغصون رسولا * ومشى يجرّ على الرياض ذيولا

فقلت نشوان يعثر فى الخمائل عابثا * بالزهر مبلول الرداء عليلا

فقال فتمايلت قاماتها فكأنما * شربت بكاسات الشمال شمولا

فقلت فكأنه قد هز رايات له * خضرا وسل من المياه نصولا

فقال قد أطلعت من زهرها غررا ومن * جارى المياه بسوقها تحجيلا

فقلت تحكى العرائس فى القلائد للثرا * لبست خلاخل فضة وحجولا

فقال ضحكت مباسم زهرها ولطالما * بكيت بدمع الهاطلات طويلا

فقلت وبدا عليها الجلنار كأنه * وجنات خود سمتها التقبيلا

فقال سلت عليهن البروق صوارما * فكسونها منه دما مطلولا

فقلت وتناظرت اطيارها فيه وقد * أكثرن قالا فى الهديل وقيلا

قوله بكيت الخ هكذا فى النسخ وحقه بكت وان كان الوزن لا يساعده تأمل اهـ مصححه

(قال على بن ظافر) ومررت أنا وهو رحمه الله يوما بدولاب يئن أنين ثكالى فقدت اطفالها والنواعج أضلت آفالها ويبكى بكاء صب آلمه هواه وصارمه من يهواه وفرق البين بينه وبين محبوبه فراقا لا يرجى انقطاعه ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا استرجاعه فقلبه قد ملأته أوجاعه وجفنه

قد ضاق مجراه عن دمعه فتفتحت به اضلاعه فقلت

وساقية تئن انين ثكلى * شكت بأنينها حرّ الاوار

فقال تحنّ ولا تزال تطوف عجلى * كرازمة تحنّ الى حوار

فقلت غدت تحكى محباً اذا انتحاب * يطوف باكيا فى رسم دار

فقال حكت فلكا لجلب اللهو دارت * عليه من قوادسه دراري

(وبصرنا) بساقية تتلوى تلوى الافعوان وتخفق خفقان قلب الجبان والزهر قد نظم بلبتها عقودا فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويلبسها غلائل مفركة فقلت أساقية أم أرقم فرّ هاربا فقال أم الريح قد هزت من الماء قاضبا فقلت

حصى مثل درّ الثغر أجرى زلاله * رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

فقال يوشيها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مرّ الرياح جلابيا

(واجتمعت) أنا وشهاب الدين يوما فتعاطينا القول فى صبى ينعت بالشمس قد مضى ذكره فقال

وشمس اذا ما اشرقت يكسها الحيا * شقيقا ويلبسنى الهوى حلة الورس

فقلت يلوح فأبكى حين أنظر وجهه * وبالقمر يبكى من يحدق للشمس

(قال على بن ظافر) واجتمعنا بالقرافة فى ليلة وقد عمّ السرور الارض بسحابه وغمرها بفائض انسكابه فأنبتت نواحيها زاهى جلنار من شعل النار فى غصون مائسات كحبال القرقيسات وكشف بها النور سجف الظلماء ونقل طرف الليل الى الشيبة الشقراء عن الشبة الدهماء وزهت الارض بشهب النيران على جوّ السماء فترافدنا القول فقلت

أنعت ليلا مدلهما أقتما فقال أشعل بالنار وكان أدهما فقلت أضحى من الحسن منيرا مظلما فقال كاثرت النيران فيه الانجما فقلت فلم نكد نعرف أرضا من سما

(قال على بن ظافر) واجتمعنا يوما على أن نتغزل فى غلام رأيناه كان الشمس من ازراره أشرقت وكان النار من وجناته أنارت وما أحرقت ذى خيلان قد انبتت دهم خيلها فى محياه وتفرقت لاقتناص فرسان القلوب التى كسرها هواه وقد حفت وجناته بالشقيق ولفت فصوص السبج بالعقيق فقال

بى رشأ أصداغه كالاوراق * بل غصن من وشيه فى اوراق

بل قمر من شعره فى اغساق فقلت أجفانه مثل جسوم العشاق

وقرطه مثل القلوب خفاق * يرمقنى شزرا فيفنى الارماق

فقال فى خده ماء الجمال رقراق * عجبت منه شيم ذو احراق

يريك خيلانا خيال الاحداق (قال على بن ظافر) واجتمعنا بالجامع فرأينا غلاما مائس العطف ذابل الطرف قد عانق افعوان شعره غصن قده وطابق بين مبيض وجهه ومسوده فقلت فيه

يارب ظبى عطر الانفاس يسكن قلبى بدل الكناس وجنته تزهر كالنبراس

وشعره فى قده المياس مثل لواء لبنى العباس

فقال لو شبهته بعلم الخطيب لاسيما اذا ذكرت حلوله بالجامع ثم صنع فقال

يارب غصن أهيف رطيب انبته الحسن على كثيب قام مقام الخاشع المنيب

يفتك فى الجامع بالقلوب وقده فى شعره الغربيب يميس مثل علم الخطيب

ثم زدنا فقلت وشادن ساجى اللحاظ أحور

فقال أبيض يحكيه قوام الاسمر * فقلت وقده تحت أثيث الشعر

فقال من فوق ردف كالكثيب الاعفر * فقلت كعلم الخطيب فوق المنبر

(قال على بن ظافر) ولما أعرس ابن الامير اياس المصرى الاسدى بابنة الامير سيف الدين ايار كوخ مقدم الاسدية احتفل الامراء والاجناد وبلغوا فى الحشد غاية الاجتهاد وأبرزوا من ضروب آلات الحرب ما يفوق الوصف ويروق الطرف وظهرت من مرد المماليك بدور فى سماء الغبار وغصون من زعفهم فى غدران ومن سيوفهم بين أنهار يسبون النواظر بالقدود النواضر ويستملكون الخواطر بالثغور العواطر فكانت أوقات ذلك الزفاف مشهورة مشهوده وأيامه فى أيام الاعياد المعدومة النظير معدوده فخرجت أنا والشهاب لننظر ذلك الاحتشاد ونتأمل تلك الظباء الظاهرة بزى الآساد

فقال نقبوا بالغبار وجه ذكاء * ثم نابوا عن حسنها بالبهاء

فقلت وأرونا من سحر أعينهم منهم شموسا تنقع فى ظلماء

فقال طاولوا بالنقا السماء اقتدارا * وبدوا من زعفهم فى سماء

فقلت كل بدر يسير تحت ثريا * مغفر خاف كوكب الجوزاء

قوله ايار كوخ فى نسخة ايار كوج وحرر اه

فقال من سكنى البروج فاعتاض عنها * بسروج على متون ظباء
فقلت ماتثنى فى الدرع الا أرانا * غصنا مائسا بجدول ماء

(قال علي بن ظافر) واتفق أن مضى السلطان الملك الاشرف أبقاه الله فى اوائل خدمتى له وأواخر سنة ثمان وستمائة الى مدينة نصيبين وضرب خيمته على تل بين بساتينها يعرف بتل أبى نواس وهو تل مشرف فى غاية العلو مستدير الشكل أحسن استدارة قد استقبل جرية نهر الهرماس حتى اذا وصل النهر اليه تفرق حواليه وتلوى تلوى الحيات من جانبيه والبساتين محيطة به قد ملات أكثر مرمى البصر وهو فى نفسه قد تأزر بالاعشاب واكتسى بغرائب الازهار التى أدناها شقائق النعمان وباسم الاقحوان وكنت أنا مقيما بالبلد لتدبير أحوالها وتزجية وجوه أموالها وأنا أتكرر اليه وانما نقطع المسافة الى الخيام فى جنات ذات أنهار وظلال تمنع الحرور وتأذن للنسيم والانوار فعن لى أن قلت فى بعض خرجاتنا ونحن سائرون على ظهور دوابنا

اجلس بتل أبى نواس * مابين باطية وكاس
واشرع سرور اباعه * منك الزمان بلا مكاس
فى ظل غيث ذى ارتجا * ز بالرواعد وارتجاس

واستدعيت من شهاب الدين المذكور المساعدة وهو يسايرنى

فقال تل تطلع مشرفا * بين المزارع والغراس
بالنهر منتطق على * زهر كموشى اللباس
من قاس ربوة جلق * بذاره أخطأ فى القياس

فقلت أضربته بعصا لنا * موسى فأصبح ذا انبجاس
فالماء يفرى المحل سيف * منه مكفوف الدياس
والقضب امثال القنا * والورد أمثال التراس

فقال والثم خدود الورد فيه * فتحتها اصداغ آس
وابن اصطباحك ان اردت * من الغبوق على أساس

فقلت واسمع غناء كالغنى * قد جاء من بعد الاياس
شدوا اذا أدوى القلو * ب أسى فمنه لهن آس

فقال لاتقنع بالكاس وابغ الرى من جام وكاس
واكرع فما حق المدا * مة أن تراك وأنت حاسى
فقلت خذها لها ان ساورت * عقل الفتى أى افتراس
واترك على الاعراب ما اختاره من لبن العساس
فقال من كف ظبى لين الاعطاف صلد القلب قاسى
ظبى ولكن القلو * ب تكنه بدل الكناس
فقلت يجنى بلا سكر ويكسر جفنه لا من نعاس
يهوى ويذكر وهو صا * ل للمعذى يهواه ناسى
ثم شغلنا بالوصول واستدعانى السلطان فدخلت اليه فعمل الشهاب تمامها وأنا عنده وكتبها على هذه الصورة وأنفذها الى
سهل الخلائق رطبها * صعب الشكيمة والمراس
لا يستجيب ولا يطيع ولا يجود ولا يواسى
ما بين ندمان ظرا * ف حين تخبرهم كياس
واشرب براس التل لا * تحفل بغمدان براس
واهنأ بدولة سيف ذى * يزن ودولة ذى نواس
فلقد فضلتهما بجد * شامخ وندى وباس
ورواق ملك ثابت الاركان سامى الفخر راسى
فالعمر ما تم السرو * ر به كقول أبى فراس
لا زال يخدمك الزما * ن ومن حواه من أناس
(ومن التمليط الواقع بين ثلاثة من الشعراء مما كان بقسيم لقسيم)
(روى) المدائنى قال خطب أويس القرنى رضى الله عنه أم الشماخ ومزرد وجزء بنى ضرار وحضر اليهم فقال الشماخ نبئتها ناكحة أويسا
فقال مزرد يهدى اليها أعنزا وتيسا فقال جزء حقا ترى ذلك بها أم كيسا
فقال أويس لعن الله من يكون رابعكم وما أحسب أويسا رضى الله عنه خطب امرأة قط ولعله غيره او فى الرواية وهم (ومن ذلك) ما رواه أبو الفرج الاصبهانى عن رجاله وتتصل روايته بالحرمازى قال نزل شبيب ابن البرصاء المرى وأرطاة ابن زفر وعويف القوافى برجل من أشجع كثير المال يسمى علقمة فأتاهم بشربة

ابن ممذوقة ولم يذبح لهم فلما رأوا ذلك منه قاموا الى مطيهم ورواحلهم فركبوها
ثم قالوا نهجو هذا الكلب فقال شبيب

أفي حدثان الدهر أو في قديمه * تعلمت أن لا تقرى الضيف علقما

فقال ارطاة

لبثنا طويلا ثم جاء بمذقة * كماء السلى في جانب القعب أثلما

فقال عويف

فلما رأينا انه شر منزل * رمينا بهن الليل حتى تصرما

(وروى أيضا) أن عقيل بن علقمة المرى خرج هو وابناه جثامة وعلقمة وابنته
الجرباء فانتجعوا بنى مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق

قال عقيل قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها * بها عطشا غطينه بالخزائم

ثم قال أجزيا علقمة فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة * تذارعن بالايدى لآخر طاسم

ثم قال أجزيا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجيزى يا جرباء فقالت وأنا آمنة قال نعم فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية * عقارا تمشت فى المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف ما تحت قرطيك
أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس
غيرى وغيرك فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه ثم شد عليها وقال لولا يعيرنى بنو
مرة بعد اليوم ماذقت الحياة ثم نحر عند جثامة جزورا وتركه وقصد قومه
وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أوقلت لهم انه أصابه غير الطاعون
أتيت عليك فلما قدموا على أهل أثير وهم بنو القين ندم عقيل على ما فعله
بجثامة فقال لهم هل لكم فى جزور انكسرت قالوا نعم قال الزموا أثر هذه
الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه
وقد أنزفه الدم فحملوه واقتسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى برأ
وألحقوه بقومه فلما احتملوه وقرب من الحى تغنى جثامة يقول

أبعد رلاهينا وتلهين فى الصبا * وماهن والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التى جرحك أبوك آنفا وقد عاودت مايكرهه فأمسك عن هذا ونحوه اذ القينته لئلا يلحقك منه شر فقال انها خطرة عرضت والراكب اذا سار يترنم * وقد ذكر ابن قتيبة فى كتاب الاشربة هذه الحكاية على غير هذه الصفة وذكر اعقيل البيت الاول من بيتيه وجعل بدل علقمة أخاه عملس وأنشد له البيت الاول أيضا من بيتيه ثم ذكر أنه انحنى على ابنته الجرباء يضربها بالسوط فلما رأى ذلك بنوه وثبوا عليه فشلوا فخذه بسهم فقال

ان بنى زملونى بالدم * من يلق آساد الرجال يكلم * شنشنة أعرفها من أخزم

(وذكر أبو الفرج هذا الرجز فى حكاية أخرى تتصل بزيد بن العباس التغلبى والربيع بن نمير قالا عدا عقيل بن علقمة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فوجد بنيه وأمهم مجتمعين فشد على علقمة بسيف فحاد عنه وتغنى بقوله

قفى يا ابنة المرى نسألك ما الذى * تريدين فيما كنت منيتنا قبل

نخبرك ان لم تنجزى الوعد أننا * ذوا خلة لم يبق بينهما وصل

فان شئت كان الصرم بينى وبينكم * وان شئت لم تبق المكارم والبذل

فقال عقيل يا ابن اللخناء متى منتك نفسك بهذا وشد عليه بالسيف وكان عملس أخاه لامه فحال بينه وبينه فشد على عملس بالسيف فرماه علقمة بسهم فأصابت ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك فى دمه ويرتجز بالرجز المقدم وبعده قوله

من يلق أبطال الرجال يكلم * ومن يكن ذا أود يقوم

قال المدائنى وأخزم فحل لرجل كان منجبا فضرب ابل رجل آخر ولا يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله جملا فقال شنشنة أعرفها من أخزم فأرسلت مثلا (قال على بن ظافر) ذكر الحريرى فى تفسير بعض مقاماته أن أخزم جد حاتم الطائى وأن جده الادنى سعدا ضربه له مثلا لما رأى من تخلقه بأخلاقه وآثاره والشنشنة الشبه والصحيح ما ذكره أبو الفرج وهذه الفعلة من علقمة كانت سبب تغريق عقيل أولاده وطردهم عنه وكانوا يقصدون اذاه بانشاد الغزل بحضرة أخواتهم لانه كان مفرط الغيرة مبالغا فى الظن شديد الرقاعة

وهم من شياطين العرب (وذكر أبو الفرج) محمد بن اسحق المعروف بالوراق ابن يعقوب النديم فى كتاب الفهرسة قال صار جياد واسحق بن الجصاص الى أبى غزار العجلى أحد رواة اللغة فقال له جياد اسمع شيأ قلته وأجزه قال قل فقال جياد

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى * الى دير هند كيف خطت مقابره

فقال اسحق

ترى عجبا مما قضى الله فيهم * رهائن حتف أوجبته مقادره

فقال أبو غزار

بيوت ترى أثقالها فوق أهلها * ومجمع زور لا يكلم زائره

(وذكر محمد بن سنان) مما رواه أبو الفرج أن مطيع بن اياس وحماد عجرد ويحيى ابن زياد خرجوا فى سفر فلما نزلوا بعض القرى عرفوا فأنزلوا منزلا وأتوا بطعام وشراب وبينما هم يشربون فى صحن الدار اذ أشرفت عليهم بنت دهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق فقال مطيع لحماد عندك يا حماد فقال حماد خذ فيما شئت فقال مطيع الا يا بأبى الناظر من بينهم وتحوى فقال حماد

ويا سقيا لسطح أشـ * ـرفت من فوقه حذوى

فقال يحيى الا يا ليت فوق الحلق * ومنها الاصقا حقوى

(وروى محمد بن خلف المرزبانى) عن بعض شعراء الكوفة قال قال لى محمد بن كناسة قد اشتهت دنانير يعنى جاريته المشهورة جمالا وأدبا أن تنظر الى الحيرة فهل لك أن تساعدنا وكان الزمان ربيعا فقلت نعم فقال تقدمنا الحق بك فقصدت الخورنق وجلست فى بعض المواضع المعشبة واذا به قد أقبل على بغلة ومعه دنانير على حمار فنزلا وجلسنا وقد سترت بعض وجهها منى فقلت اداعبها وكان محمد يأنس بى ويسكن الى فقلت انما تسترين وجهك عن شيخ فقالت طماح العين قال فضحكنا ثم أخذنا ننظر الى رياض الحيرة وبقاعها ونتذكر ما مضى لها من الزمان ونستحسن حمرة الشقائق على ائتلاف تلك الانوار والالوان فأخذ محمد عودا وكتب على الارض

الآن حين تزين القطر * أنجاده ووهاده العفر

ثم قال لدنانير أجيزيه فكتبت تحته

بسط الربيع بها الرياض كما * بسطت ثياب فى الثرى خضر

فقلت أحسنت وكتبت

برية فى البحر نابتة * يجبى اليها البر والبحر

فكتبت

وسرى الفرات على مياسرها * وجرى على أيمانها النهر

وبدا الخورنق فى مطالعها * فردا يلوح كأنه الفجر

كانت منازل للملوك ولم * يعمل بها لمملك قبر

وقد ذكر أبو الفرج هذه الحكاية ورواها عن عبيد بن الحسين وعزا جميع أبياتها لابن كناسة * قال الاصمعى ما رأيت أثر النبيذ فى وجه الرشيد الا مرة دخلت عليه أنا وأبو حفص الشطرنجى فقال استبقا الى بيت فمن أصاب غرضى فله عشرة آلاف درهم قال فأشفقت ومنعتنى هيبته وبدر الشطرنجى بجراءة العميان فقال

كلما دارت الزجاجة زادته * اشتياقا وحرقة فبكاك

فاستحسنه وأجازه فزالت عنى الهيبة فقلت

لم ينلك الرجاء أن تحضرينى * وتجافت أمنيتى عن سواك

فقال لله دركما لك عشرون ألفا ثم أطرق ورفع رأسه وقال أنا والله أشعر منكما وأنشد

فتمنيت أن يغشينى الله نعاسا لعل عينى تراك *

(وقد أنبانى التقى) أبو محمد عبد الخالق المسكى عن أبى طاهر الحافظ السلفى قال أنبانا أبو محمد جعفر بن السراج وابن يعلان الكبير قالا أنبانا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستانى الحافظ عن أبى يعقوب النجيرمى قال حدثنا الازدى عن ابن دريد عن أبى حاتم عن الاصمعى قال دخلت على الرشيد وعنده أبو حفص الاعمى المعروف بالشطرنجى فقال استبقا الى آخره فوقع فى نفسى أنه يريد جارية الناطفى فهبته وبدرنى أبو حفص فقال

مجلس ينسب السرور اليه * لمحب ريحانه ذكراك

فقال قد قاربت ولك العشرة وتهيبته فقال

كلما دارت الزجاجة ثم ذكر باقي الحكاية بنحو ما في الاولى (وحدث) زريق العروضي قال أصبحت مخمورا فتفكرت فيمن آنس به فذكرت عنان فاستأذنت عليها فاذا عندها أعرابي فقالت يا عم قد أتاني الله بك على فاقة ان هذا الاعرابي قصدني فقال قد بلغني أنك شاعرة فقولي حتى أجيز وقد أرتج علي فقلت

لقد قل العزاء وعيل صبري * عشية عيسهم للبين زمت

فقال الاعرابي نظرت الى أواثلهن صبحا * وقد رفعت لها حدج فخنت

فقالت عنان كتمت هواهم في الصدر مني * ولكن الدموع على نمت

فقال الاعرابي أنت أنت أشعرنا ولولا أنك حرمة لقبلتك

(قال) وروى محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال خرج ابراهيم بن العباس الصولي ودعبل الخزاعي وأخوه رزين في نظراء من أهل الادب رجالة الى بعض البساتين في خلافة المأمون وذلك في زمن خمول ابراهيم فلقوا جماعة من أهل السواد من جمال الشوك فأعطوهم شيأ وركبوا حميرهم فأنشأ ابراهيم يقول

أعيضت من حمول الشو * ك أحمالا من الحرف

نشاوى لا من الصهبا * ء بل من شدة الضعف

فقال رزين

فلو كنتم على ذاك * تميلون الى قصف

تساوت حالكم فيه * ولم تبقوا على خسف

فقال دعبل

واذ فات الذي فات * فكونوا من اولى الظرف

ومروا نقصف اليوم * فاني بائع خفي

ثم باعه وأنفق ثمنه عليهم * (وذكر يزيد بن أبي اليسر الرياضي) في كتابه الامثال الذي جمعه للمعز بن تميم صاحب القاهرة قال أخبرني سيبويه قال اجتمع محمد بن مقبل ومحمد بن مجمع وأبو نصر الاشعثي في بستان لابن مقبل وفي البستان نرجس تميس به الريح فقال ابن مقبل

شموس وأقمار من الزهر طلع * لذي اللهو في اكنافها متمتع

فقال محمد بن مجمع

تجاذب اعلاها الرياح فتنثني * فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

فقال الاشعثي

كأن عليها من مجاجة ظلها * لآلئ الا أنها هي ألمع

ويحدرها عنها الصبا فكأنها * دموع براها البين والبين يفجع

(وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد) قال اجتمع عند أبي الحسن علي بن يحيي بن المنجم أحمد بن أبي طاهر وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان بديها يمدح عليا

وقائل اذ رأى عزمي على الطلب * أتهت أم نلت ماترجو من الادب

ان ابن يحيي عليا قد تكفل بي * وصان عرضي كصون الدين والحسب

فابتدر التمار فقال

تذكي لزواره نار منورة * على يفاع ولا تذكي على صبب

من فارس الخيل في ابيات مملكة * وفي الاكارم من جرثومة النسب

فقال أحمد بن أبي طاهر

له خلائق لم تطبع على طبع * ونائل وصلت اسبابه سببي

كالغيث يعطيك بعد الري نائله * وليس يعطيك مايعطيك عن طلب

(ومنه) قال اجتمع عند أحمد بن أبي طاهر أبو الضياء القيني وأبو سليمان النابلسي الضرير في أيام أبي الصقر على نبيذ فقال أحمد بن أبي طاهر

كأنما التف بريحانه * ثوب من النرجس مشقوق

فقال القيني

أو روضة خضراء نوارها * بالمزن مصبوح ومغبوق

فقال النابلسي

له نسيم بيننا ساطع * كأنه بالمسك مفتوق

كأنه يا ابن أبي طاهر * من طيب اخلاقك مخلوق

(وذكر أبو حفص عمر بن محمد بن علي المطوعي) في كتاب درك الغرر ودرج الدرر في محاسن نظم الامير أبي الفضل الميكالي قال سمعت الامير أبا الفضل يقول سمعت ابا القاسم الكرخي يقول كنت ليلة عند الصاحب بن عباد ومعنا

أبو العباس وقد وقف على رؤسنا غلام كأنه فلقة قمر فغاب فقال الصاحب أين ذلك الظبي أينه فقال أبو العباس الضبي شادن في زي قينه فقال الصاحب بلسان الدمع تشكو * أبدا عيناي عينه فقال أبو القاسم لي دين في هواه * ليته أنجز دينه فزاد الامير أبو الفضل عند انشاد أبي القاسم فقال

لاقضى الله بيني * أبدا بيني وبينه

(وأخبرت) أن الامير أبا الفتح بن أبي حصينة السلمي وأبا محمد عبد الله بن محمد ابن سعد الخفاجي الحلبي اجتمعا عند الامير سديد الملك أبي الحسين علي بن المقلد بن نصر بن منقذ الكناني فتداولوا في فنون الادب فقال ابن أبي حصينة قمر ان غاب عن بصري فقال الخفاجي ففؤادي حد مطلعه فقال ابن أبي حصينة است اني أدمعي ولها فقال الخفاجي خلطت في فيض أدمعه فقال سديد الملك قلت زرني قال مبتسما * طمع في غير موضعه (قال علي بن ظافر) أخبرني من أثق به بما معناه قال خرج الوزير أبو بكر ابن عمار والوزير أبو الوليد بن زيدون ومعهما الوزير ابن خلدون من اشبيلية الى منظرة لبني عباد بموضع يقال له الغيث تحف به مروج مشرقة الانوار منتسمة النجود والاغوار مبتسمة عن ثغور النوار في زمن ربيع سقت السحب الارض فيه بوسميها ووليها وجلتها في زاهر ملبسها وباهر حليها وأرداف الربا قد تأزرت بالازر الخضر من نباتها وأجياد الجداول قد نظم النور قلائده حول لباتها ومجامر الزهر تعطر أردية النسيم عند هباتها وهنالك من البهار ما يزري بمداهن النضار ومن النرجس الريان ما يهزأ بنواعس الاجفان وقد نووا انفرادهم باللهو والطرب والتنزه في روضتي النبات والادب وبعثوا صاحبهم خليفة قوام لذتهم ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون الهم بذهبه في لجين زجاجه ويرمونه منه بما يقضي بتحريكه للهرب عن القلوب وازعاجه وجلسوا الانتظاره وترقب عوده على آثاره فلما بصروا به مقبلا من الفج بادروا الى لقائه وسارعوا الى نحوه وتلقائه واتفق أن فارسا من الجند ركض فرسه فصدمه ووطئ عليه فهشم أعظمه وأجرى دمه وكسر قمقم النبيذ الذي كان معه وفرق من شملهم ما كان الدهر قد جمعه ومضى على غلوائه راكضا

حتى خفي عن العين خائفا من متعلق به يحين تعلته الحين وحين وصل الوزراء اليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمن وعدوانه والخطب وألوانه ودخوله بطوارق المضرات على توام المسرات وتكديره الاوقات المنعمات بالآفات المؤلمات فقال ابن زيدون

أنلهو والحتوف بنا مطيفه * ونأمن والمنون لنا مخيفه

وقال ابن خلدون

وفي يوم وما أدراك يوم * مضى قمعالنا ومضى خليفه

وقال ابن عمار

هما نحارتا راح وروح * تكسر تا فشققفات وجيفه

(وأخبرني) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله المقدم ذكره قال أخبرني الشيخ تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال أخبرني ابن الدهان القرطبي قال مضيت أنا وابو الفضل البغدادي وابن صلاح الى دار أمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ فأساء لنا حاجبه قنبر وأفرط في منعنا من الدخول اليه فقال ابو الفضل

قد بلينا في دار أسعد خلق * بدبر

فقلت بقصير مطول * مستطيل مقصر

فقال ابن الصلاح كم تقولون قنبر * قطعوا رأس قنبر

ثم أذن لنا فدخلنا نضحك فسألنا عن سبب ضحكنا فأخبرناه بالسبب فقال أنشدوني الابيات جملة أميز لكم قول كل واحد منكم فأنشدناه الاول فقال هذا لابي الفضل لانه شاعركم ثم أنشدناه الثاني فقال هذا لك لان فيه شيأ من ألفاظ المهندسين وأنت رجل مهندس ثم قال والثالث لابن الصلاح لانه مخضرم (قال علي بن ظافر) مضيت أنا وشهاب الدين المقدم ذكره والقاضي الاعز بن المؤيد رحمه الله في جماعة من أصحابنا الى الدير المعروف بالقصير ايثارا لنظر تلك الآثار فلما تنزهنا في حسن منظره وقضينا الوطر من نظره تعاطينا القول فيه جريا على عادة خلعاء البلغاء وظرفاء الادباء ومجان الشعراء الذين نبذوا الوقار بالعراء فقطعوا طريق الاعمار بطروق الاغمار وضيعوا العين والعقار في تحصيل العين والعقار فقال الشهاب

قوله قمعالنا الذي في القاموس أن القمعال بالكسر سيد القوم ورئيس الرعاء وأما الذي يناسب هنا فهو القمعل كقنفذ فانه القدح الضخم كالقمعول وعليه فكان الاوفق أبدال القمعال في البيت بالقمعول تأمل اه مصححه

سقى الله يومى بدير القصير * قصير العز لى طويل الذيول
محل اذا لاح لى لم أقف * بصحبى على حومل فالدخول
فقلت: فكم فيه من قمر فى دجى * على غصن فى كثيب مهيل
بلحظ صحيح وجفن سقيم * وروح خفيف وردف ثقيل
فقال الاعز قطعت به العيش مع فتية * صباح الوجوه كرام الاصول
بكل كريم قصير المرا * طال المعالى بباع طويل
فقال الشهاب اذا قسه سل سيف المدام * فكم من سليب وكم من قتيل
فقال الاعز وكم من خليع كريم الفعال * يجدد بالجود غيظ البخيل
فقلت يوافيه ذا ذهب جامد * فيفنيه فى ذائب للشمول
ثم صنع الشهاب فيه على غير هذا الروى والوزن فقال
على عمر القصير قصرت عمرى * وصنت خلاعتى وأزرت وقرى
فقال الاعز ولم أسمع لعمرى قول زيد * اذا ما لامنى أو قول عمرو
فقلت ظفرنا فيه من شفة وكاس * بخمر وبين من ريق وخمر
فقال الشهاب ودافعنا يقين الدين فيه * بظنونين من خمر وخضر
فقال الاعز كسوت به الكؤس البيض حمرا * من القمص اشتريناها بصفر
فقلت وظلت بعارق للهو أتلو * بهز البيض فيه عناق سمر
(قال على بن ظافر) وجلسنا يوما فى روض قد ماست قدوده واخضرت بروده وخجل ورده من عيون نرجسه فاحمرت خدوده والروض يهدى الى الآناف طيب عرفه والنسيم يركض فى ميادين الازهار بطرفه فقلت

بعث النسيم الى الرياض رسولا * يوحى اليه بكرة وأصيلا

فقال الاعز

يدعو الى شرب المدام فليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

فقال الشهاب

ياويلتى ذهب الشباب فليتنى * لم أتخذ فيه العفاف خليلا

(ومما روى) فى مثل هذا الا أنه روى عن قوم مجاهيل فاخرناذكره حتى انتهى الترتيب ولم نرا خلاء الكتاب من ذكره لانه يجرى مجرى الملح ما روى أن ثلاثة من الكتاب خرجوا الى متنزه فبينما هم يأكلون طعاما كان معهم اذ بمتطفل

جلس اليهم وابتدأ في تلقف ما في الطبق مما بين أيديهم فقالوا له هل عرفت منا
أحدا قال نعم هذا وأشار الى الطعام فتعاطوا صفته فقال أحدهم
لم أر مثل جذبه ومطه فقال الآخر وأكله دجاجه وبطه فقال الثالث
كان جالينوس تحت ابطه فقالوا أما نحن فوصفنا من شدة أكله ما عايناه
فما معنى كون جالينوس تحت ابطه فقال يلقمه جوارش الكمون لئلا يتخم
(ومن التمليط الواقع بين أربعة من الشعراء) ما روى الاصبهاني بسند
يتصل باسحق الموصلي عن رجاله أن عمر بن أبي ربيعة والحرث بن خالد
المخزوميين وأبا ربيعة المصطلقي ورجلا من بني مخزوم وهو ابن أخت الحرث
خرجوا يشيعون بعض خلفاء بني أمية فلما انصرفوا نزلوا بسرف فلاح لهم برق
فقال الحرث كلنا شعراء فهلموا نصف البرق فقال ابو ربيعة

أرقت لبرق في دجى الليل لامع * جرى من سناه ذو الربى فتتالع

فقال الحرث

أرقت له ليل التمام ودونه * مهامه موماة وأرض بلاقع

فقال ابن أخته

يضيء عضاه الشوك حتى كأنه * مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر بن أبي ربيعة

أيا رب لا آلو المودة جاهدا * لاسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال مالي وللبرق والشوك *(وأنبأني الفقيه التقي عبد الخالق المسكي
عن السلفي قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السراج اللغوي وابن يعلان
الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد السجستاني الحافظ قال أخبرني
أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي قال ذكر أبو بكر الصولي أنه وجد بخط
ابن خرداذبة أن أبا نواس ومسلم بن الوليد الصريع والحسين بن الضحاك الخليع
والعباس بن الاحنف خرجوا الى متنزه ومعهم يحيى بن معاذ فأدركتهم
صلاة المغرب فقدموا ابن معاذ للصلاة فنسي الحمد وأرتج عليه في قل هو الله
أحد فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه فقال أبو نواس

أكثر يحيى غلطا * في قل هو الله أحد

فقال مسلم بن الوليد

قام طويلا ساهيا * حتى اذا أعيا سجد

فقال العباس بن الاحنف

يزحف فى محرابه * زحف رجبلى بولد

فقال الحسين بن الضحاك الخليع

كأنما لسانه * شد بحبل من مسد

قال ابن رشيق فى كتاب العمدة وأخبرنى بهذه الحكاية بعض أصحابنا فقلت وما على أحد لو قال

ونسى اذ جد فما * مرت له على خلد

وسمع هذه الحكاية أيضا العباس بن الحطيئة فقال

ورام شيأ غيرذا * يقرؤه فما وجد

(وذكر) أبو الفرج قال أولم محمد بن خالد فدعا أبان بن عبد الحميد اللاحقى وسهل بن عبد الحميد وعبيد الله بن عمرو العتبى والحكم بن قنبر وأخر عنهم الغداء ثم جاء فوقف وقال مالكم أعزكم الله ألكم حاجة بمازحهم فقال أبان

حاجتنا فاعجل علينا بها * من الحشاوى كل طروين

فقال الحكم ومن خبيص قد حكى عاشقا * صفرته زينت بتلوين

فقال العتبى واسعوا اذ نابينة * فانكم أصحاب ابين

فقال سهل دعنا من الشعر وأوصافه * واعجل علينا بالاخاوين

فأمر باحضار الغداء وخلع عليهم ووصلهم * (ومن ذلك) ما أنبأنا به العماد أبو محمد الاصبهانى قال حدثنى صديقى النجيب محمد بن مسعود القسام بأصفهان قال حضرت مجلس مؤيد الدين أبى على محمد بن أسبهسلار رئيس جرباذقان وعنده شمس الدين أحمد بن شاد الغزنوى ومجد الدين اسمعيل بن أحمد اليمانى فأحضر بين يديه ورد أحمر فابتدر الغزنوى فقال

الورد فاح كأنه * خلق الامير أبى على

فقلت أوصيته بين الانا * م وذكره فى المحفل

فقال اليمانى فاحمر من خجل ومن * فضحته دعوى يخجل

فقال مؤيد الدين فى عمره كعدوه * فى عرفه مثل الولى

فانظم به ورد الثنا * وانثر عليه من على

*(وأخبرني) القاضي الموفق بهاء الدين أبو علي الديباجي قال كنا بالعسكر المنصور الكاملي أعزه الله على العباسة وعندي في خيمتي القاضي السعيد أبو القسم بن سناء الملك رحمه الله والمهذب بن الخيمي واقبل بعض الشعراء من أصحابنا على اكديش وتحته على السرج خرج مشقوق فتعاطينا العمل فيه فقال ابن سناء الملك رحمه الله

بطخراج خرجه * عن قربوس سرجه

فقال المهذب بن الخيمي

لاترجه اصالح * يأتي ولكن ارجه

فقلت

فانما آفته * من بطنه وفرجه

وأقول قد بقي عليهم من تمام المعنى والقوافي أن يقول أحدهم

فهو كذا في دخله * يفكر لا في خرجه

*(ومن التمليط الواقع بين خمسة) ماذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة بالاسناد المتقدم أن الاستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد جلس يوما وعنده أبو محمد بن هندو وأبو الحسين بن فارس صاحب مجمل اللغة وأبو عبد الله الطبري وأبو الحسن البديهي فجاءه بعض الخدم بأترجة فقال لهم تعالوا نتجاذب أذيال وصفها فقالوا ان رأى سيدنا أن يبدأ نا نفعل فقال

وأترجة فيها طبائع أربع فقال ابن هندو وفيها فنون اللهو للشرب أجمع

فقال ابن فارس

يشبهها الرائي سبيكة عسجد فقال البديهي على أنها من فأرة المسك أضوع

فقال الطبري

وما اصفر منها اللون للعشق والهوى * ولكن أراها للمحبين تجزع

(وعلى ذكر هذه الحكاية ذكر القزويني في كتاب الروضة) قال أبو الفرج وذكر هذه الحكاية وما قال فيها الرئيس أبو الفضل وعمه أبو محمد بن هندو وغيرهم كان الوزراء والصدور في ذلك الزمان من ذكرنا وشرحنا ووصفنا وصرنا الآن الى الزمان الخرف الهم الذي لافضل في أهله ولا افضال وأنموذجه ذلك أني حضرت ضيافة وزير الري أبي العلاء اللنكي منصرفي من العراق وقد احتشد لي ليريني فضل عظمته في الوزارة بعد ما رأيت حاله الاولى وحضر معي الوزير أبو العلاء بن حسول فلما صرنا الى مجلس الانس ودارت الكؤس وأخذت منه الخمر وقد كان انتهى اليه حكاية الرئيس أبي الفضل بن العميد مع عمي فدعا بدواة

ودرج وكتب حتى عرق جبينه ولطخ الدرج بكثرة ما سود ثم تناول أترجة وقلبها يعلمنا أنه عمل فيها شيأ ثم قال

كأنها لون فتى عاشق * من برده قد لبس المحملا

فالتفت الى أبو العلاء بن حسول وقال لى سرا لابد من اجازة هذا البيت بما يشاكل سخنة عين الوزراء ولو عزلنى عن عملى وقطع ضياعى ثم أقبل عليه كأنه يصل كلامه فقال

أو لون حاجى من خراسان من * اسهاله قد ركب المحملا

فتوهم الوزير أنه جد فأخذه يحرك رأسه مستحسنا لهذه الاجازة ومتعجبا من سرعة البديهة وملكنى وأبا العلاء الضحك حتى تشكاونبه على سخريتنا منه فظهرت منه حركات العربدة فانصرفنا اشفاقا من حال مكروهة تجرى علينا

(الباب الرابع فى بدائع البدائه)

الواقعة على العمل فى مقصود واحد من شاعرين فصاعدا وقد يكون اجتماعهما الشيئين أحدهما أن يكون ذلك لامر ملك أو وزير واقتراح رئيس أو كبير وسؤال صديق أو رفيق والثانى أن يقصدا تبيين فضلهما ان كانا متوافقين أو يقصد أحدهما تعجيز صاحبه ان كانا متنازعين أو متداقعين * ويقع ما يصدر عنهما أيضا على وجهين أحدهما أن يكونا فيما نظما متباعدى الغرضين مختلفى المقصدين وهو الاكثر والثانى أن يتفقا على معنى واحد وهو الاقل وربما اشتركا فى كثير من الالفاظ واتفقا فى القافية وهذا انما يكون عند اشتراكهما فى جودة طبع وصفاء ذهن وحدة خاطر وقوة فكر وانتقاد قريحة وبالجملة أن يكونا واردين على شريعة واحدة * وها أنا أذكر ما مر بى من الاخبار على هذين الوجهين فى فصلين وأبدأ بما وقع الاتفاق فيه فأقول

(الفصل الاول فيما وقع الاتفاق فيه)

(قال على بن ظافر) أكثر ما يقع هذا الاتفاق الغريب والتوارد العجيب اذا ضيق المقترح على الشاعرين بأن يعين الوزن والقافية * ذكر أبو عبد الله بن شرف القيروانى فى كتاب أبكار الافكار قال استدعانى المعز بن باديس يوما واستدعى أبا على الحسن بن رشيق الازدى وكنا شاعرى حضرته وملازمى ديوانه فقال أحب أن تصنعا بين يدى قطعتين فى صفة الموز على قافية الغين

فصنعنا حالا من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذى صنعته

يا حبذا الموز وإسعاده * من قبل أن يمضغه الماضغ
لان الى أن لا مجس له * فالفم ملآن به فارغ
سيان قلنا ما كل طيب * فيــه والا مشرب سائغ

والذى صنعه ابن رشيق

موز سريع أكله * من قبل مضغ الماضغ
مأكلة لآكل * ومشرب لسائغ
فالفم من لينه به * ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ * للحلق غير بالغ

فأمرنا للوقت أن نصنع فيه على حرف الذال فعملنا ولم يرأحدنا صاحبه ما عمل فكان ما عملته

هل لك فى موز اذا * ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا * يريك كالماء القذى
لومات من تلذذا * به لقيل ذا بذا

وما عمله ابن رشيق

لله موز لذيذ * يعيذه المستعيذ
فواكه وشراب * به يداوى الوقيذ
ترى القذى العين فيه * كما يريها النبيذ

قال ابن شرف فأنت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحدا ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندرى حم تتعجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة القافية أم من حسن الاتفاق * (قال أبو عبد الله بن شرف) استخلانا المعز يوما وقال أريد أن تصنعا شعرا تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذى يكون على سوق بعض النساء فانى أستحسنه وقد عاب بعض الضرائر بعضا به وكلهن قارئات كاتبات فأحب أن أريهن هذا وأدعى أنه قديم لا حتج به على من عابه وأسر به من عيب عليه فانفرد كل منا وصنع فى الوقت فكان الذى قلت

وبلقيسية زينت بشعر * يسير مثل ما يهب الشحيح

رقيق فى خدلجة رداح * خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد * به زغب لمعشوق مليح
فان يك صرح بلقيس زجاجا * فمن حدق العيون لها صروح

وكان الذى قال ابن رشيق

يعيبون بلقيسية أن رأوا بها * كما قد رأى من قبل من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب ملحا كمثل ما * يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا

فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيبون وقال قد أوجدت لخصمها حجة بأن بعض الناس عابه وهذا نقد ما فطنت له * (وروى ابن بسام فى كتاب الذخيرة) وهو روايتى عنه بالاسناد المتقدم قال حكى أبو صفوان العتكى قال كان أبو اسحق الحصرى يختلف الى بعض مشيخة القيروان وكان ذلك الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل فيهم

ومعذرين كان نبت عذارهم * أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

(قال) وكان يختلف اليه غلام من أبناء أعيان أهل القيروان وكان به كلفا فبينما هو يوما والحصرى جالس عنده وقد أخذا فى الحديث اذ أقبل الغلام

فى صورة كملت تخال بأنها * بدر السماء لستة وثمان
يغشى العيون ضياؤها فكأنها * شمس الضحى تغشى بها العينان

فقال له الشيخ يا أبا اسحق ما تقول فيمن هام فى هذا الغلام وصبا بهذا الخد والقوام فقال الحصرى الهيمان به والله غاية الظرف والصبوة اليه من تمام اللطف لاسيما وقد شاب كافور خده هذا المسك الفتيت وهجم على صبحه هذا الليل البهيم والله ما خلت بياضه فى سواده الا بياض الايمان فى سود الكفر أو غيهب الظلماء فى منير الفجر فقال صفه يا حصرى فقال من ملك رق القول حتى ذلت له صعابه وانقاد له جوحه وسطع له شهابه أقعد منى بوصفه فقال صفه فانى معمل فكرى فى ذلك ثم أطرق كل منهما لحظة فكان الذى صنعه الحصرى

أورد قلبى الردى * لام عذار بدا
اسود كالكفر فى * أبيض مثل الهدى

فقال الشيخ أتراك اطلعت على ضميرى أم خضت بين جوانحى فقال له ولم ذلك

ايها

شيخ قال لابى قلت

حزلئ قلبى فطار * صولج لام العذار

اسود كالليل فى * أبيض مثل النهار

(وأنبانى) العماد أبو حامد قال حكى أن شرف الدين أبا المنذر ابن الوزير عون الدين بن هبيرة نظر الى القمر فى بعض الليالى وهو يدخل تحت السحاب تارة وينكشف أخرى فقال للحاضرين ليقل كل منكم فى وصفه شيأ

فقال الاديب مقبل

كأنما البدر حين يبدو * لناويستحجب السحابا

خريدة من بنى هلال * لاثت على وجهها انتقابا

وقال شرف الدين

اذا تطلع بدر التم من فرج * دون السحاب وحالت دونه سحب

تخاله فى رثيث من ملاءته * خرقاء تسفر أحيانا وتنتقب

وقال عمه الاكرم أبو العباس عبد الواحد بن محمد بن هبيرة

وكأن هذا البدر حين تظله * سحب فيخفى تارة ويؤوب

حسناء تبدو من خلال سجوفها * طورا فتنظر نحونا وتغيب

(وقال ابن ظافر) أخبرنى أبو عبد الله بن المنجم بما معناه صعدت الى سطوح الجامع بمصر فى آخر شهر رمضان مع جماعة فصادفت الاديب الاعز أبا الفتوح بن قلاقس وعلى بن مفرج بن المنجم وابن مؤمن وشجاعا المغربى فانضفت اليهم فلما غابت الشمس وفاتت ودفنت فى المغرب حين ماتت وتطرز حداد الظلام بعلم هلاله وتحلى زنجى الليل بخلخاله اقترح الجماعة على ابن قلاقس وابن المنجم أن يصنعا فى صفة الحال فأطرق كل منهما مفكرا وميز ماقذفه اليه بحر خاطره من جواهر المعانى متخيرا فلم يكن الا كرجعة طرف أو وثبة طرف حتى أنشدا فكان ماصنعه ابن المنجم

وعشاء كأنما الافق فيه * لازورد مرصع بنضار

قلت لما دنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظار

أقرض الشرق صنوه الغرب دينا * را فأعطاه الرهن نصف سوار

وكان الذى صنعه ابن قلاقس

لا تظنّ الظلام قد أخذ الشمـ * ـس وأعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق أقرض الغرب دينا * را فأعطاه رهنه خلخالا

وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الاعز لتنصيفه السوار وعلى كل حال فقد أبدعا ولم يترك اللزيادة فى الاحسان موضعا (قال ابن ظافر) وقد جرى لى مثل ذلك مع القاضى الاعز بن أبى الحسن علىّ بن المؤيد رحمه الله وذلك أنا سرنا فى عشية على بستان مجاور للنيل فرأينا فيه بئرا عليها دولابان يتجاذبان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانىّ بالمفاليس وهما يئنان انين أهل الاشواق ويفيضان ماء أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للاعين زبرجده والاصيل قد راقه حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى قد اذالت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضرّ شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد استتر من الظلّ فى لمى وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرّذ النبات أن يدركها العمى والنهر قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشىّ قد ألقى فى ذيل الجو ردعه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا حسنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أزمرا حين سجعت قيان الطير بألحانها وشدت على عيدانها أم ذكرا أيام نعمى وطابا وكانا أغصانا رطابا فنفيا عنهما لذة الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع وجلسنا نتذاكر ما فى تركيب الدواليب من الاعاجيب وتناشدنا ما وصفت به من الاشعار الغالية الاسعار فأفضى بنا الحديث الذى هو شجون الى ذكر الاعمى التطيلى وقوله فى أسد نحاس يقذف الما

أسد ولو أنى أنا * قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما * ء يمج من فيه المجره

فقال لى رحمه الله يتولد من هذا معنى فى الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائى والسامع فتأملته فلانت اطرابا وأوسعت اغرابا وأخذ كل منا ينظم ما جاش به غمر بحره وأنبأه به شيطان فكره فلم يكن الا كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف أحدنا

على ما صنعه الآخر فكان الذى قال

حبذ اساعة المجرة والدو * لاب يهدى الى النفوس مسره
أدهم لا يزال يعدو ولكن * ليس يعدو مكانه قدر ذره
ذو عيون من القواديس تبدى * كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوما * كل نجم منها يرينا المجره

وكان الذى قلت

ودولاب بثنّ انين ثكلى * ولا فقدا اشكاه ولا مضره
ترى الازهار فى ضحك اذلها * بكى بدموع عين منه ثره
حكى فلكا تدور به نجوم * تؤثر فى سرائرنا مسره
يظل النجم يغرب بعد نجم * ويطلع بعد ما تجرى المجره

فعجبنا من اتفاقنا وقضى العجب منا سائر رفاقنا (قال ابن ظافر رحمه الله) ومن هذا الاتفاق أيضا ما أخبرنى به ابن المؤيد رحمه الله بمعناه قال اجتمعت مع جماعة من أدباء أهل الاسكندرية فى بستان لبعض أهلها خللنا روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قينات اطياره وبين أيدينا بركة ماء تحكى سماء أو مرقعة مراه فنثر عليها بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيره وأهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا القول فى تشبيهه واطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا فأنشد العباس ابن طريف الخراط الاسكندرى

نثروا الياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكى * زهر الارض فى أديم السماء

وأنشد الاديب أبو الحسن على بن سيف الدين المصرى

نثروا الياسمين لما جنوه * فوق ماء أحبب به من ماء
فحكى زهره لنا اذ تبدى * زهر الشهب فى أديم السماء

قال وكان الذى صنعته

نثروا الياسمين فى لجة الما * فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء فى باطن الار * ض أو الدر طف فوق الماء

قال وسمع أبو عبد الله بن الزين النحوى القصة ولم يكن حاضرا معنا فقال

نثر الغلام الياسمين بتركة * مملوءة من مائها المتدفق
فكأنما نثر النجوم بأسرها * فى يوم صحو فى سماء أزرق

(قال على بن ظافر) وسألنى الأعز رحمه الله تعالى أن أصنع فى مثله فصنعت

زهر الياسمين ينثر فى الما * ء أم الزهر فى أديم السماء
أم همامبسم شنيب شتيت * فى رضاب الخريدة الحسناء
ظل يحكى عقود در على صد * ر فتاة فى حلة زرقاء
واذا خلته حبابا حسبت الـ * ـماء طيبا كالقهوة الصهباء

وهذا آخر ما وقع لى مما فيه توارد فى المعانى وتوافق فى المبانى * (ومما يشبه هذا الباب) أن يتفق الشعراء على نظم معنى مخصوص * أنبأنا العماد أبو حامد الاصبهانى اجازة قال صنع الشريف أبو المحاسن ابن الشريف ضياء الدين فضل الله بن على بن عبد الله الحسنى الراوندى القاشانى فى تعريب شعر أعجمى

انى لاحسد فيه المشط والشفه * لذا فاضت دموع العين مختلفه
هذا يعلق فى صدغيه أغله * وذا يقبل رجليه بالف شفه

قال وتسامع الناس بهذا المعنى فاجتمع على العمل فيه جماعة منهم شمس الدين شاد الغزنوى وكان حينئذ بأصبهان فقال

انى أغار على مشط يعالجه * ونشفة حظيت من قربه زمنا
هذا يغازل صدغيه وأحرمه * وذا يقبل رجليه ولست أنا

وقال أيضا

المشط والنشفة المحمود شأنهما * كلاهما فى الهوى بالسعد ملحوظ
فتلك باللثم من رجليه فائزة * وذاك بالمسك من صدغيه محظوظ

وقال فخر الدين القسام

أغار منه على مشط ومنشفة * حتى أغص بدمع فيه منسجم
فذا يمد يديه نحو طرته * وذى يقبل فوها صفحة القدم

قال العماد وعملت وأنا فى سن الصبا وشعرى حينئذ لا أرضاه

مشط ومنشفة فيه حسدتهما * دمعى لذا بهما فياض عارضه
فتلك حاظية من مس اخمصه * وذاك مستغرق فى مسك عارضه

(وأخبرني بعض أصحابنا المصريين) أن بعض جلساء الصالح بن رزيك أنشد بمجلسه بيتا من الاوزان التي يسميها المصريون الزكالش ويسميها العراقيون كان وكان

النار بين ضلوعي * وانا غريق في دموعي
كني فتيلة قنديل * أموت غريق وحريق

وكان عنده القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحباب والقاضي المهذب ابن الزبير فتقدم اليهما بنظم معناه فصنعا بديها فكان ماصنعه الجليس

هل عاذر ان رمت خلع عذاري * في شم سالفة ولثم عذار
تتألف الاضداد فيه ولم تزل * في سالف الايام ذات نفار
وله من الزفرات لفح صواعق * وله من العبرات لج بحار
كذبالة القنديل قدر هلكها * مابين ماء في الزجاج ونار

وكان ماصنعه ابن الزبير

كأني وقد سالت سيول مدامعي * فأذكت حريقا في الحشا والترائب
ذبالة قنديل تعوم بمائها * وتشعل فيها النار من كل جانب

وصنع الصالح

واذا تشب النار بين أضالعي * قابلتها من عبرتي بسيول
فأنا الحريق بل الغريق أموت في * هذا وذا كذبالة القنديل

(قال علي بن ظافر) أخبرني الامير الاجل عضد الدين مرهف بن اسامة بن منقذ قال كان لي مملوك اسمه ياقوت فقصدت انا وابن عمي عبد الرحمن بن محمد نظم المعنى المشهور من أن النار لا تعدو على الياقوت فكان الذي قلته

اسكنته قلبي وأصبح حبه * من دون أقوات البرية قوتي
قالوا وكيف يقيم من احببته * في نار قلب بالجوى منعوت
فأجبتهم لا تعجبوا لمقامه * فالنار ليس تضر بالياقوت

وكان الذي قاله ابن عمي

يا عجبا للذي كلفت به * تدنيه مني ان غاب أفكاري
يسكن قلبا من الجحيم وقد * داد ضراما بدمعي الجاري
لا تعجبوا منه حين يسكنه * فما يبالي الياقوت بالنار

(الفصل الثانى فيما لم يقع فيه توارد)

(فمن ذلك) ما أخبرنى الفقيه أبو الحسن على بن فاضل بن حمدون الصورى عن الامام الحافظ أبى طاهر السلفى رحمه الله عن أبى غالب شجاع الذهلى قال قال انبا أبو منصور بن أبى الضوء العلوى كنت فى قرية يقال لها بشينا وبها أبو محمد النافى وهناك ناعورتان للزرع فقال فيهما وأنا حاضر

اناعورتى شطى بشيناء اننى * نظيركما فى الوجد والهيمان

أنينكما يحكى أنينى وعبرتى * كمائكما فى شدة الجريان

فلا زلتما فى خفض عيش عدة * أمان من التفريق والحدثان

وعملت انا فى الحال

بشينا لها ناعورتان كلاهما * تسح بدمع دائم الهملان

مخافة دهر أن يصيب بعينه * لاحداهما يوما فيفترقان

(وذكر أبو على بن رشيق فى كتاب الانموذج) قال كان لمحمد بن حبيب التنوخى معشوق لا يزال يزوره اذا غاب عن منزله فاذا حضر لم يأته وكثر ذلك منهما فقال لى يوما تعال حتى نصنع فى ذلك فصنعت

ما بالنا نجنى فلا نوصل * الا خلا فامثل ما تفعل

تأتى اذا غبنا فان لم نغب * جعلت لا تأتى ولا تسأل

كهاجر أحبابه زائر * أطلالهم من بعد أن يرحلوا

وصنع هو يا تاركا ان لم أغب زورتى * وزائرى دأبا اذا غبت

وددت أن ودك لا ينثنى * يزور فقدانى لو مت

(قال على بن ظافر) وذكرت بهاتين القطعتين قول ابن خفاجة الاندلسى فى مثل هذه الواقعة وهو أحسن ما سمعت فيها

صح الهوى منك ولكننى * أعجب من بين لنا يقدر

كأننا فى فلك دائر * فأنت تخفى وأنا أظهر

(قال ابن رشيق) وكان كثيرا ما يغشانا بنى غلام وضىء الوجه ذو خال تحت شفته فنظر اليه يوما بعض أصحابى ثم أطرق فعلمت انه يعمل فيه فصنعت بيتين وسكت عنهما خوف الوقوع دونه فلما رفع رأسه قال اسمع وأنشد

يقولون لى من تحت صفحة خده * تنزل خال كان مسكنه الخد

فقلت رأى ذاك الجمال نهاية * فخط خضوعا مثل ما خضع العبد
فقلت أحسنت ولكن اسمع وأنشدت

حبذا الخال كامنا منه بين الجيد والخد رقبة وحذارا
رام تقبيله اختلاسا ولكن * خاف من سيف لحظه فتوارى

فقال فضحتنى (وذكر الباخرزى فى كتاب الدمية) انه اجتمع هو وأبو عاصم الفضل بن محمد الفضيلى الهروى فى مجلس الامام عبد الله الانصارى قال وكان غاية فى الكلام على المنبر فتعاطينا القول فيه فقال الفضيلى

عيون الناس لا تلقى * من الناس كعبد الله
ولا ينكر هذا غير * من مال عن الله

فقال الباخرزى

مجلس الاستاذ عبد الله روض العارفينا
ألحق الفخر بنا بعد احتكام العارفينا

(قال على بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان ما معناه قال ركب عبد الجليل بن وهبون المرسى وأبو الحسن الحكم بن محمد المعروف بغلام البكرى زورقا بنهر اشبيلية فى ليلة أظلم من قلب الكافر وأشد سوادا من طرف الظبى النافر ومعهما غلام وضىء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه على غصن بان من قوامه وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء. ومزقتا رداء الظلماء وموهتا بذهب نورهما لجين الماء فقال عبد الجليل ارتجالا

كأنما الشمعتان اذ سمتا * خدا غلام محاسن الغيد
وفى حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

فقال غلام البكرى

أحبب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج فوق الماء ضوء منهما * كالبرق يخفق فى اديم سماء

(وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام قال دخل الاديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلى المعروف بالاعمى وأبو بكر بن بقى الحمام فتعاطيا العمل فيه

فقال الاعمى

ياحسن حمامنا وبهجته * مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواه ما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن

ثم أعجبه المعنى فقال

ليس على لهونا مزيد * ولا لحمامنا ضريب
ماء وفيه لهيب نار * كالشمس فى ديمة تصوب
وأبيض تحته رخام * كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال ابن بقى

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم * وفيه للبرد صر غير ذى ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما * كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال الاعمى وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام أنداء
كالغصن باشر حر النار من كثب * فظل يقطر من أعطافه الماء

(قال على بن ظافر) وذكر لى أن جماعة من الشعراء فى أيام الافضل خرجوا متنزهين الى الاهرام ليروا عجائب مبانيها ويقرؤا ما سطره الدهر من العبر فيها فاقترح بعض من كان معهم العمل فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز وأنشد

بعيشك هل ابصرت أعجب منظرا * على ما رأت عيناك من هرمى مصر
أنافا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * كأنهما نهدان قاما على صدر

وصنع أبو منصور ظافر الحداد

تأمل هيئة الهرمين وانظر * وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع * وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

(وأخبرنى الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبى) قال اجتمع مهذب الدين أبو الحسين بن منير والشيخ ابو عبد الله محمد بن

صغير القيسرانى الشاعران بحلب فنزع عليهما صبى سراج يسمى يوسف مشهور بالحسن فسئلا القول فيه فصنعا فكان ماصنع ابن منير

ياسمى المتاح فى ظلمة الحب لمن ساقه القضاء اليها
والذى قطع النساء له الايدى ومكن حبله من يديها
لك وجه مياسم الحسن فيه * صكة تطبع البدور عليها

وكان ماصنع القيسرانى

لاتخدعن فالحسام المرهف * الا الذى يحويه جفن اوطف
واذا رأيت اللحظ يعمل فى الحشى * عمل الاسنة فالقوام مثقف
ويح المحب اما يخالس نظرة * الاهفا بالقلب ظبى اهيف
بالله يانفحات أنفاس الصبا * مابال غصن البان لا يتعطف
يامسكرى وجدا بخمر جفونه * قل لى أتلك لواحظ أم قرقف
بادر جمالك بالجميل فربما * ذوت المحاسن أوابل المدنف
واسبق عذارك باعتذارك قبل أن * يأتى بعزل هواك منه ملطف
ان جاز أن يرث الملاحة باسمه * أحد فانك يوسف يا يوسف

(قال على بن ظافر) وروى أن الاعز أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك على ابن مفرج بن المنجم اجتمعا فى منار الجامع ليلة فطر ظهر بها الهلال للعيون وبرز فى صفحة بحر النيل كانون ومعهما جماعة من غواة الادب الذين ينسلون اليه من كل حدب فحين رأوا الشمس فوق النيل غاربه والى مستقرها جاريه ذاهبه قد شمرت للمغيب الذيل واصفرت خوفا من هجوم الليل والهلال فى حمرة الشفق كحاجب الشائب أو زورق الورق اقترحوا عليهما وصف تلك الحال فصنع ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبقت شعاعا منه يخلفها * كانما احترقت بالماء فى الغرق
وللهلال فهل وافى لينقذها * فى اثرها زورق قد صيغ من ورق

وصنع نشو الملك

يارب سامية فى الجو قت بها * أمد طرفى فى أرض من الافق
حيث العشية فى التمثيل معركة * اذا رآها جبان مات للفرق

والشمس هاربة للغرب دارعة * بالنيل معصفرة من هجمة الغسق
والهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن ملقى في دم الشفق

وهذا لعمري البديع الذي لا يلحظ سواه ولا يحفظ الا اياه (قال علي بن ظافر) والحكاية المشهورة عن ابن قلاقس والوجيه أبي الحسن علي بن الذروي أنهما طلعا منارة الاسكندرية والوجيه يومئذ في عنفوان شبابه وصباه وهبوب شماله في الجمال وصباه وابن قلاقس مغرم به مغرى بحبه دئب في تهذيبه مبالغ في تفضيض شعره وتذهيبه ولم تكن وقعت بينهما تلك الهناة ولا استحكمت بينهما أسباب المهاجاة فاقترح عليه ابن قلاقس أن يصف المنارة فقال بديها

وسامية الارجاء تهدي أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الانس ضافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة * ألاحظ فيها من صحابي أنجما
فخيلت أن البحر تحتي غمامة * وأني قد خيمت في كبد السما

فحين رأى الاعزما اتى به اشتد سروره وفرحه وقال يصفها ويمدحه

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للنسرين أوكار
راسي القرارة سامي الفرع في يده * للنون والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان الفكر فاطردت * خيل لها في بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسنا فيه أبو حسن * الا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها * بجوهر الشعر بحر منه زخار
مازال يذكى بها نار الذكاء الى * أن أصبحت علما في رأسه نار

(وأخبرني) الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحموي وابن شيث من أصحابنا قالا مضى الوجيه علي بن الذروي والنجيب هبة الله بن وزير في جماعة الى الحمام المعروفة بأبي فروة فجرى بينهما تنازع أدى الى تناكر فضيلة الادب ثم تراضيا بأن يحكم بينهما الشريف المعروف بانكدودة فحكم بأن يصنعا قطعتين في صفة الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين فصنع ابن الذروي

ان عيش الحمام عيش هنيء * غير أن المقام فيها قليل

جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيه الدخول
فكان الغريق فيها كليم * وكان الحريق فيها خليل

وصنع ابن وزير بعد بطاء

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضها ما بيننا جارى
كأنه فوق شفاف الرخام بها * ماء يسيل على أثواب قصار

فانتقد عليه الجماعة تشبيه الماء بالماء واستبردوا ما أتى به فقال ابن الذروى

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * أو كاد يحرقه من فرط اذكاء
اقام يجهد اياما رويته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

قوله وشبه الماء الخ في نسخة وفسر الماء الخ كما هو الشائع على الالسنة اهـ

(وأخبرني) الفقيه شجاع الغزلي رحمه الله قال جلست يوما بالوراقين على دكان الاديب أبي الفضل جعفر بن مفضل القرشي المنبوز بشلعلاع وثالثنا ذخيرة الملك المشهور خبره المشكور أثره وهو شيخ كان يغنى ويلفق كلاما من جنس كلام الحمقى والمعتوهين تلفيقا موزونا على انه شعر الا أنه بلغ به عند الصالح وذويه ما لم يبلغه الاخطل عند عبد الملك وبنيه وقد اجتمع الناس عليه ووقفوا صفوفا بين يديه وهو يطربهم بشعره ويملأ آذانهم بهيره قال فقربنا ابن وزير فلما رأى الجمع جلس الينا ثم أخذ يقول أنصافا من الشعر وأبياتا متفرقة في مدح ذخيرة الملك تارة والطنز به أخرى يتباهى بها على العوام ويملأ بها قلوب أولئك الطغام ففهم أبو الفضل مقصده وأراد أن يفضحه ويظهر عيبه ويوضحه فقال له ما هذا القشور والشعر المقذور والعجب منك أن تتباهى بالشعر ونحن حضور واستقر الامر على أن يصنع كل منا قطعة في مدح ذخيرة الملك على روى يختاره أول خارج من الجامع فكان حرف الذال فابتدر جعفر وقال

من كان في درك الغرام ولم يكن * لحشاه من اسر الهوى انقاذ
فذخيرة الملك الاجل بشعره * توقى القلوب من الهوى وتعاذ
واذا بدا مسترنما فله على * كل القلوب بشدوه استحواذ

قال وصنعت

ذخيرة الملك أنت شاعرنا * فكل شعر عداك منبوذ
وكل لفظ فمنك مسترق * وكل معنى فعنك مأخوذ

قال وأبى ابن وزير أن ينشد ما عمله بل كتبه فى رقعة وقال انما أنشده بحضرة أبى الحسن بن برى رحمه الله فأتيناه جميعا فأنشدته أنا وجعفر ما صنعنا فاثنى خيرا ثم ناوله ابن وزير الرقعة فاذا أولها يقول

هذا الفتى ذخيرة الملك نعيذه

فلما قرأه الشيخ جمع وجهه ثم قرأ الثانى فاذا هو

اذا انثنى منشدا * قلوبنا منقوذه

فزاد فى تجمعه ثم قرأ الثالث فاذا هو

من كل شىء فيهما * يبدو لنا شذوذه

فرمى الرقعة من يده فكأنما ألقمه حجرا ثم ادّعى أنها غير ناسبكه وكتب بذلك محضرا منظوما كتب عليه الشعراء شهاداتهم بقطع من الشعر أنشدنى كثيرا منها ثم توفى قبل أن أكتبها عنه (وأخبرنى بهاء الدين أسعد بن يحيى بن منصور بن عبد العزيز بن وهبان السلمى المعروف بابن السنجارى بحماة وكتبه لى بخطه قال اجتمع عندى جماعة منهم جمال الدين بن رواحة وعلم الدين الشابانى الشاعر المعروف بقاع وضياء الدين سعيد بن حياة المقرى وضياء الدين الحورانى وهو فى ذلك الوقت مشتهر بعشق البهاء على بن محمد الخراسانى المعروف بابن الساعاتى فبينما نحن مجتمعون اذ دخل علينا ابن الساعاتى وهو فى عنفوان شبابه ونهاية حسنه وسنه حينئذ أربع عشرة سنة فداعبناه فجرد سيفا وجعل يريد ضرب عنق الضياء الحورانى مداعباله وذلك بعد أن عصب عينيه بطرف عمامته فكشف الضياء عن وجهه وقال أنتم كلكم تدعون أنكم فضلاء الوقت فقولوا فى هذا شيأ فعمل كل منا قطعة وخبأها فى بيقاره فقال الضياء وكانت فيه دعابة أراكم قد عملتم عمل القطاط فأنشدونا ما عملتم فقلنا على سبيل الهزؤ لا يتقدم أحد على علم الدين فجعل الشابانى يصف شعره ويقول قد عملت بيتين ما يقدر أحد أن يعمل مثلهما وزاد فى الدعوى ثم أنشد

قمر عندنا به * نهر جيرون كوثر

لو تراءى لسنجر * قبل الارض سنجر

فجرى بينه وبين الحورانى من المشاغبة ما ضاق به الوقت وقال له ويحك أين هذا مما نحن فيه وأى مناسبة بينه وبين المعنى الذى اقترح عليك وكان

جمال

جمال الدين بن رواحة فاضلا لطيفا فقال لى بالله عليك الا أنشدت قبلى فقد رأيتك عملت أكثر منى وكنت الى جانبه فانشدت ما قلت وهو

حسام عذلك قد أسرفت فى عذلى * قلبى من الوجد ملآن وأنت خلى
اعاذك الله من وجدى ومن كلفى * ومن غرامى ومن خوفى ومن وجلى
لو كان يا سعد للطوفان ما ذرفت * عيناى ما استعصم المغرور بالجبل
أو كنت عاينت ما عاينت من قمرى * لكنت أول مشتاق الى أمل
بمهجتى راشق لى قوس حاجبه * كأنما الطرف رام من بنى ثعل
يميل عطفاه من سكر الصبا مرحا * كما تمايل عطف الشارب الثمل
مالاحت الشمس فى رأد الضحى وبدا * للشمس الا رماها الطفل بالطفل
ياحامل الصارم الهندى منتصرا * ضع السلاح قد استغنيت بالكحل
مايفعل الظبى بالسيف الصقيل وما * ضرب الصوارم مع ضرب من المقل
قد كنت فى الناس سنيا فما برحت * بى شيعة الحسن حتى صرت عبد على

قال فأخرج ابن رواحة رقعته ومزقها وقال من يحسن مثل هذه البديهة لا ينشد معه شعر (وأخبرنى) الاديب راجح بن اسمعيل الحلى قال خرجنا مع مهذب الدين أبى الحسن على بن نظيف أيام كتابته للملك المعز اسحق ابن الملك الناصر رحمه الله تعالى الى الاهرام للتنزه ومعه الاديب بهاء الدين بن الساعاتى والجمال بن التاج البغدادى والمهذب بن الخيمى والاوحد الواسطى فاتفق أن ركبت به بغلته ثم وثبت ورفعت يديها فتعاطينا القول فى ذلك فبدر بهاء الدين بن الساعاتى فقال

قيل مادت من تحت ذا السيد الار * ض ولم تأتنا له بمثال
هو طود النهى ومن اعجب الاشـ * ـياء أرض تميد تحت الجبال

وقال ابن التاج

جلست بغلة الامين ترينا * صدق حس كأنه الهام
اظهرت ميزة على النوع اذ أصـ * ـبح فى الجنس ذا علا لا يرام
نحن فى خدمة قيام لديه * ثم بغلاتنا لديه قيام

وقال الواسطى

لم تكب بغلتك الخضراء من خور * يا من هو اليوم للاسلام مسعده

لكنما الارض مادت تحتها طربا * اذ شرفت بك يا من طاب محتده

وقال ابن الحيمي

اقسمت بغلة الرئيس المفدى * حين حطت لعجزها عنه ظهرا
انما رفعت يديها قنوتا * بعد أن قبلت ثرى الارض عشرا
اذ غدت من حجاه حاملة طو * دا ومن جود كفه العذب بحرا

قال وقلت انا

وحسام ملك يستضاء برأيه * ويفل حد النائبات بحده
لم تكب بغلته لخون قوائم * تطأ الصفا فترض صفحة صلده
لكنها حملت مشرع سودد * بذ الاكارم فى امامة مجده
سجدت وقد صلت صفوف وفوده * من خلفه يتلون آية حمده

(قال على بن ظافر) وقد رأيت هذه القطعة التى نسبها الحلى لنفسه فى ديوان ابن الساعاتى وقد كان الحلى مع جودته كثير الاغارة عليه (وأخبرنى) الاديب أبو القاسم بن نفطويه قال أنشدنى بعض أصحابنا بيتا وسألنى أن اضمنه وهو

فليت الشمس لو بقيت قليلا * ففيها كلما بقيت بقائى

فصنعت بديها

ولما أن تلاقينا بكينا * بكاء القرب من بعد التنائى
وسمت دوام طيب الوصل منه * فأعرض عند ذلك عن اقتضائى
وواعدنى اذا ما الشمس غابت * وولت لا سبيل الى اللقاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا * ففيها كلما بقيت بقائى

قال ثم مر بى القاضى أبو الحسن على بن النبيه فأنشدته البيت وسألته أن يضمنه فقال بديها

عسى العيس التى ظعنت بسلمى * تعود بها وتنعم باللقاء
تولت بالعشى ولا عجيب * مغيب الشمس فى وقت العشاء
فليت الشمس لو بقيت قليلا * ففيها كلما بقيت بقائى

ثم جاء الى الاديب أبو المعز الاعمى فسألته تضمينه فقال بديها

بدت شمس النهار تخيلت لى * بانك قد رفعت الى السماء
فصرت اذوب وهى تزول عنى * الى أن صرت فى حد الفناء

فليت الشمس لو بقيت قليلا * ففيها كلما بقيت بقائى

قال ثم مر بى الفقيه أبو محمد القلعى فسألته تضمينه فقال بديها

اذا هزم الظلام سنى الضياء * قضى ترحال وصلك بانقضائى

فليت الشمس لو بقيت قليلا * ففيها كلما بقيت بقائى

(واجتمع) يوما شهاب الدين يعقوب والشريف فخر الدين أبو البركات العباس ابن عبد الله العباسى على أن يصنعا هجاء فى صبى يسمى يونس فصنع الشريف بديها

يونس يا مثلى بهجر * قد لج فيه بلا انتهاء

ان بلع الحوت لابن متى * ثمت ألقاه بالعراء

فرب حوت بلعت اضحى * مكتسيا منك بالخراء

وصنع الشهاب وعرض بالحلى

ادار نون الصدغ فى خده * حتى غدا يونس ذا النون

وأنبت الحلى من فوقه * لما علاه أصل يقطين

ثم صنعا فيه هذا البيت وهو

ان بلعت يونس حوت فكم * بلعت يا يونس من حوت

وكنت فى صدر العمر وابتداء قول الشعر صنعت قطعة فى صدر نارنج عليه طلع مفروط وهى

انظر الى النارنج والطلع الذى * جاء الغلام بجمعه متمايلا

فكأنما النارنج قد صاغوه من * ذهب قناديلا وذاك سلاسلا

ثم زدت عليه فقلت

أتانا بصدر واسع لو بدا لمن * تعبد أحيا صبوة المتعبد

حكى طلعه فيه سلاسل فضة * ونارنجه يحكى قناديل عسجد

ثم اختصرته فقلت

أيا حسن صدر فيه مفروط طلعة * يقارن نارنجا به متلالى

لقد أحسن الشخص الذى جمع ما * بداه وأهدى فيه كل جمال

قناديل تبر فى سلاسل فضة * والا عقيق فى سموط لآلى

(واتفق) انشاد القطع فى بعض الليالى بالجامع لجماعة من أصحابنا فيهم ابن

الذروى فقال يتولد من هذا معنى فى صدر فيه نارنجتان وطلع مفروط ويشبه ذلك بنهدين فى صدر عليهما أسماط در فاستحسنت المعنى وأطرق كل منا لنظمه ثم أنشدت

وصدر به نارنجتان تبدتا * ومفروط طلع بالملاحة حالى
نخلت بذاك الصدر نهدى خريدة * وقد وشحت زهوا بسموط لآلى

ثم أنشد هو

أرسلت لى نارنجتين على صد * ر وحفتهما بطلع نضيد
ثم قالت تسل عنى فهذا * مثل صدرى والدر فوق نهودى

ثم ذكر معنى آخر فأطرقنا لنظمه فصنعت كالمرتجل

ألست ترى النارنجتين وقد بدا * يحفهما طلع نضيد منظم
كخدى غلام قد تأمل حسنه * جماعة عشاق له فتبسموا

فلم يصنع فيه شيأ ثم اقترح معنى غيره فنظمت فيه

وطلع بدا المفروط منه مقارنا * لنارنجتين يجتلى الحسن منهما
كدمع جرى من جفن ظبى منعم * فأضحى على الخدين منه منظما

وصنع هو هذا البيت

وطلع على نارنجتين كأنه * دموع محب فوق خدى حبيبه

(وفى هذه الليلة) أمطرت السماء مطرا خفيفا صقل رخام الصحن حتى لمع وجهه وتعارضت اشعة القناديل عليه فتعاطينا وصفه فصنعت

انظر الى حسن القناديل التى * لاحت كشهب فى متون سماء
والصحن قد أبدى شهاب شعاعه * اذ صار مصقولا بستر الماء
فكأنما هى اسطر من عسجد * كتبت بظهر صحيفة بيضاء

ثم صنع ابن الذروى

أيا حسن جامع مصر وقد * تروى من الوابل المغدق
وضوء القناديل من فوقه * كأسطر تبر على مهرق

(قال على بن ظافر) حضرنا يوما عند الصاحب صفى الدين بالمعسكر المنصور على بلبيس عند بروز السلطان لسفرته الثانية حين حوصرت دمشق الحصار الثانى فى خيمته بمجلس حفل لم يعدم فيه أحد من مشايخ الدولة ووجوهها وهم

اذذاك متوفرون لم ينقص لهم عدد ولا فقد منهم أحد فأنشدنى ابن أبى حفصة قصيدة عابثة فى بعض ابياتها وارتقى الامر الى أن قال اسعد بن الخطير رحمه الله تعالى ان ههنا جماعة كلهم يقول الشعر فلو اقترح عليهم أن يصنعوا شيأ فى بعض ما يقع تعيين الصاحب عليه لبان الجرىء الجنان من العاجز الجبان ومن جملة من معنا فى المجلس ممن يقول الشعر ابن سنا الملك والاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث فاقترح الصاحب أن نعمل فى منجنيق الشمعة وكان الهواء عاصفا فقلت

أرى شمعة ضمها المنجنيق * فجاءتك بالمنظر الاعجب

يجول عليها احمرار الغشاء * كما جال برق على كوكب

وتبعنى ابن شيث فقال

وشمعة فى المنجنيـ * ـق وهى فيه تشرق

كأنها من تحته * شمس علاها شفق

ولم يفتح على أحد بكلمة وانتقدوا عليه تشبيهها بالشمس وقالوا النجم أليق ثم قال الصاحب فيها معنى آخر لو نظم لكان مليحا وهو أن يشبه بالروح فى الجسد لان انارة الجسد واضاءته بالروح التى فى باطنه فارتجلت وقلت

وشمعة فى المنجنيـ * ـق تلتظى وتتقد

تنير فيه مثل ما * ينير بالروح الجسد

فاستحسن الجماعة ذلك على حسب الوقت ثم بعد افتراق المجلس صنعت فى الشمعة والمنجنيق وباكرت الصاحب به فأنشدته

ومجلس أنس ضم شمل جماعة * تعاطوا من الآداب خير رحيق

لدى شمعة فى منجنيق غشاؤه * كما اخجل التقبيل خد عشيق

ترى نارها من خلفه كبهارة * تراءت لنا من خلف ثوب شقيق

كما جليت خود بتاج ودونها * معصفر ستر للعيون رقيق

ويحكى عمودا من لجين مقمعا * بتبر بدا فى وسطه بيت عقيق

(قال على بن ظافر) ومما يشبه هذا الباب وليس به ما ذكره ابن بسام

فى الذخيرة ورويته بالاسناد المتقدم أن المتوكل بن الافطس كان له فرس ادهم اغر محجل على كفله ست نقط بيض فندب المتوكل الشعراء لوصفه فصنع الجلى أبو الوليد فيه بديها

ركب البدر جوادا سابحا * تقف الريح لادنى مهله
لبس الليل قميصا سابغا * والثريا نقط فى كفله
وغدير الصبح قد خيض به * فبدا تحجيله من بلله
كل مطلوب وان طالت به * رجله من اجله فى اجله

وصنع ابن اللبانة

لله طرف جال يا ابن محمد * فجنت به حوباؤه التأميلا
لما رأى أن الظلام أديمه * أهدى لاربعه الهدى تحجيلا
وكأنما الردف منه مباسم * تبغى هناك لرجله تقبيلا

وقال فيه عبد الله بن عبد البر الشنتريني من قطعة

وكأنما عمر على صهواته * قمر تسير به الرياح الاربع

(وأخبرني) بعض اصحابنا أن نشء الملك بن المنجم المقدم ذكره دخل مجلس القاضى الاجل الفاضل رحمه الله تعالى فأنشده لنفسه فى ممسحة القلم

ممسحة نهارها * يجن ليل الظلم
كأنها قد خلقت * منديل كم القلم

ثم أمره بالعمل فيها فصنع بديها

وآلة تضمر النهار لنا * تبديه الالواذ الظلم
تودع فيها الاقلام فضلة ما * تنفقه فى مصالح الامم

وقد وقف القاضى الفاضل على هذه الحكاية فى نسخة كان استنسخها من هذا الكتاب وهو يومئذ رسالة لا تتجاوز عشرة كراريس لطاف فلم ينكرها (وأخبرني) صاحبنا فخر القضاة أبو الفرج نصر الله ابن القاضى عز القضاة أبي العز هبة الله بن بصاقة الكاتب المعظمى قال ضرط بعض اصحابنا ونحن مجتمعون فى العسكر فى بعض منازلات الفرنج وتبعه آخر فصنع بعضنا فى الاول وصنع بعضنا فيهما جميعا فصنع بهاء الدين على بن الساعاتى بديها فى الاول

يا من صبوت الى محاسنه وأصل الحب صبوه
ان كنت خنتك فى الهوى * ما بين يوم نوى ونبوه
فبليت منك بكل ما * اخشاه من صد وجفوه
أوشاع سرى فى الانا * م كضرطة الشرف بن عروه

وصنع المولى الملك المعظم

الشرف ابن عروة * تحللت عروته
احمق من ضراطه * تعلمت بغلته

قال ولما ضرط الآخر قلت

رأيت ابن عروة يتلو الطهير * وقد ضرط الاشتداد الجزع
فقلت ألمخوف هذا الضراط * كأن فؤادكما ينتزع
فقالا اذا دهمت غارة * فلابد من ضرب بوق الفزع

وصنع فيهما شمس الدين اسمعيل بن منكورس وكان ربما عبث بالبيت أو البيتين

قد ضرط الفسلان يوم النوى * عند اشتداد الضنك والضيق
فقلت من عظم ضراطيهما * لابد للحرب من البوق

(قال على بن ظافر) واجتمعنا ليلة فى رمضان بالجامع فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث وقد وقد فانوس السحور فاقترح بعض الحاضرين على الاديب أبى الحجاج يوسف بن على بن المنبوز بالنجبة أن يصنع فيه وانما طلب بذلك تعجيزه فصنع وأنشد

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه * ولكنه دون الكواكب لا يسرى
ولم أر نجما قط قبل طلوعه * اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت هذا تعجب لا يصح لانى والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح فأسرف الجماعة بعد ذلك فى تقريعه وأخذوا فى تمزيق عرضه وتقطيعه فصنع وأنشد

هذا لواء سحور يستضاء به * وعسكر الشهب فى الظلماء جرار
والصائمون جميعا يهتدون به * كأنه علم فى رأسه نار

فلما أصبحنا سمع من كان غائبا من أصحابنا في ليلتنا ما جرى فصنع الرشيد أبو عبد الله محمد بن متانو رحمه الله تعالى وأنشدنيه

أحبب بفانوس غدا صاعدا * وضوؤه دان من العين

يقضى بصوم وبفطر معا * فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه أبو محمد القلعي

وكوكب من ضرام الزند مطلعه * تسري النجوم ولا يسري اذا رقبا

راقب الصبح خوفا أن يفاجئه * فان بدا طالعا في افقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف * يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

ثم صنعت بعد حين

ألست ترى شخص المنار وعوده * عليه لفانوس السمو راهيب

كحامل منظوم الانابيب اسمر * عليه سنان بالدماء خضيب

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة * لها العود غصن والمنار كثيب

وتبدو كخد أحمر والدجى لمى * بدا فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن زنجي الدجى من لهيبه * ومن خفقه قلبا عراه وجيب

تراه يراعي الصبح إلا فان دنا * طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها العشق فقد دراذ * درى أن رومي الصباح قريب

وقلت في اختصار هذا المعنى

انظر الى المنار والفانوس فيه يرفع

كحامل رمحا سنا * نه خضيب يلمع

وقلت أيضا

ألست ترى حسن المنار وضوؤه * يرفع من جنح الدجنة أستارا

تراه اذا جن الظلام مراقبا * له مضمر ما في قلب فانوسه نارا

كصب بجود من بني الزنج سامها * وصالا وقد أبدى لترغب دينارا

وقلت فيه

وليلة صوم قد سهرت بجنحها * على أنها من طولها تعدل الدهرا

حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا * من الشهب قد اضحت مساميره تبرا

وقام المنار المشرق اللون حاملا * لفانوسه والليل قد أظهر الزهرا

كأنما رومي بكاس مدامة * وحيا بها زنجية وشحت دراّ

قال ولما صنعت هذه القطع ندبت اصحابنا للعمل فصنع شهاب الدين يعقوب

رأيت المنار وجنح الظلام * من الجو يسدل أستاره
وحلق في الجو فانوسه * فذهب بالنور أقطاره
فقلت المحلق قد شب في * ظلام الدجى للقرى ناره
وخلت الثريا بدا والنجو * م ورقا غدا البدر قطاره
وخلت المنار و فانوسه * فتى قام يصرف ديناره

وأنشدني القاضي أبو الحسن بن النبيه لنفسه

حبذا في الصيام مئذنة الجا * مع والليل مسبل أذياله
خلتها والفانوس اذ رفعته * صائدا واقفا لصيد الغزاله

وأنشدني ابن نفطويه

يا حبذا رؤية الفانوس في شرف * لمن أراد سحورا وهو يتقد
كأنما الليل والفانوس متقد * في الجو أعور زنجي به رمد

وأنشدني أيضا لنفسه

نصبوا اللواء للسحور وأوقدوا * في رأسه نارا لمن يترصد
فكأنه سبابة قد قدمت * ذهبا وقامت في الدجى تتشهد

وأنشدني الفقيه أبو يحيي السولي رحمه الله تعالى لنفسه

وليلة ملئت أشداقها العسا * واستوضحت غررمن ثغرها اشنبا
ولاح كوكب فانوس السحور على * انسان مقلتها النجلاء واشتهبا
حتى كأن دجاها و هو ملتهب * زنجية حملت في كفها ذهبا

وصنع الاديب أبو العز مظفر الاعمى وكتب بها عنه الى وقد كان سمع جميع المقاطيع فأخذ معانيها وقال

أرى علما للناس في الصوم ينصب * على جامع ابن العاص اعلاه كوكب
وما هو في الظلماء الا كأنه * على رمح زنجي سنان مذهب
ومن عجب أن الثريا سماؤها * مع الليل تلهي كل من يترقب
فطورا تحييه بباقة نرجس * وطورا تحييها بكاس تلهب

وما الليل الا قانص لغزالة * بقانوس نار نحوها يتطلب
ولم أر صيادا على البعد قبله * اذا قربت منه الغزالة يهرب

وأنشدنى الشريف أبو الفضل جعفر

كأنما الفانوس فى * صاريه لما اتقدا
لواء نصر مذهب * فى رأس رمح عقدا

(وكان) الملك العزيز رحمه الله تعالى قد غنى بين يديه دوبيت بالعجمية معناه انه جعل الليل برددارا للحبيب ليحجب الشمس فاستحسن المعنى وأرسل الى وزيره الاجل نجم الدين أبى الفتح يوسف بن المجاور رحمه الله تعالى يأمره أن يصنع المعنى فى شعر وأن يأمر الشعراء بالعمل فى ذلك فصنع بديها وأرسله اليه

قال له الليل انصرف راشدا * فانه استخدمنى برددار

ثم صنعوا بعده فن مرّ وباده (وأخبرنى) الاسعد أبو المـ... ...ـمد بن الخطير قال كنت عند الفاضل رحمه الله تعالى اذ دخل الوزير نجم الدين فأخبره بما طلب السلطان وأنشده ما صنع فقال الفاضل هذا معنى كنت نظمته قديما الا أنى استخدمت الليل بوّابا فقلت

بتنا على حال تسوء العدا * وربما لا يمكن الشرح
بوّابنا الليل وقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

قال الاسعد ولم أكن صنعت شيأ فصنعت بديها

قلت لليل عند ما زارنى البد * ر وأوجست خيفة للرواح
أنت يا ليل برددار حبيبى * فتأهب لدفع صدر الصباح

قال فاستحسن الوزير القسيم الثانى فقلت برددارا مولى نعلم منه حسن الخلق يقول انصرف راشدا وهذا البرددار فظ غليظ يدفع فى الصدر (وأخبرنى) ابو الحسن بن النبيه قال دخلت على الاجل نجم الدين الوزير رحمه الله تعالى فأمرنى بالعمل فيما رسمه السلطان فاستمهلته فأبى فصنعت وانشدت

قلت لليل اذ حبانى حبيبا * وغناء يسبى النهى وعقارا
انا سلطان مجلسى فاحجبوا الصبح وكن انت يا دجى برددارا

وأنشدنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك لنفسه

أبا حنى الليل وصل طيف * عهدته منه لا يباح

وتحجب العالمين عنى * فلا غدو ولا رواح

ياليل أمسيت برد دارى * اياك أن يهجم الصباح

وأنشدنى شهاب الدين يعقوب ابن اخت نجم الدين رحمه الله تعالى لنفسه

قلت اذ زار من أحب وجنح الـ * ـليل روض أبدى النجوم نهارا

ملك الحب زاره ملك الحسـ * ـن فزادا على الحسود اقتدارا

فافرشوا الورد أطلسا حين يمشى * واجعلوا عسجد الكؤوس نثارا

واصرفوا حاجب الهلال فقد تم * بسرى الى العيون سرارا

واحجبوا قيصر الصباح وقولوا * لنجاشى الظلام كن برد دارا

وأنشدنى القاضى الاسعد عبد الرحيم بن شيث ناظر القدس الشريف لنفسه

زار وقد آنس للقلب نار * وليس الا وجهه اذ أنار

طيف وقل ضيف كما أننى * ابحته قلبى قرى أو قرار

لم أنسه خاض الى الدجى * وجاب من شوق الى القفار

فانشق قلب الصبح غيظا به * وغار نجم الافق منه فغار

وذات قد كالقضيب انثنى * وأين منها الغصن لولا الثمار

بديعة كم لى بها غرة * وكم لها فى مهجتى من غرار

ورب ليل طاب لى وصلها * به فلولا وصلها قلت طار

رأيتها ليلا وصحابها * عرفت بالليل ولا بالنهار

بتنا ضجيعى عفة ما درت * منا يد ما يحتويه ازار

يسكرنى لثمى لاصداغها * فهى عناقيد ولثمى اعتصار

يحجب عنا الصبح ستر الدجى * كأنما الليل لنا برددار

وبعدها فليطل الليل ما * شاء على رغم الليالى القصار

وبرز أمر الملك العزيز رحمه الله تعالى الى وزيره الاجل نجم الدين رحمه الله أن يصنع غزلا فى جارية صنعت على خدها بالمسك صورة حية وعقرب فصنع بديها

قد يتهام غادة * مخلوقة من طرب

سألتها فى قبلة * فى خدها المذهب

فجاوبت مجيبة * بكفها المخضب

وابابى وابابى * من عظم هذا المطلب

وليس هذا ممكنا * على ممر الحقب
روضة خدى حرست * بحية وعقرب
من رام أن يلثمها * فليرقها بالذهب
وليشرب الدرياق من * رضاب ثغرى الشنب

وصنع أيضا

جعل العذول يقول لى لما بدت * كالشمس فى بعد وفى احراق
لا تطمعن بوصلها وبلثمها * هذى مذيبة انفس العشاق
تفاح خديها حمته بعقرب * وبحية خوفا من الاحداق
فحذار ثم حذار يا عشاقها * فلديغها ما ان له من راق
قلت اتئد هذى وتلك تولدا * فى ماء خد ما تررقراق
والله لا خوف على بلثمها * مادام خمر رضابها درياقى

ثم أمر الناس بالعمل فأكثروا وصنع ابن مماتى قطعا كثيرة تزيد على العشرين من أحسنها قوله

نقشت حية على * ورد خد مزخرف
فبدت آية الكليم على وجه يوسف

وقال أيضا

فى خدها عقرب وحيه * وأنت يا نفس بعد حيه
قد جال ماء الشباب فيه * وأرسل الصدغ فيه فيه

وقال ابن سنا الملك

صفا العيش فى ملك العزيز بن يوسف * فلم يبق فيه للشوائب باق
فلا عقرب الا بخد مليحة * ولا جور الا فى ولاية ساق

وقال أيضا

ظهرت معجزات ملك العزيز * فهى فى وقته ذوات بروز
حية تحت عقرب فوق خد * أحمر كاللجين والابريز
فهما مثل قبضة بحسام * ركبوها فى صارم مهزوز

(واخبرنى) بهاء الدين حسن بن الخزستانى المعروف بابن الساعاتى قال أمرنى السلطان أن أصنع فيهما بديها على وزن قطعة كانت تغنى

فى ذلك

فى ذلك الوقت فصنعت

أمعنفي فيمن هويت جهالة * انظر بعين العدل فيمن تعذل
ارأيت دريا فاكبرد رضابها * بعث الصدى وهو الرحيق السلسل
وكحية وكعقرب فى خدها * ابدا تسىء فعالها وتقبل
فهي إذا ما باشرت فم عاشق * واذا تقابل من بعيد تقتل

قال ثم صنعت

وخريدة بيضاء ليلة هجرها * من شعرها وجبينها من وصلها
رقمت مواشطها على وجناتها * صورا تعبدني الغرام لاجلها
أوما عجبت لحية فى جنة * دونى تفوز بماتها وبظلها
فحذار منها ما استطعت فقبلها * مكرت بآدم اختها فى مثلها

قال ثم صنعت أيضا

ياضرة القمرين فى شرفيهما * من أى شئ منك لم اتعجب
أقبلت مثل الشمس فى غسق الدجى * وحات صباحا حاكيا عن كوكب
من حيث لا ماء الشباب مكدر * كلا ولا برق السلاف بخلب
كتبت بخديك المواشط فتنة * عمت عموم هواك من لم يكتب
وكأنما رقم الجمال بكفه * وجه الضحى بجريرة من غيهب
جاء الكليم بآية من حية * وأراك جئت بحية وبعقرب

وصنع شهاب الدين ابن اخت الوزير النجم من قصيدة وأنشدنيها لنفسه

خود جلا غرتها شعرها * بدر بهى فى ظلام بهيم
يطيب ذكر الشعر من لفظها * كأنما ذاك النسيب النسيم
قد رقمت وجنتها أرقما * بالمسك فى مذهب ثوب طميم
ما ذاق من قابله غفوة * واعجبا من ساهر بالرقيم
مرسلة بالحسن قد أظهرت * فى نار ابراهيم آى الكليم

وصنع القاضى أبو العباس أحمد بن القطرسى وأنشدنيه

وغادة زينت بافعى * مسك على خدها المصون
فقلت يغنيك سحر لحظ * انفذ سهما من المنون
قالت رأيت القلوب ليست * تطيق ما فيه من فتون

فصاغها الحسن فوق خدى * تلقف السحر من جفونى

وانشدنى القاضى أبو الحسن بن النبيه لنفسه

وغادة قالت وفى خدها * حية مسك قد سبتنى المنام
حمرة خدى اذا قارنت * سواد أصداغى هام الهوام
أما ترى الحية تسعى الى النـ * ـار اذا ما اضرمت فى الظلام

وانشدنى أيضا لنفسه

فى ورد خديك بدت عقرب * وحية تلسع جانيها
يقول من بات سليما بها * يا عيش من اصبح حاويها

وصنع المخلص أبو العباس أحمد ابن بنت الفقيه أبى الطاهر بن عوف وأنشدنيه

حت ورد خديها بأفعى وعقرب * فردت يدى جانيه عن جلناره
أليس محياها المزخرف جنة * فلا غرو ان حفت لنا بالمكاره

وقال أيضا رحمه الله تعالى

سألتها تصفح عن هفوة * من عاشق أقسم أن لا يعود
فصورت ملغزة حية * وعقربا من فوق ورد الخدود
فكان تصحيف الذى ألغزت * خيفة أن يفهم عنها الحسود
غفرت ما اسلف فلتهنه * جنة وصلى بعد نار الصدود

وأنشدنى الرضى بن أبى حفصة الاحدب لنفسه

قالوا ترى عقربا قد قابلت افعى * فى خد ظبية أنس قط ما ترعى
فقلت لما بدا سحر الجفون لها * جاءت له حية فى خدها تسعى
وتلك عقرب خديها فلا برحت * لأنها العقرب المؤذى بها طبعا
فانظر الى حية مع عقرب ظهرت * بروض وجنتها لم يقتلا شرعا
وزادنا حسنها نفعا فوا عجبا * من أهل ضر لها قد أظهروا النفعا
لولم يكن ريقها الترياق ماسلمت * وكان لا ثمها لا يأمن اللسعا
فقل لمن سامنى ترك الغرام بها * لم أسلها والذى قد أخرج المرعى

(قال على بن ظافر) وصنعت

قضيب قدك هذا الرطب من هصره * وخمر ريقك هذا العذب من عصره

وأطلس الخد من بالمسك صورفي * محمرة حية بالمسك مقتدره
ياحسنه افعوانا لايعض وان * اضحى على عضه للعاشقين شره
فلا تظننه رقشاء لاسعة * تنساب من وجهها في روضة نضره
بل نفث ألحاظها بالسحر خيل ثعـ * ـبانا على خدها يلهى الذى نظره
ياليت شعرى مع أنى الكليم هوى * لم اظهرت آيتى ألحاظها السحره
قال وقلت أيضا

وغادة رقت فى خدها صورا * لتسلب الناس ألبابا وأذهانا
هل عقرب الصدغ خافت فتك اعيننا * فاستنجدت عقربا أخرى وثعبانا
أم العقارب والحيات قد ألفت * من وجنتيها بحكم الطبع بستانا

(الباب الخامس فى بقية بدائع البدائه)

وفيه فصلان أحدهما ما كان من البديهة باقتراح مقترح وثانيهما ماليس باقتراح مقترح

(الفصل الاول)

(فيما كان باقتراح مقترح)

(فمن ذلك ماروى) أن جبلة بن الايهم آخر ملوك آل جفنة قال لحسان ان حب المدامة قد استحوذ على فبغضها الى فصنع حسان ارتجالا

ولولا ثلاث هن فى الكاس لم يكن * لها ثمن من شارب حين يشرب
لها نزق مثل الجنون ومصرع * دنى وان العقل ينأى ويذهب

فقال حرمتنى لذتها فحببها الى فارتجل وقال

ولولا ثلاث هن فى الكاس أصبحت * من أكد شيء يستفاد ويجلب
أمانيها والنفس يظهر طيبها * على حزنها والهم ينأى ويذهب

فأمر له جبلة بجائزة وحله من حلله (ومن ذلك) ماروى أن الفرزدق دخل على عبد الملك فى بعض وفاداته عليه فامتدحه فحباه وأكرمه وأحسن جائزته فلما خرج من عنده ركب راحلته وأنشد

ماحملت ناقة من معشر رجلا * مثلى اذا الريح ألقتنى على الكور

فأنهى ذلك الى عبد الملك فأرسل وراءه من رده فلما دخل عليه قال له يافرزدق أنت الذى تقول ماحملت ناقة البيت قال نعم ياأمير المؤمنين قال لتخرجن منها

يا ابن اللخناء او لآتين عليك فقال مرتجلا

الا قريشا فان الله فضلها * مع النبوة بالاسلام والخير
ترى وجوه بنى مروان مشرقة * يوم الندى كشوفات الدنانير

فقال عبد الملك أولى لك ورضى عنه (ومن ذلك) ماروى أن أبا الخطاب عمر بن عامر السعدى المعروف بابن الاشد أنشد موسى الهادى

يا خير من عقدت كفاه حجزته * وخير من قلدته أمرها مضر

فقال له الهادى الا من فقال مواصلا

الا النبى رسول الله ان له * فخرا وأنت بذاك الفخر تفتخر

فظن الهادى والحاضرون أن البيت مستدرك ونظر فى صحيفته فلم يجده فأضعف صلته (وروى) أن على بن جبلة الاعمى العكوك لقى طاهر بن الحسين وهو فى حراقة له فقال له طاهر انك قد قلت فى أبى دلف

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فاصنع لى مثلهما ولك بكل بيت ألف فصنع بديها

عجبت لحراقة ابن الحسين كيف تعوم ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد * ومن فوقها آخر مطبق
وأعجب من ذاك أعوادها * وقد مسها كيف لا تورق

فأمر له بثلاثة آلاف درهم فأخذها وانصرف (وذكر الصولى فى كتاب الوزراء) قال حدثنا عيسى بن حماد قال شرب الحسن بن وهب عند عبد الله بن طاهر فعرضت سحابة فأبرقت ثم أمطرت فقال بعض من حضر المجلس قل فى هذا شيأ فقال

هطلتنا السماء هطلا دراكا * عارض المرزمان فيه السماكا
قلت للبرق اذ توقد فيها * يا زناد السماء من اوراكا
أحبيبا نأيته فجفاكا * فهو ذا العارض الذى أبكاكا
أم تشبهت بالامير ابى العباس فى جوده فلست هناكا

(وذكر ابن المثنى) قال قلت لخالد الكاتب أخبرنى عن قولك

هذا حبيبك مطوى على كمده * حرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستعبدا دنفا * كانت منيته فى عينه ويده

ألا قلت كما قال أبو نواس

سماه مولاه لاستملاحه سمجا * فاختال عجبا بهذا الاسم وابتهجا
ظبى كأن الثريا دون مفرقه * والمشترى وضياء الشمس والسرجا
محكم الطرف يدمى سيف ناظره * اذا انتضاه لقتلك قال لا حرجا
لا فرج الله عنى ان مددت يدى * اليه اسأله من حبه فرجا

فصنع بديها

قل لظبى كله حسن * ارث لى من فعلك السمج
عينه سفاكة المهج * من دمى فى أحرج الحرج
اسهرتنى وهى راقدة * باحورار الطرف والدعج
لا اتاح الله لى فرجا * يوم أدعو منك بالفرج

*(وروى) أن اباتمام لما انشد أحمد بن المعتصم فى حياة ابيه بحضرة يعقوب ابن الصباح الكندى فيلسوف العرب قصيدته التى أولها

ما فى وقوفك ساعة من باس * تقضى رسوم الاربع الادراس

وانتهى الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم احنف فى ذكاء اياس

قال له الكندى ما زدت أن شبهت الامير بصعاليك العرب ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيرا ثم أنشد

لا تعجبوا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فجن الحاضرون استحسانا لما أتى به وأجزل أحمد صلته ولما خرج قال ابن الصباح ان هذا الفتى قصير العمر لانه ينحت من قلبه فكان كذلك

*(وروى) حماد بن احمد الكندى قال كان على بن الجهم يشنع فى مروان بن أبى الجنوب حسدا له على قبوله ومنزلته عند المتوكل فقال له المتوكل يوما أيكما أشعر يا على وأراد أن يغرى بينهما فقال على انا اشعر منه فقال ما تقول يا مروان

فقال كل أحد أشعر مني واذا اصيب عرضي في أمير المؤمنين لا أبالي فقال المتوكل هذا اعدول عن الجواب قد زعم انه اشعر منك فان كان صادقا فاقدمناه عليك والا فبرهن عن نفسك فقال مروان يا علي أنت اشعر مني قال أو تشك في هذا قال لشد ما شككت قال فالناس يعلمون صدقي قال فأمير المؤمنين بيننا قال انه يميل اليك فقال المتوكل هذا من عيك يا علي ثم التفت الى حمدون بن عيسى وقال له اقض بينهما قال مالي وللماصي في الاسد فقال المتوكل قد أبحت كلا منكما هجاء صاحبه فليبن عن نفسه فقال علي انه قد كظني النبيذ فما اقدر على قول الشعر حتى افيق فقال مروان لكنني اقدر يا أمير المؤمنين قال قل وعجل فقال

ان ابن جهم في المغيب يعيبني * ويقول لي حسنا اذا الاقاني
ويكون حين أغيب عنه شاعرا * ويضل عنه الشعر حين يراني
واذا خلونا نالك شعري شعره * ونزا علي شيطانه شيطاني
عظمت حواياه واربى بطنه * فكأنما في بطنه ولدان
ان ابن جهم ليس يرحم أمه * لو كان يرحمها لما هاجاني

فضحك المتوكل والندامى واتخذل ابن الجهم فقال المتوكل بحياتي زدما حضرك فقال

بنت جهم يا عليه * صرت بعدي قرشيه
قلت ما ليس بحق * اسكتي يا حلقيه
اسكتي يا بنت جهم * اسكتي يا نبطيه

فجعل المتوكل يضحك ويضرب الارض برجله فقال ابن الجهم لعمري ان هذا الشعر يشبه قائله فقال مروان صدقت انه لهزل ولكنني أجد بك ثم قال

لعمرك ما جهم بن بدر بشاعر * وهذا علي نجله يدعي الشعرا
ولكن أبي قد كان جار الامه * فلما ادعى الاشعار اوهمني أمرا

ففضحه في ذلك المجلس ولم يحر جوابا الا انه قال بعد ذلك بيتين يعنيه بهما وهما

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ويرتع منك فى عرض مصون

*(قال على بن ظافر) ولما قدم مؤيد الدولة بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى الى بغداد فى حياة والده وعمه معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه ليعقد على ابنته زبيدة قدم معه الصاحب أبو القاسم بن عباد وهو يومئذ فى حداثة سنه وريعان عمره وفى هذه السنة كتب كتاب الروزنامجة الى الاستاذ الرئيس أبى الفضل بن العميد وفى فصل منه ما معناه انه حضر عند الاستاذ أبى محمد المهلبى فى ليلة طلعت نجوم سعدها وأنجزت بها سحب المسرة صادق وعدها وألاحت الكؤس خاطف برقها واسمعت المثانى حثيث رعدها فجعلوا يتنقلون فى شجون المجون ويعقدون نكاح ابن الغدير على ابنة الزرجون فاقترح عليه المهلبى أن يصنع شعرا فى صفة هذا الحال فقال بديها

تركت لسانى الريح بانة عرعرا * وزرت لصافى الراح حانة عكبرا
وقلت لعلج يعبد الراح زفها * مشعشعة قد شاهدت عهد قيصرا
فأوسعنى آساووردا ونرجسا * وأسمعنى نايا وطبلا ومزهرا
هنالك أعطيت البطالة حقها * وألقيت هتك الستر كنزا ومفخرا
كأنى الصبا جريا الى حومة الصبا * اناغى صباء من جليد مزترا
فعانقته والراح قد أعبقت بنا * وكررت تقبيلا وقد أقبل الكرا
وصد عن العين النعاس وصدنى * الى أن تصدى الصبح يلمع مسفرا
وهبت شمال نظمت شمل بعشتى * فطارت بها عنى الشمول تطيرا
وكان الذى لولا الحيا لاذعته * ولاعيش يصفو للفتى ان تسترا

(وذكر) القاضى أبو على التنوخى فى كتاب النشوان قال حدثنى أبو طاهر عبد العزيز بن حامد الواسطى الملقب سيدوك قال كنت بحضرة بعض الرؤساء فى مجلس شراب فرمى الى بنارنجة نصفها اخضر ونصفها اصفر وقال قل فى هذه شيأ فارتجلت

وطيبة النشر مسكية * مرصعة بالسجايا الطياب
فأصفر فى لون شمس المسا * واخضر فى لون قوس السحاب
فلون كوجنة مرعوبة * ولون كاثر نصول الخضاب

فهذا كصفحة خد الحبيب * وذاك كما على صرف الشراب

(قال) وكنت انا وأبو الفرج الببغاء نشاهد بركة مليئة وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق حتى غطى أكثر الماء وحضر أبو على الهائم فسأل أبا الفرج أن يعمل فى ذلك شيأ فعمل بحضرتنا وانشد

خجل الورد من جوار البهار * فتشى باحمراره فى اصفرار
وحكى الماء فيهما أحمر اليا * قوت حسنا مرصعا بنضار
جمعا بالكمال فى بركة تم * تع حسنا نواظر الحضار
انضرم الماء بالشقيق بها النا * ر وعهدى بالماء ضد النار
فوجدنا أخلاق سيدنا الزهـ * ـر ذكاء تربى على الازهار
ظلت منه ومن نداماه للانـ * ـس نديم الشموس والاقمار

(قال) وكنت بحضرة عضد الدولة فى مجلس انس فى عشية من العشايا فغنى له من وراء ستارة الخاصة صوت وهو

نحن قوم من قريش * ما همنا بفرار

وبعده أبيات ركيكة فقال أتعرفون لمن هذه فقال أبو عبد الله بن المنجم بلغنى أن الشعر للمطيع لله واللحن له فقال لى اصنع أبياتا على وزنها وقافيتها ليكون هذا اللحن المليح فى شعر جيد فتباعدت عن المجلس واستدعيت دواة ودرجا وعملت

ايهذا القمر الطا * لع من دار القمارى
رانحا من خيلاء الحسن فى أبهى ازار
والذى يجنى ولايتـ * ـبع ذنبا باعتذار
أوضح العذر عذارا * لك على خلع العذار
انا من هجرك فى بعـ * ـد على قرب مزار

فاستحسنها جدا وأنشد

نحن قوم نحفظ العهـ * ـد على بعد المزار
ونعير السحب سحبا * من أكف كالبحار
ابدا نحسر للضيـ * ـف بدورا من نضار

وبلغنى

(وبلغني) عن بعض أهل المجلس انه أمر الستارة بنقل اللحن الى هذا الشعر فنقل وغني به وبعد هذا تممت انا ابيات القصيدة وامتدحته بها * (قال علي ابن ظافر) وبالاسناد المتقدم ذكر صاحب اليتيمة ما معناه أن أبا الحسن السلامي الشاعر دخل على الامير عز الدولة أبي ثعلب فضل الله بن ناصر الدولة ابن عبد الله بن حمدان وبين يديه درع كانما جمعت من عيون الدبى أو غدير غضنت وجهه الصبا فقال له صفها فارتجل

يارب سابغة حبتني نعمة * كافأتها بالسوء غير مفند
اضحت تصون عن المنايا مهجتي * وغدوت أبذلها لكل مهند

فاستحسن بديهته وأحسن جائزته (وذكر) ما معناه أن السلامي سافر في صباه الى الموصل وبه جماعة من الشعراء فلما انشدهم شعره اتهموه واستصغروا سنه واستعظموه فقال لهم أبو عثمان الخالدي أنا أكفيكم أمره ثم صنع دعوة وجمعهم بها فلما اجتمعوا اخذوا في سبر صناعته والبحث عن قدر بضاعته فاتفق أن أمطرت السماء مطرا اشبه الثغور في لونها وبردها وجانس بمنثوره منظوم عقدها فبادر الخالدي فألقى عليه نارنجا كأنه كرات ذهب أو شعل لهب ثم قال يا أصحابنا صفوا هذا فارتجل السلامي

لله در الخالدي الاوحد الندب الخطير
اهدى لماء المزن عنـ * ـد جموده نار السعير
حتى اذا صدر العتا * ب اليه عن حنق الصدور
بعثت اليه بعذره * عن خاطري أيدي السرور
لاتعـذلوه فانه * أهدى الخدود الى الثغور

فاعترفوا بفضله وعرفوا عند ذلك مقدار علمه وعقله * (وأخبرني) الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي قال أخبرني الامام الحافظ السلفي الاصبهاني رحمه الله تعالى قال أخبرني الرئيس أبو سعد محمد بن عقيل ابن عبد الواحد الدسكري في سنة ست وتسعين وأربعمائة قال حدثني القاضي التنوخي قال أصعد أبو الفرج الببغاء الى سيف الدولة بن حمدان هو وجماعة من الشعراء الكبار يمتدحونه فأخرج يوما خازنه قدحا من ياقوت أزرق مملوءا ماء وتركه يتشعشع فقال له أبو الفرج يا مولانا ما رأيت أحسن من

هذا فقال قل فيه شيأ وهو لك فقال أبو الفرج فى الحال

كم منة للظلام فى عنقى * بجمع شمل وضم معتنق
وكم صباح للراح اسلمنى * من فلق ساطع الى فلق
فعاطنيها بكرا مشعشعة * كأنها فى صفاتها خلق
فى ازرق كالهواء يخرقه اللحظ وان كان غير منخرق
كان أجزاءه مركبة * حسنا ولطفا من زرقة الحدق
مازلت منه منادما كعبا * مذ أسكرتها المدام لم تفق
تختال قبل المزاج فى أزرق الفجر وبعد المزاج فى شفق
ادهشها سكرنا فان يكن الصمت حديثا فذا عن فرق
تغرق فى أبحر المدام فيستنقذها شربنا من الغرق
ونحن باللهو بين مصطبح * يمرح أمنا وبين مغتبق
فلو ترى راحتى وصبغتها * من لونها فى معصفر شرق
لقلت ان الهواء لاطفنى * بالشمس فى قطعة من الافق

فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه اياه *(وذكر) أن السرى الرفاء الموصلى دخل على أبى الحسن باروخ بن عبد الله صاحب ناصر الدولة بن حمدان وبين يديه ستارة تستر من يجلس برسم الغناء فأمره أن يصنع ما يكتب عليها فصنع بديها

تبين لى سبق الامير الى العلا * ومازال سباقا الى الفضل منعما
فصيرنى بين القيان اذا شدت * وبين نداماه حجابا مكرما
لاظهر من حسن الغناء محللا * وأستر من حسن الوجوه محرما

*(وذكر العميد الباخرزى فى كتاب دمية القصر) أن أبا الحسن أحمد بن على البستى أمره بهاء الدولة أن يعمل ما يكتب على تكة ابريسم فقال ارتجالا

لم لا اتيه ومضجعى * بين الروادف والخصور
واذا نسجت فاننى * بين الترائب والنحور
ولقد نشأت صغيرة * بأكف ربات الخدور

*(ومن ذلك) ما روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويته بالاسناد المتقدم

ورواه لي أيضا جماعة من الاندلسيين متفرقا أن أبا الفضل صاعدا اللغوي دخل على المنصور بن أبي عامر المعافري كفيل المؤيد هشام بن الحكم بن الناصر الاموي والمتغلب على دولته فأهدى الى المنصور وردة منطبقة في غير أوانها فقال لصاعد قل فيها شيأ فارتجل

أتتك أبا عامر وردة * يحاكي لك المسك انفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها

فأفرط المنصور في استحسانهما فحسده ابن العريف وقال انهما ليساله وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه وهما عندي على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يبحث حتى أتى مجلس ابن بزيد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي صاعد

عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت نعم فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة * يحاكي لك المسك انفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها راسها
وقالت خف الله لا تفضحن * في ابنة عمك عباسها
فوليت منها على غفلة * ولا خنت ناسي ولا ناسها

فسار ابن العريف وعلقها على ظهر كتاب بخط مشرقي وتحيل حتى غبر المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يقم في مكان لي فيه سلطان فلما أصبح طلبه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل به وبهم الى مجلس حفل قد أعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النوار عليها لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحتها بركة ماء قد ألقي فيها اللؤلؤ مثل الحصباء وفيها حية تسبح فقال لصاعد بلغنا انك تكذب في شعرك وقد وقفنا على حقيقة ذلك وهذا يوم اما ان تسعد فيه عندنا واما ان تشقى وهذا طبق ما أظنه حضر بين يدي ملك قبلي فصفه حالا فقال صاعد بديها

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من يخشاك في الارض خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا * عليها فنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * يظللها باليا سمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها * من الرقش مسموم العرانين راجف
ترى ما تشاء العين في جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أجدت الا أنك لم تصف هذه الجارية فارتجل

وأعجب منها غادة في سفينة * مكللة تصبو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقي * بسكانها ما أنذرته الرواجف
متى كانت الحسناء ربات مركب * يقلب في الكفين منها المجاذف
ولم ترعيني في البلاد حديقة * وشتها ازاهير الربا والزخارف
ولا غروان انشت معاليك روضة * تقلبها في الراحتين الوصائف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا رمت قولا أو طلبت بديهة * فكلني لها اني لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه في ديوان الندماء (وروى) انه خرج معه يوما الى الزهراء فمد المنصور يده الى شيء من الريحان المعروف بالترنجان فرمى به اليه وأشار اليه أن يقول فيه فارتجل

لم أدر قبل ترنجان عبثت به * أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * يا قوم حتى من الازهار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه * فعل الجميل فطابت منه أخلاق

من ليس يقعده عن سودد قدم * ولا تقوم له فى سوأة ساق

(وروى) أيضا قال دخل صاعد اللغوى على بعض أصحابه فى مجلس شراب فملا الساقى قدحا من ابريق فتكونت قطرة من الراح فى فم الابريق ووقفت ولم تبرح فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك فقال بديها

وقهوة من فم الابريق ساكبة * كدمع مفجوعة بالالف مغيار

كأن ابريقنا والراح فى فمه * طير تزقق ياقوتا بمنقار

وقد أخذه من قول الشريف أبى البركات على بن الحسن العلوى

كان ريح الروض لما أتت * فتت علينا مسك عطار

كأنما ابريقنا طائر * يحمل ياقوتا بمنقار

(وذكر) ابن بسام أيضا أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر المظفر بن المنصور بن أبى عامر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة الخلق ولم تزل تسهر فى خدمتهم الى أن هم جند الليل بالانهزام وأخذ فى تقويض خيام الظلام وكانت تسمى اسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلها على صغر سنها فسأله المظفر وصفها فصنع ارتجالا

أفدى اسماء من نديم * ملازم للكؤس راتب

قد عجبوا فى السهاد منها * وهى لعمرى من العجائب

كيف تجافى الرقاد عنها * فقلت لا ترقد الكواكب

(وذكر) ابن بسام أيضا انه كان يوما مع جماعة من الادباء عند القاضى ابن ذكوان فجىء بيا كورة باقلاء فقال ابن ذكوان لا ينفرد بها الا من وصفها فقال ابن شهيد أنا لها وارتجل

ان لآليك احدثت صلفا * فاتخذت من زمرد صدفا

تسكن ضراتها البحور وذى * تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتخذت * من سندس فى جنانها لحفا

شبهتها بالثغور فى لطف * حسبك هذا من رمز من لطفا

حاز ابن ذكوان فى مكارمه * حدود كعب وما به وصفا

قدم در الرياض منتخبا * منه لافراس مدحه علفا

أكل ظريف وطعم ذى أدب * والفول يهواه كل من ظرفا

وخص فيه شيخ له حسب * فكان حسبي من المنى وكفى

(قال) ابن بسام وحكى أن جماعة من أصحاب ابن شهيد قالوا له يا أبا عامر انك لآت بالعجائب وجاذب بذوائب الغرائب ولكنك شديد الاعجاب بما يأتي منك هاز لعطفك عند النادر يتاح لك ونحن نريد منك أن تصف لنا مجلسنا هذا وكان الذي طلبوه منه زبدة التعنيت لان المعنى اذا كان جلفا ثقيلا على النفس قبيح الصورة عند الحس كات الفكرة عنه وان كانت ماضية واساءت القريحة في وصفه وان كانت محسنة وكان في المجلس باب مخلوع معترض على الارض ولبد أحمر مبسوط قد صففت نعالهم عند حاشيته فقال مسرعا

وفتية كالنجوم حسنا * وكلهم شاعر نبيل

منتقد الجانبين ماض * كأنه الصارم الصقيل

راموا انصرافي عن المعالي * والحد من دونها كليل

فالشد في أمرها فسيح * كل كثير له قليل

في مجلس زانه التصابي * وطاردت وصفه العقول

كأنما بابه أسير * تعرض من دونه النصول

يراد منه المقال قسرا * وهو على ذاك لا يقول

ينظر من لبده لدينا * بحر دم تحتنا يسيل

كأن أخفافنا عليه * مراكب مالها دليل

ضلت فلم تدر أين تجري * فهي على شطه تقيل

فعجب القوم من أمره ثم خرج من عندهم فمر على بعض معارفه من الطوافين وبين يديه زنبيل ملآن خرشفا فجعل يده في لجام بغلته وقال لا أتركك حتى تصف الخرشف فقد وصفه صاعد فلم يحسن فقال له ابن شهيد ويحك اعلى مثل هذه الحال قال نعم فثنى رجله ثم قال

هل ابصرت عيناك يا خليلي * قنافذا تباع في زنبيل

كأنها انياب بنت الغول * لو نخست في است امرئ ثقيل

لقذفته نحو أرض النيل * ليس يرى طي حشا منديل

نقل السخيف المائق الجهول * واكل قوم نازحي العقول

أقسمت لا أطعمها أكيلي * ولا طعمتها على شمول

(وانبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن بن المقدسى عن أبى قاسم مخلوف ابن على القيروانى عن السرقسطى عن الحميدى قال ذكر أبو عامر بن سلمة أن اسحق بن اسمعيل المنادى حضر مجلسا من أهل الادب فدخل عليهم فتى جميل يكنى أبا الوليد وبيده تفاحة غضة فتنافسوا فيها وجعل كل يستهديها فقال لا يستحقها الا الاصالة الامن وصفها فأحسن وصفها فقال المنادى هاتها فأنا زعيم بما أردته فيها فأعطاه اياها فقال

مجال العين فى ورد الخدود * يذكر طيب جنات الخلود
وأطيب ما تمنى النفس الف * يجدد وصله بعد الصدود
وآرجة من التفاح تزهو * بطيب النشر والحسن الفريد
فقلت لها فضحت المسك طيبا * فقالت لى بطيب أبى الوليد

(روى) ابن بسام فى كتاب الذخيرة ورويناه بالاسناد المتقدم قال حدث أبو عبد الله الصفار الصقلى قال كنت ساكنا بصقلية وأشعار ابن رشيق ترد على فكنت اتمنى لقاءه حتى قدم الروم علينا فخرجت فارا بمهجتى تاركا لكل ما ملكت يدى وقلت أجتمع بأبى على فبرقة شمائله وطيب مشاهدته سيذهب عنى بعض ما أجد من الحزن على مفارقة الاهل والوطن فجئت القيروان ولم اقدم شيأ على الدخول الى منزله فاستأذنت ودخلت فقام الى وهو ثانى اثنين فأخذ بيدى وجعل يسألنى فأخبرته بأمرى فارتمض وبعد أن تمكن انسى بمجالسته قال لى يوما يا أبا عبد الله ان ههنا بالقيروان غلاما قد سلب كبدى واستولى هواه على خلدى منذ عشرة أعوام فانهض بنا اليه فان أنت ساعدتنى عليه قدمت عندى يدا لا يعدلها الارضاه فقلت سمعا وطاعة وسرت معه حتى جئنا صاغة الجوهريين فاذا غلام كأنه بدر تمام صافى الاديم عطر النسيم كأنما يبسم عن در ويسفر عن بدر قد ركب كافور عارضيه مسك صدغيه على بياض يجرحه الوهم بخاطره ويدميه الطرف بناظره فلما رآنا الغلام علته خجلة سلبت وجه أبى على ماءه فأنشدته قول الصنوبرى

انه من علامة العشاق * اصفرار الوجوه عند التلاقى
وانقطاع يكون من غير عى * وولوع بالصمت والاطراق

فقال لى والله ما واجهته قط قبل يومى هذا الاغشى على ولكنى أنست بك

وشغلت بعذوبة لفظك مع أني لم أروّ طرفي من وجهه المقمر ولا متعته بقده المثمر لتنكيسه رأسه عند طلوعي اليه فقلت ولم ينكس رأسه فوالله مارأيت اشبه بالبدر منه خدّا وبالغصن قدّا ولا بالدرّ ثغرا ولا بالمسك شعرا فقال ياأبا عبد الله ما أبصرك بمحاسن الغلمان لاسيما من فضضت كف الجمال صفحته وذهبت وجنته وخافت على تفاح خده العيون فوكلت بها الجفون ياأبا عبد الله ينكس رأسه لاني عاقته وخده هلالي وطرفه غزالي وفرعه ظلامي ولحظه بابلي وقده قضيبي وردفه كثيبي وخصره ساجي وصدره عاجي فكان طرفي يشوب كافوره بالعقيق فيحرج لذلك صدر العشيق حتى بدا عذاره فأبدى من نمنمه نقشا على فضي خديه فتوهم ذلك الطاهر الاعراق الطيب الاخلاق أن ذلك مما يضعف قوى محبته ويمحو رسوم مودته فقلت له بحقي عليك ياأباعلي الاقلت في هذا المعنى شيأ فأطرق قليلا ثم أنشد

واسمر اللون عسجدي * يكاد يستقطر الجهاما
ضاق بحمل العذار ذرعا * كالمهر لا يعرف اللجاما
ونكس الرأس اذرآني * كأنه وا كتسى احتشاما
وظن أن العذار مما * يزيح عن قلبي الغراما
ومادرى انه نبات * أنبت في جسمي السقاما
وهل ترى عارضيه الا * حمائلا حلت حساما

(وهذا كما قال ابن المعتز)

ومستحسن وصلي جعلت وصاله * شعاري فما أنفك دأبا أواصله
كأن بعينيه اذا ما أدارها * حساما صقيلا والعذار حمائله

(قال) علي بن ظافر وذكر أن أباعلي حسن بن رشيق دخل على المعز بن باديس يوما وفي يده أترجة كأنها واسطة ذهب أو جذوة لهب فأشار الى وصفها فارتجل

أترجة سبطة الاطراف ناعمة * تلقى النفوس بحظ غير منحوس
كأنما بسطت كفا لخالقها * تدعو بطول بقاء لابن باديس

(وذكر) ابن رشيق في كتاب الانموذج أن كتاب الخراج بالقيروان اجتمعوا في الديوان يوما فوقعت بينهم جرادة فوضعها بعضهم في يده وقال من يصفها

فقال عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي قد علمتم أني امرؤ مرتو واست بصاحب بديهة فبدرهم على بن ابراهيم الاريسي وهو أصغرهم سنا اذ ذاك فقال

وخيفانة صفراء مسودة القرا * أتتك بلون أسود تحت اصفر
وأجنحة حمر كأمثال ردنة * تقاصر عن أطراف برد محبر

(وروى) أن الشيخ أبا الحسن على بن عبد الرحمن الصقلي دخل على بعض الرؤساء وبين يديه طبق قد ملئ وردا أحمر وأبيض فاستدعى منه وصفه فقال بديها

كأنما الورد الذي نشره * يعبق من طيب معانيكا
دماء أعداك مسفوكة * قد قارنت بيض أياديكا

(وذكر صاحب الدمية الباخرزى) أن الشريف محمد بن على بن الحسين الهمداني قال دخلت على عمي الرئيس أبي الحسن وقد دخل عليه غلام حياه بنرجسة فقال لي قل فيه شيأ أصفه به فقلت

ومكحل بالسحر أحور شادن * حيا بنرجسة أوان بكور
فكأنه وكأنها في كفه * بدر يريك التبر في الكافور
وتركبت فوق الزبرجد خلقة * تحكي فتور اللحظ من مخمور

(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم عن ابن بسام في كتاب الذخيرة ان أبا الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمي البغدادي حضر مجلس المعز بن باديس يوما وبالمجلس ساق وسيم قد مسك عذاره ورد خديه وعجزت الراح أن تفعل في الندمان فعل عينيه فأمر المعز بوصفه فقال بديها

ومعذر نقش الجمال بمسكه * خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه * من نرجس جعل النجاد بنفسجا

(قال على بن ظافر) ذكر ابن خاقان في كتاب قلائد العقيان ما معناه قال حضر الاستاذ أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي عند المأمون ابن ذى النون ببعض منتزهاته في يوم طاب نسيمه وسرت بالسعود نجومه والروض قد أجاد وشيه راقمه والماء قد جرت بين الاعشاب أراقمه وثم بركة مملوءة كأنها مرآة مجلوة قد اتخذت سباع الطير بشاطئها غابا ومجت بها من سائغ الماء لعابا لا تزال تقذف الماء ولا تفتر وتنظم لآلئ الحباب بعد ما تنثر

فأمره بوصف ذلك الموضع الذى تخب اليه ركاب القلوب وتوضع فقال بديها

يا منظرا ان نظرت بهجته * ذكرنى حسن جنة الخلد
تراب مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطل ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلى فواغر الاسد
كأنما جائل الحباب به * يلعب فى جانبيه بالنرد
تراه يزهو اذا يحل به الـ * ـمأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا فى مطالع السعد
كأنما ألبست حدائقه * ماحاز من شيمة ومن مجد
كأنما جادها وامطرها * بوابل من يمينه رغد

(وأخبرنى) الشيخ الفقيه أبو الحسن على بن الفضل المقدسى قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن مروان بن أبى الحجاج بن على القضاعى قال اقترحت على أبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر بن حمديس الصقلى الازدى وقد وقف ليودعنى وكنت عازما على سفر أن يصنع لى أبياتا غزلية فى الوداع فصنع فى الحال وقال

ولما رأت طير الفراق نواعبا * وقد همّ بالتوديع كل مودع
شكت ما شكا المحزون من غربة النوى * وأبكت لها عينى غزال مروع
ولم أر فى خدر تزرّر قبلها * من الغيد شمسا فى غمامة برقع
وقد سفرت عن برقع عبرا الاسى * لعينى بها عن وجد قلب مفجع
وأقبل درّ البحر من فوق نحرها * يصافحه من خدها درّ مدمعى
فيارب ان البين أخنت صروفه * علىّ ومالى من معين فكن معى
على قرب عذالى وبعد أحبتى * وأمواه أجفانى ونيران أضلعى

(قال على بن ظافر) وبالاسناد المتقدم روى ابن بسام فى كتاب الذخيرة ما معناه قال دخل الوزير أبو العلاء زهر ابن الوزير أبى مروان عبد الملك بن زهر على الامير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كاسه ولحظه ويبدى درّين من حبابه ولفظه وقد بدا عذاره فى صفحة خده وكمل حسنه باجتماع الضد مع ضده فكأنه بسحر لحظه أبدى ليلا فى شمس وجعل يومه فى الحسن أحسن من أمس فسأله ابن رزين أن يصنع فيه فقال بديها

تضاعف وجدى اذ تبدّى عذاره * وتم تخفان القلب منى اصطباره
وقد كان ظنى أن سيمحق ليله * بدائع حسن هام فيها نهاره
فأظهر ضدّ ضده اذ وشت به * بعنبره فى صفحة الخد ناره
وزاد بجفنيه ذبولا بنرجس * زها فيه لما أمّه جلناره

واستزاده فقال بديها

محيت آية النهار فأضحى * بدر تم وكان شمس نهار
كان يغشى العيون نورا الى أن * شغل الله خده بالعذار

ثم استزاده فقال

عذار ألمّ فأبدى لنا * بدائع كانها فى عما
ولولم يجنّ النهار الظلا * م لم يستبن كوكب فى السما

ثم استزاده فقال

تمت محاسن وجهه وتكاملت * لما استدار به عذار مونق
وكذلك البدر استنار جماله * فى أن تكنفه غمام أزرق

(وأنبأنى العماد أبو حامد) قال ذكر لى صفوة الدين النابلسى أن الامير أبا الحسن على بن منقذ كان راكبا فى جماعة منهم ابن حيوس فنزلوا بروضة غنّاء فيها شقائق وأقحوان فاستحسنوها وقالوا انظم فيها شعرا وقالوا للامير ابدأ أنت فقال فى الحال

كان الشقائق والاقحوان * خدود تقبلهن الثغور
فهاتيك يخجلهن الحياء * وهاتيك يضحكهن السرور

(قال العماد) وذكر لى أن معز الدولة ثمال بن صالح الكلابى صاحب حلب جلس على نهر قويق زمن المد وقد خيم به فذكر ابن النوت الشاعر وهو الرضى عبد الواحد بن الفرج بن النوت المعرى وذكر سرعة بديهته واقتداره على الارتجال فأرسل اليه على البريد فحضر فقال بديها

رأيت قويقا اذ تجاوز حده * له زجل فى جريه وضجيج
وكان ثمال جالسا بشفيره * فشبهته بحر اليه خليج

فقال معز الدولة قد زعم الحلبيون ان هذا ليس بشعرك وكان فيهم ابن سنان الخفاجى فان قلت بديهة أعطيتك جوائزهم ثم نظر الى غراب على

نشز فقال صفهما فقال

يا غرابين أنتما سبب البين ☆ فكيف اجتمعتما بمكان
انما قد وقفتما فى خلو ☆ فى فراق الاحباب تشتوران
فاحذرا أن تفترقا بين الفين ☆ فما تدريان ما يلقيان

(قال على بن ظافر) وكان ابو سعد الخير البلنسى الشاعر كثير الذهول مفرط النسيان ظاهر التغفل على جودة نظمه ورطوبة طبعه وكان كثيرا ما يسلك سكة الخفافين على بغلته فاتخذت البغلة النفور من أطراف الادم وفضلات الجلود الملقاة فى السكة عادة لها فعبر السكة يوما مع أصحابه راجلا فلما رأى الجلود الملقاة نفر ونكص على عقبه فقال له أصحابه ما هذا أيها الاستاذ فقال البغلة نفرت بى فعجبوا من تغفله كيف ظن مع ما يقاسيه من ألم المشى أنه راكب وأن حركته الاختيارية منه هى حركة البغلة الاضطرارية له فكان تغفله ربما أوقعه فى غفلة عند من لا يعرفه واقترح عليه بعض الامراء أن يصنع بيتين أول أحدهما كاب وآخره ذيب وأول الثانى جوارح وآخره أنابيب فصنع بديها

كأنى فى جميع لاح فى حومة الوغى ☆ وقارنه نسر هناك وذيب
جوارح أهليه حروف وربما ☆ تولته من نقط الطعان أنابيب

(قال على بن ظافر) وذكر لى بعض أصحابنا ما معناه أن القاضى الموفق محمود بن قادوس دخل على الامير فرج الظهير فعرض عليه دبوس صينى الحديد عديم النظير والنديد لا تحصن منه خودة ولا نثرة ولا تقال لضربته عثرة تجفل لصولته آساد الحرب اجفال الانعام وتتضاءل لهيبته البيض حتى تعود أوهى من بيض النعام فأمره بوصفه فقال على لسانه

ما ضر من كنت فى الهيجاء عدته ☆ أن لا يعوج على بيض ولا أسل
اذ لا تحصن منى البيض لابسها ☆ ولا الدروع ولا مستأخر الاجل

(قال على بن ظافر) ودخل أبو خالد بن صغير القيسرانى على الامير تاج الملوك أبى سعيد نورى بن أتابك طغتكين صاحب دمشق وبين يديه بركة فسيحة الفضا صحيحة البناء قد راق ماؤها وصفا وجر النسيم عليها مارق من أذياله

وصفا فهو تارة يرشف رضابها ويجعد ثيابها وتارة يسبكها مبردا ويحبكها مسردا فأمره بوصفها فقال

أوما ترى طرب الغديـــــر الى النسيم اذا تحرك
بل لو رأيت الماء يلـــعب فى جوانبه لسرك
واذا الصبا هبت علـيـــه أتاك فى ثوب مفرك

(وأخبرنى) الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن عبد الله العباسى الحلبى الكاتب قال أخبرنى القاضى كمال الدين أبو محمد عبد القاهر بن المهنا التنوخى المعرى المعروف بخصى البغل قال كنت بحماة فأتيت حانوت رجل يعرف بالحكيم أبى الخير فصادفت عنده رجلا يعرف بالسديد فطلبت منه برنية وردمربى فقال لن تراها حتى تقول فى شعرا فقلت له أما المدح فلا وأما الهجاء فنعم فقال هات فقلت

أبو الخير أبا الخير * فلا خير ولا مير
ضئيل ناحل الجسم * ولكن كله أير

فقال اصنع فى السديد وكان كبير الانف فقلت

كأن سديد الديـــن أنف بلا غير
تراه بين عينيه * كناقوس على دير

فقال وفيك أيضا فقلت

خذها من خصى البغل * كمثل البرق فى السير

(قال على بن ظافر) دخل الاعز أبو الفتوح بن قلاقس على بلال بن مدافع بن بلال الفزارى فعرض عليه سيفا قد نظم الفرند فى صفحته جوهره وأذكى الدهر ناره وجمد نهره وألبسه من جلد الافاعى رداه وجسمه ردى أوداه لا يمنع من برقه بدر مجن ولا تربا مغفر ولا يسلم من حده من ثبت ولا ينجو لطوله من فر وهو يبكى للنقاف ويضحك ويرعد للغيظ ويفتك فأمره بصفة شانه فقال بديها على لسانه

أروق كما أروع فان تصفنى * فانى رائق الصفحات رائع
تدافع بى خطوب الدهر حتى * نقلت الى بلال عن مدافع

قوله تراه الخ فيه وفيما بعده مع ما قبله من عيوب القافية الاقواء كما لا يخفى اه مصححه

وقال أيضا

رب يوم له من النقع سحب * ماله غير سائل الدم ودق
قد جلته يمنى بلال بحدى * فكأنى فى راحة الشمس برق

وقال فيه

أنا فى الكريهة كالشهاب الساطع * من صفحة تبدو وحد قاطع
فكأنما استجليت تلك وهذه * من وصف كف بلال بن مدافع

وقال أيضا

انظر لمطرد المياه بصفحتى * ولنار حدى كم لها من صال
قد عاد شدى فى المضايق شيمتى * كبلال بن مدافع بن بلال

وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلا ولونا وشق ليلا من الشعر جونا فقال

ومنسم بالآبنوس وجسمه * عاج ومن أدهانه شرفاته
كمفت دياجى الشعر منه بدرها * فوشت به للعين عيوقاته

وقال فيه

وابيض ليل الآبنوس اذا سرى * تمزق عن صبح من العاج باهر
وان غاص فى بحر الشعور رأيته * تبشرنا أطرافه بالجواهر

وقال فيه

ومشرق يشبه لون الضحى * حسنا ويسرى فى الدجى الفاحم
وكلما قلب فى لمة * أضحكها عن ثغر باسم

(قال) وجلس بمصر فى دار الانماط يوما مع جماعة فمرت بهم امرأة تعرف بابنة أمين الملك كشمس تحت سحاب النقاب وغصن فى اوراق الشباب فحدقوا اليها تحديق الرقيب الى الحبيب والمريض الى الطبيب فجعلت تلفت تلفت ظبى مذعور أفزعه القانص فهرب وتثنى تثنى غصن ممطور عانقه النسيم فاضطرب فسألوه وصفها فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان الازدى القيروانى

اعرضن لما أن عرضن فان يكن * حذرا فأين تلفت الغزلان

ثم صنع فقال

لها ناظر فى ذرى ناضر * كما ركب السن فوق القناة
لوت حين ولت لنا جيدها * فأى حياة بدت من وفاة
كما ذعر الظبي من قانص * فغر وكرر فى الالتفات

ثم صنع بديها

ولطيفة الالفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة الاعتا
كملت محاسنها فودّ البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو نعتا
قد قلت لما أعرضت وتعرضت * يا من بسايا مطمعا قل لى متى
قالت أنا الظبي الفريد وانما * ولى وأوحش نبوة فتلفتا

(قال على بن ظافر) وحضر يوما عند بنى خليف بظاهر الاسكندرية فى قصر رسا بناؤه وسما وكاد يمزق أثواب السما قد ارتدى جلابيب السحائب ولاث عمائم الغمائم وابتسمت ثنايا شرفاته واتسمت بالحسن حنايا غرفاته وأشرف على سائر نواحى الدنيا وأقطارها وحيته السحائب بما أثقلت عليه من ودائع أمطارها والرمل بفنائه قد نثر تبره فى زبرجد كرومه والجو قد بعث اليه لطيمة نسيمه والنخل قد أظهرت جواهرها ونثرت غدائرها والطل ينثر لؤلؤه فى مسارب النسيم ومساحبه والبحر يرعد غيظا من عبث الرياح به فسئل وصف ذلك الموضع الذى تمت محاسنه وغبط به ساكنه لجاشت لذلك لجج بحره فألقت اليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره فقال

قصر بمدرجة النسيم تحدثت * فيه الرياض بسرها المستور
خفض الخورنق والسدير سموه * وثنى قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية * وأقام فى أرض من الكافور
غنى الربيع به محاسن وجهه * فافتر عن نور يروق ونور
فالروض يسحب حلة من سندس * تزهو بلؤلؤ طله المنثور
والنخل كالغيد الحسان تقرطت * بسبائك المنظوم والمشذور
والرمل فى حبك النسيم كأنما * ابدى غصون سوالف المهجور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشق بعطفى مقرور
وكأننا والقصر يجمع شملنا * فى الافق بين كواكب وبدور

وكذا الدهر بى خليف لم يزل * يثنى المعاطف فى حبير حبور

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى الاسكندرى النحوى بما هذا معناه قال كنت مع الاعز بن قلاقس فى جماعة فمر بنا أبو الفضائل بن فتوح المصرى وهو عائد من المكتب ومعه دواته وهو فى تلك الايام قرة العين طرفا وجمالا وراحة القلب قربا ووصالا كل عين الى وجهه محدقة والشهد خديه بخلوق الخجل محلقه فاقترحنا عليه أن يتغزل فيه فصنع بديها

علقته متعلقا * بالخط منعكفا عليه
حمل الدواة ولا دوا * ء لعاشق يرجى لديه
فدماء حبات القلو * ب تلوح صبغا فى يديه
لم أدر ما أشكو اليـ * ـه أهجره أم مقلتيه
والحب يخرسنى على * أنى ألكع سيبويه
مالى اذا قابلته * شغل سوى نظرى اليه

(وأخبرنى) الشيخ أبو عبد الله محمد بن على اليحصبى القرمونى بدمشق قال اصطحبت أنا والوزير أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الاجل أبى الحسن بن عبد ربه حفيد صاحب كتاب العقد فى مركب الى الاسكندرية فلما قربنا منها هاج علينا البحر حتى أشرفنا على الغرق فلاح لنا ونحن على هذا الحال منار الاسكندرية فسررنا برؤيته وطمعنا فى السلامة فقال لى لابد أن أعمل فى المنار شيأ فقلت له أعلى مثل هذا الحال الذى نحن فيه فقال نعم فقلت فاصنع فأطرق ثم عمل

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم * كأنه باهت فى دارة الافق
يكسر الموج منه جانبى رجل * مشمر الذيل لا ينجو من الغرق
لا يبرح الدهر من ورد على سفن * ما بين مصطبح منها ومغتبق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم من أجفان ذى أرق
تهوى اليه وعنه الفلك طائرة * بمثل أجنحة صيغت من الحرق
كأنه وعليه الفلك حائمة * برج الحمام فمن آت ومنطلق

*(وأخبرني) القاضي الاسعد قال أمرني الملك العزيز رحمه الله تعالى أن اصنع له في فرس أشهب قطعة أشبهه فيها بالقمر في لونه وسرعته وقال رحمه الله ان الناس شبهوه بالشهاب والقمر أسرع فصنعت في الحال

وأشهب يقطع عرض الارض في لمح البصر * ما مثله في لونه وجريه الا القمر

*(وأخبرني) القاضي الاسعد أبو القاسم عبد الرحيم بن شيث قال اجتمعنا ليلة عند القاضي محيي الدين ولد قاضي القضاة صدر الدين بن درباس رحمه الله تعالى فتذاكرنا البديهة فاقترح علي أن أصنع له في شمعة كانت بين أيدينا فصنعت

وأنيسة باتت تساهر مقلتي * تبكي وتبدي فعل صب عاشق
سرقت دموعي والتهاب جوانحي * فغدا لها بالقط قطع السارق

*(وأخبرني) الشريف أبو الفضل جعفر الشاعر المنبوز بقرطم قال لقيت النفيس أبا العباس أحمد بن عبد الغني القطرسي وأنا عائد من الحمام ومعي سطل نحاس أحمر فمر بنا بعض الشعراء فسألتهما أن يصنعا شعرا في صفة السطل فصنع النفيس بديها

أنا كافل للترى ان يخل الحيا * ومهدي الحيا من مراشفي اللعس
اذا حملتني راحة فكأنني * هلال منير حامل كرة الشمس

(قال علي بن ظافر) دخلت مع جماعة من أصحابنا على صديق لنا نعوده وبين يديه بركة قد راق ماؤها وصحت سماؤها وقد رص تحت دساتيرها نارنج يتن قلوب الحضار وملأ بالمحاسن عيون النظار فكأنها رفعت صوالج فضة على كرات من النضار فأشار الحاضرون الى وصفها فقلت بديها

أبدعت يا ابن هلال في فسقية * جاءت محاسنها بما لم يعهد
عجبا لامواه الدساتير التي * فاضت على نارنجها المتوقد
فكأنهن صوالج من فضة * رفعت لضرب كرات خالص عسجد

(قال) ومن أعجب ما دهيت به ورميت الا أن الله بفضله نصر وأعطى الظفر وأعان خاطري الكليل حتى مضى مضاء السيف الصقيل أني كنت في خدمة مولانا العادل خلد الله ملكه بالاسكندرية سنة احدى وستمائة مع من ضمته

حاشية العسكر المنصور من الكتّاب ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمة مرتضعون لافاويق النعمه فحضرت مع من حضر للهناء من الفقهاء والعلماء والمشايخ والكبراء وجماعة الديوان والامراء في يوم من أيام الجلوس للاحكام والعرض لطوائف الاجناد بالتمام فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر الاحضر مهنيا ومثل شاكرا وداعيا فلما غص المجلس بأهله وشرق بجمع الناس وحفله وخرج مولانا السلطان خلد الله ملكه الى محله واستقر في دسته أخرج كتابا ناوله الى الصاحب الاجل صفي الدين أبي محمد عبد الله بن علي وزير دولته وكبير جملته وهو مفضوض الختام مفكوك الفدام فاذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم أبقاه الله كتبها اليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ويستحث عود ركابه الى الشام للمشاغرة بها وقمع عدوها ويعرض بذكر مصر وشدة حرها ووقد جمرها وذلك بعد أن كان وصل الى خدمته بالثغور ثم رجع

اروى رماحك من دماء عداكا * وانهب بخيلك من أطاع سواكا
واركب خيولا كالسعالى شزبا * واضرب بسيفك من يشق عصاكا
واجلب من الابطال كل سميذع * يفرى بعزمك كل من يشناكا
واسترعف السمر اللدان وروّها * واسق المنية سيفك السفاكا
وسر الغداة الى العداة مبادرا * بالضرب في هام العدو دراكا
وانكح رماحك للثغور فانها * مشتاقة أن تبتنى بعلاكا
فالعز في نصب الخيام على العدا * تردى الطغاة وترفع الملاكا
والنصر مقرون بهمتك التى * قد أصبحت فوق السماك سماكا
فاذا عزمت وجدت من هو طائع * واذا نهضت وجدت من يخشاكا
والنصر في الاعداء يوم كريهة * أحلى من الكأس الذى روّاكا
ذا العجز ان تمسى بمصر مخيما * وتحل من تلك العراص عراكا
فأرح حشاشتك الكريمة من لظى * مصر لكى تحظى الغداة بذاكا
فلقد غدا قلبي عليك بحرقة * شغفا ولا حرّ البلاد هناكا
وانهض الى راجي لقائك مسارعا * تغناى من كل الامور لقاكا
وابرد فؤاد المستهام بنظرة * وأعد عليه العيش من رؤياكا

واشف الغداة عليل صب هائم * أضحى مناه من الحياة مناكا
فسعادتى بالعادل الملك الذى * ملك الملوك وقارن الاملاكا
فبقيت لى يامالكى فى غبطة * وجعلت فى كل الامور فداكا

فلما تلا الصاحب على الحاضرين محكم آياتها وجلا منها العروس التى حازت من المحاسن أبعد غاياتها أخذوا فى استحسان نظامها وتناسق غريب التئامها والثناء على الخاطر الذى نظم محكم أبياتها وأطلع من مشرق فكره آياتها فقال السلطان خلد الله ملكه نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها فالتفت مسرعا الى وأنا على يمينه وقال يامولانا مملوكك فلان هو فارس هذا الميدان والمعتاد للتخلص فى مضايق هذا الشان ثم قطع وصلا من درج كان بين يديه وألقاه الى وعمد الى دواته فأدارها بين يدى فقال السلطان خلد الله ملكه على مثل هذه الحال قال نعم أنا جربته فوجدته متقد الخاطر حاضر الذهن سريع اجابة الفكر فقال السلطان وعلى كل حال قم الى ههنا لتنكف عنك أبصار الناظرين وتنقطع غاغاء الحاضرين وأشار الى مكان عن يمين البيت الخشب الذى هو منفرد به فقمت وقد فقدت رجلى انخزالا وذهنى اختلالا لهيبة المجلس فى صدرى وكثرة من حضره من المترقبين لى المنتظرين حلول فاقرة الشماتة بى فما هو الا أن جلست حتى ثاب الى خاطرى وانثال الشعر على ضمائرى فكنت ارى فكرى كالبازى الصيود لا يرى كلمة الا أنشب فيها منسره ولا معنى الا شك فيه ظفره فقلت فى أسرع وقت

وصلت من الملك المعظم تحفة * ملأت بفاخر درها الاسلاكا
أبيات شعر كالنجوم جلالة * فلذا حكت أوراقها الافلاكا
عجبا وقد جاءت كمثل الروض اذ * لم تدوها بالمز نارذ كاكه
جاءت الهموم عن الفؤاد كمثل ما * تجلو بغرة وجهك الاحلاكا
كقميص يوسف اذ شفت يعقوب ر * اه شفتنى مثله ر ياكا
قد أعجزت شعراء أهل زماننا * حسنا فلم لا تعجز الاملاكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله * أن يحتويه من الانام سواكا
لم لا أغب عن الشآم وهل له * من حاجة عندى وأنت هناكا

أم كيف أخشى والبلاد جميعها * محمية فى جاه طعن قناكا
يكفى الاعادى حز بأسك فيهم * أضعاف مايكفى الولى ندا كا
مازرت مصر لغير ضبط ثغورها * فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد علا عليها قدرها * لاسيما مذ شرفت بخطاكا
طابت وحق لها ولم لا وهى قد * حوت المعلى فى الفخار أخاكا
أنا كالسحاب أزور أرضا ساقيا * حينا وأمنح غيرها سقياكا
مكثى جهاد للعدو لانى * أغزوه بالرأى السديد دراكا
لولا الرباط وفضله لقصدت بالسير الحثيث البك نيل رضاكا
ولئن أتيت الى الشام فانما * يحثنى شوقى الى لقياكا
انى لامنحك المحبة جاهدا * وهواى فيما تشتهيه هواكا
فافخر فقد أصبحت بى وببأسك السامى وكل ممالك يخشاكا
لازلت تقهر من يعادى ملكنا * أبدا ومن عاداك كان فداكا
وأعيش أنظر ابنك الباقى أبا * وتعيش تخدم فى السعود أباكا

ثم عدت الى مكانى وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس الابيض ورصفتها فلما رآنى السلطان خلد الله ملكه قد عدت قال أعملت شيأ ظننا منه أن العمل فى تلك اللمحة متعذر وبلوغ الغرض فيها غير متصور فقلت نعم فقال أنشدنا فصمت الناس وحدقت الابصار وأصاخت الاسماع وظن الناس بى الظنون وترقبوا منى مايكون فما توالى انشادى حتى صفقت الايدى اعجابا وتغامزت الاعين استغرابا وحين انتهيت الى ذكر مولانا الكامل بأنه المعلى اذا ضربت قداحهم وسردت أمداحهم اغرورقت عيناه لذكره وبان منه مخفى المحبه فأعلن بسره وحين انتهيت الى آخرها فاض دمعه ولم يمكنه دفعه فمد يده مستدعيا للورقة فناولتها الى يد الصاحب فناولها له ثم نهض وانما حمل الصاحب على هذا الفعل الذى غز بى فى التعريض له أمور كان يقترحها على فأنفذ فيها بين يديه ويخف الامر منها على لما التى عليه منها أنى كنت معه فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق فورد كتاب من الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة وقد بعث صحبته

نسخة من ديوان شعره فتشاغل بتسويد كتابة جوابه فلما كتب بعضه التفت الىّ وقال اصنع أبياتا أكتبها اليه فى صدر الجواب واذكر فيها شعره فقلت له على مثل هذا الحال قال نعم فقلت بقدر ما أنجز بقية النسخة

أيا ملكا قد أوسع الناس نائلا * وأغرقهم بذلا وعمهم عدلا
فديناك هب للناس فضلا يزينهم * فقد حزت دون الناس كلهم الفضلا
ودونك فامنحهم من العلم والحجا * كما منحتهم كفك الجود والبذلا
اذا حزت أوفى الفضل عفوا فما الذى * تركت لمن كان القريض له شغلا
وماذا عسى من ظل بالشعر قاصدا * لبابك أن يأتى به قل أوجلا
فلا زلت فى عز يدوم ورفعة * تحوز ثناء يملا الوعر والسهلا

(قال) وكنت عند المولى الملك الاشرف أبقاه الله تعالى فى سنة ثلاث وستمائة بالرها وقد وردت اليه فى رسالة فأنزلنى بين سمعه وبصره فى بعض دوره بالقلعة بحيث يقرب عليه حضورى فى وقت طلبتى أوارادة الحديث معى فلم أشعر فى بعض الليالى وأنا نائم فى فراشى الا وهو قائم على رأسى والسكر قد غلب عليه والشموع تزهو بين يديه وقد حفت به مماليكه كأنهم الاقمار الزواهر فى ملابس كرياض ذات ازاهر فقمت مسرعا فأمسكنى وبادر بالجلوس الى جانبى ومنعنى من القيام عن الوساد وأبدى من جميله ما أبدلنى بالنفاق بعد الكساد ثم قال غلبنى الشوق اليك ولم أرد بازعاجك التثقيل عليك ثم استدعى من بمجلسه من المغنين فحضروا وأخذوا من الغناء فيما يملا المسامع التذاذا ويجعل القلوب من الوجد جذاذا وكان له فى ذلك الوقت مملوكان هما نيرا سماء ملكه وواسطتا درّ سلكه وقطبا فلك طربه وزهوه وركنا بيت سروره ولهوه وكانا يتناوبان فى خدمته فحضر أحدهما فى تلك الليلة وغاب الآخر وكان كثيرا ما يداعبنى فى شأنهما ويستدعى منى القول فيهما والكلام فى التفضيل بينهما فصنعت فى الوقت

يا مالكا لم يحك سيرته * ماض ولا آت من البشر
اجمع لنا تفديك أنفسنا * فى الليل بين الشمس والقمر

فطرب وأمر فى الحال باستدعاء الغائب منهما فحضر والنوم قد زاد أجفانه تفتيرا ومعاطفه تكسيرا فقلت بين يديه بديها فى صفة المجلس

سقى الرحمن عصراً قد مضى لى * بأكناف الزها صوب الغمام
وليلاتٍ بانت الانوار فيه * تعاون فى مدافعة الظلام
فنور من شموع أو ندامى * ونور من سقاة أو مدام
يطوف بأنجم الكاسات فيه * سقاة مثل أقمار التمام
تريك به الكؤس بجود ماء * فتحسب راحها ذوب الضرام
يميل به غصونا من قدود * غناء مثل أصوات الحمام
فكم من موصلى فيه يشدو * فينسى النفس عادية الحمام
وكم من زازل للضرب فيه * وكم للزمر فيه من زنام
كذا موسى بن أيوب المرجى * اذا ماضن غيث بانسجام
ومن كمظفر الدين المليك الاجل الاشرف الندب الهمام
فما شمس تقاس الى نجوم * تحاكى قدره بين الكرام
فدام مخلدا فى الملك يبقى * اذا ماضن دهر بالدوام

فلما أنشدتها قام فوضع فرجية من خاص ملابسه كانت عليه على كتفى ووضع شربوشه بيده على رأس مملوك صغير كان لى * (قال) ومررت ايضا عليه وقد أنفذنى السلطان خلد الله تعالى ملكه فى رسالة الى الموصل فى سنة سبع وستمائة فلما عدت أمسكنى عنده نحو شهر بالرها وجرت لى عنده بدائه كثيرة من جملتها أنه غنى بين يديه بشعر أعجمى ليس على أوزان العروض فأعجبه واقترح على أن أصنع له على وزنه ليغنى له به ما يفهمه وأرسل الى بذلك فعملت فى الوقت بالمعنى الذى اقترحه

مالذة المعنى * الا مدامته ووصل من عليه * قامت قيامته
ظبى صريعه * ما ترجى سلامته وال على غرامى * دامت ولايته
فى السلم لينه * وفى الهيجا صرامته كالسيف مقلتاه * كالرمح قامته
كالبدر وجهه * والاصداغ هالته كالغصن حين تز * هو به غلالته
كالليث حين تبـ * ـدو عليه لامته وايس مثل قلـ * ـبى تخشى سآمته
ان الوفاء منه * والصبر عادته ولا عتب عليه * بانت لا متـه
كالريح لم تؤثر * عندى ملامته فقم أدر شرابا * لذت مرارته
قد جلت الدياجى * عنا انارته فما السرور عندى * الا ادارته

وانفذته

وأنفذته اليه وهو في مجلس أنسه مع مملوك لي للوقت فعاد مخلوعا عليه خلعة خاصة

(الفصل الثاني فيما وقع من بدائع البداهة من غير اقتراح)

(روى) أن مرة بن محكان السعدي سعد تميم قدم بين يدي مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لاخيه عبد الله بن الزبير وأظن ذلك بعد وقعة الحفرة ودخول مصعب البصرة فأمر رجلا من بني أسد بقتله فقال مرة بن محكان بديها

بني أسد ان تقتلوني تحاربوا * تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الي حبيبة * بباك على الدنيا اذا ما تولت

*(وذكر الطبري) أن الوليد بن عبد الملك أو سليمان مضى الى الحج فلما وصل الى المدينة أتي له بجماعة من أسرى الروم ففرقهم على أشرافها ليقتلوهم فأعطى عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أسيرا منهم ليقتله فقام وحسر عن ساعديه وطلب سيفا فلم يجسر أحد أن يعطيه سيفا فناوله بعض الحرس سيفا كليلا فضرب به الاسير ضربة أطارت رأسه وبعض كتفه فعجب الناس وقالوا ما قطعها الا حسبه ثم أعطى أسيرا لجرير فقام اليه فدس اليه بعض بني عبس سيفا صارما فضرب به الاسير فأطار رأسه ثم أعطى أسيرا للفرزدق فدس اليه بعض بني عبس سيفا كهاما فلما ضرب به الاسير نبا فضحكوا وخجل الفرزدق ثم قال يا أمير المؤمنين هبه لي ففعل فأعتقه ثم قال مرتجلا يعتذر ويعير بني عبس

فان يك سيف خان أو قدر نبا * لتأخير نفس حينها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

عيرهم بنبو سيف ورقاء بن زهير بن جذيمة عن رأس خالد بن جعفر الكلابي قاتل أبيه زهير وقد كان ضربه عدة ضربات وهو ملق نفسه على زهير فلم يصنع شيأ وفي ذلك يقول جرير يهجو الفرزدق

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

فاجابه الفرزدق بقوله

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم

(وروى) أنه سكر يوما فتكشف فمرت به امرأة فسخرت منه فأنشأ يقول

وأنت لو باكرت مشمولة * صهباء مثل الفرس الاشقر
عدت وفي رجليك مافيهما * وقد بدا هنك من المئزر

*(وروى أبو العراف) قال ان الحجاج قال لجرير والفرزدق وهو في قصره بجزيرة البصرة ائتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة وشاور جرير دهاة بنى يربوع وشيوخهم فقالوا ما لباس ابائنا الا الحديد فلبس درعا وتقلد سيفا وتأبط رمحا وركب فرسا لعباد بن الحصين الحبطى وأقبل فى أربعين فارسا من بنى يربوع وجاء الفرزدق فى هيئته فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وخلاخله
أعدوا مع الخز الملاب فانما * جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بنى حصين ووقف الفرزدق وقد أبن بجرير عليه (وروى) أن الحجاج لما أتى بالحكم بن المنذر الجارود قال أنت الذى قال فيك الشاعر

يا حكم بن المنذر الجارود * سرادق العز عليك ممدود

قال نعم قال والله لاجعلن سرادقك السجن فقال الحكم مرتجلا

متى ما أكن فى السجن فى حبس ماجد * فانى على ريب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكث والغدر لم أجب * دعاك ولو منك الامان غرور
لقد كنت دهرا لا أخوف بالتى * اخاف ولا يسطو على أمير

فقال الحجاج لله أبوك ان زعارة العرب لبينة فيك خلوا سبيله *(وروى عن عبد الاعلى الشيبانى) أن حماد عجرد ومطيع بن اياس اجتمعا فى مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة للسفاح فتمازحا فقال حماد

يا مطيع يا مطيع * أنت انسان رقيع
وعن الخير بطىء * والى الشر سريع

فقال مطيع

ان حمادا لئيم * سفلة الاصل عديم

لاتراه الدهر الا * بهن العبد نئيم

فقال له حماد ويحك أترميني بدائك والله لولا كراهتي لتمادي الشر ولجاج الهجاء لقلت لك قولا يبقى ولكن لا أفسد مودتك ولا أكافئك الا بالمدح ثم قال

كل شئ فغداء * لمطيع بن اياس
رجل مستملح في * كل ابن وشماس
عدل روحي بين جنبي وعيني وراسي
غرس الله له في * كبدي أوفى غراس
ذاك انسان له فضـل على كل الاناسي

* (وروى اسحق الموصلي) أن يحيى بن زياد الحارثي قال لمطيع بن اياس امض بنا الى فلانة صديقتي فان بيني وبينها مغاضبة لتصلح بيننا ولكن والله بئس المصلح أنت فدخلا اليها وجعلا مليا يتعاتبان ومطيع ساكت حتى اذا اكثرا قال له يحيى ما يسكتك أسكت الله نامتك فقال مطيع

أنت معتلة عليه ومازا * ل مهينا لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ماسمع وهش فقال مطيع

فدعيه وواصلي ابن اياس * جعلت روحه الغداة فداك

فقام يحيى بوسادة في البيت فمازال يصدع بها رأسه ويقول ألهذا جئت بك يا ابن الزانية ومطيع يغوث والجارية تضحك منهما * (وروى أن أبا دلامة تاب وعزم على الحج فلما صار بطيرناباذ لقيه علج من الخمارين الذين كان يألفهم اسمه أبو بشر فدعاه الى منزله وأضافه وأحضر له نبيذا فامتنع أبو دلامة منه وأخبره بتوبته وماعزم عليه فقال العلج انه مطبوخ فشرب منه فلم يلبث أن دبت فيه سورته فرفع عقيرته وانشد

سقاني أبو بشر من الراح شربة * لها سورة ماذقتها لشرابه
وماطبخوها غير أن غلامهم * مشى في نواحي كرمها بشهاب

(وروى) أنه كان منحرفا على علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس فاتفق أن خرج المهدي الى الصيد ومعه علي وأبو دلامة فرمى المهدي ظبيا عن له فأنفذ مقاتله ورمى علي بن سليمان فأصاب كلبا من كلاب الصيد فارتجل أبو دلامة

قد رمى المهدى ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما * ن رمى كلبا فصاده
فهنيأ لهما كل * فتى يأكل زاده

فخجل على بن سليمان وضحك المهدى وأمر له بجائزة * (وذكر دعبل بن على) قال كان لابى الشمقمق على بشار مائتا درهم فى كل سنة فأتاه أبو الشمقمق فى بعض السنين فقال هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أو جزية هى قال نعم هو ما تسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح أو أحكم منى قال لا قال فلم أعطيك قال لئلا أهجوك قال لئن هجوتنى لاهجونك قال أبو الشمقمق أو هكذا هو قال نعم فقل ما بدا لك فقال أبو الشمقمق

انى اذا ما شاعر هاجنيه * ولج فى القول له لسانيه
أدخلته فى است امه علانيه * بشار يا بشار

وأراد أن يقول يا ابن الزانيه فوثب اليه بشار وأمسك فاه ثم قال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لا يسمع هذا منك الصبيان * (وروى) أن أبا نواس لما وفد على الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع فى قول الشعر ولكنك لا تخطب فقام من فوره وصعد المنبر وانشد مرتجلا

منحتكمو يا أهل مصر نصيحتى * ألا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم امير المؤمنين بحية * اكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق سحر فرعون فيكمو * فان عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت اليه وقال لا يأتى بها والله خطيب مصقع فاعتذر اليه وحلف انه انما كان يمازحه * (وروى) انه كان تنزه مرة مع عيسى بن الرشيد بالقفص فى اواخر شعبان فلما كان فى اليوم الموفى ثلاثين قيل لابى نواس هذا يوم شك وبعض الناس يصومه احتياطا فقال ليس الشك بحجة على اليقين حدثنا ابو جعفر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ثم التفت الى عيسى وارتجل

لو شئت لم نبرح من القفص * نشرب بها حمراء كالفص
نسرق هذا اليوم من شهرنا * فالله قد يعفو عن اللص

* (وذكر) يزيد بن ابى اليسر الرياضى فى أمثاله قال حدثنا ابو سهل الحاجب

ونحن معه فى بعض حوانيت الفسطاط قال كان أكثر قعود الحسن بن هانئ فى هذا الحانوت فمر به فى بعض الايام ابن عبد الحكم وكان فى يده سوط فسلم عليها به فقال الحسن

سلم السوط اذ مررت علينا * وعلى السوط لا عليك السلام

فقال ابن الحكم لمن معه من هذا فقال هذا الحسن بن هانئ فرجع اليه ونزل واعتذر فقبل الحسن بن هانئ عذره وألطفه * (وذكر) أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين انه كان بالكرخ مغن يقال له أبو عمير وكان له قيان حسان وكان عبد الله بن محمد أظنه التيمى قد عشق جارية منهن يقال لها عبادة فكان يغشى منزله وينفق فيه ثم أضاق اضاقة شديدة حملته على الانقطاع عنهم وكره أن يقصر عما كان عليه من برهم ثم نازعته نفسه الى لقائها وزيارتها فأتاها فأصاب عندها جماعة ممن كان يألف منزل مولاها فرحبت به الجارية وسيدها واستبطؤا زيارته وعاتبوه على تأخره عنهم فجعل يجمجم فى عذره ولا يصرح فلما سكر رفع عقيرته منشدا

لو تشكى أبو عمير قليلا * لاتيناه من طريق العياده

وقضينا من الزيارة حقا * ونظرنا المقلتى عباده

فقال له أبو عمير مالى ولك يا ابن أخى انظر الى مقلتى عبادة كيف شئت بل نكها ولا تقرن لى المرض (وذكر) أيضا فيه برواية تتصل بعلى بن هشام قال قدمت على جدتى ساهك من خراسان فقالت لى اعرض على جواريك فعرضتهن عليها ثم جلسنا على الشراب ومتيم تغنى فأطالت جدتى الجلوس عندنا فلم أنبسط للجوارى اجلالا لها فأخذت الدواة وصنعت فى الحال وكتبت به رقعة ورميت بها الى متيم

أنبقى على هذا وأنت قرينة * وقد منع الزوار بعض التكلم

سلام عليكم لا سلام مودع * ولكن سلام من محب متيم

فأخذته ثم نهضت الى الصلاة وعادت وقد صنعت لحنا فغنته ففطنت جدتى وقالت أظننا ثقلنا عليكم وأمرت الخدم فحملوا محفتها وأمرت للجوارى بصلات وأمرت لمتيم بثلاثين ألف درهم * (انبأنى) الفقيه النبيه ابو الحسن المفضل على بن الحسين المقدسى عن الفقيه ابى القاسم مخلوف بن على

التيرواني عن ابي عبد الله محمد بن ابي سعيد السمرقسطي عن ابي عبد الله محمد ابن ابي نصر الحميدي الحافظ قال اخبرنا ابو العباس البغدادي قال حدثنا ابو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري حدثنا ابو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي قال حدثنا أبو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج قال حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد قال لما وصل المأمون الى بغداد وقر بها قال ليحيى بن أكثم وددت لو وجدت رجلا مثل الاصمعي ممن يعرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها فيصحبني كما صحب الاصمعي الرشيد فقال يحيى ههنا شيخ يعرف هذه الاخبار يقال له غياث بن ورقاء الشيباني قال أحضره فلما حضر قال له يحيى ان أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه فقال انا شيخ كبير لا طاقة لي بذلك لانه قد ذهب مني الاطيبان فقال له المأمون لا بد من ذلك فقال الشيخ فاسمع ما حضرني وأنشد اقتضابا

أبعد شيبي أصبو * والشيب للمرء حوبه

شيب وسن واثم * امر لعمرك صعب

يا ابن الامام فهلا * أيام عودي رطب

واذ شفاه الغواني * مني حديث وقرب

واذ مشيبي قليل * ومنهل العيش عذب

والآن حين رأى بي * عوا ذلي ما أحبوا

آليت أشرب راحا * ما حن لله ركب

فقال المأمون اكتبوها بالذهب وأمر له بجائزة وتركه (وبهذا الاسناد عن الحميدي) قال أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد قال أخبرنا عبد الله بن ربيع التميمي قال حدثنا أبو علي اسمعيل بن القاسم البغدادي قال حدثني أبو معاذ عبدان الحربي المتطبب قال دخلنا يوما بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل اليه فقال وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل ثم أقبل علينا فقال ما تقولون في رجل له شقان أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث وأكثر ما أشكوه الثمانون ثم أنشدنا بيتا من قصيدة عوف بن محلم الحراني قال ابو معاذ وكان سبب هذه القصيدة أن عوفا دخل على عبد الله بن طاهر فسلم

عليه عبد الله فلم يسمع فأعلم بذلك فزع وأنه ارتجل هذه القصيدة وأنشد

يا ابن الذى دان له المشرقان * طرًّا وقد دان له المغربان
ان الثمانين و بلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الحنا * وكنت كالصعدة تحت السنان
وأبدلتنى من زمان الفتى * وهمه همّ الجبان الهدان
وقاربت منى خطا لم تكن * مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بينى و بين الورى * غمامة ليست كنسج العنان
ولم تدع فىّ لمستمتع * سوى لسانى وبحسبى لسان
ادعو به الله وأثنى به * على الامير المصعبىّ الهجان
فقربانى بأبى أنتما * من طربى قبل اصفرار البنان
وقبل منعاى الى نسوة * أوطانها حرّان والرقتان

(وذكر) أن تميم بن جميل التغلبى عاث ببعض الاعمال فحمله مالك بن طوق الى المعتصم فلما قدم بين يديه وأحضر السيف والنطع لقتله رآه المعتصم جميلا وسيما فأحب أن يعلم كيف منطقه فقال له تكلم فقال بعد أن حمد الله تعالى ودعا للمعتصم ان الذنوب تخرس الالسنة وتعمى الافئدة وقد عظمت الجريرة وساء الظن ولم يبق الا العفو أو الانتقام وأرجو أن يكون أقربهما منى ألبقهما بك ثم ارتجل

أرى الموت بين النطع والسيف كامنا * يلاحظنى من حيثما اتلفت
واكثر ظنى انك اليوم قاتلى * ومن ذا الذى مما قضى الله يفلت
وأى امرئ يدلى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه وأسكت
وما جزعى أنى أموت واننى * لاعلم أن الموت أمر موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة * اذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر و يشمت

فعفا عنه المعتصم وقلده عملا وهذه بديعة لو وقعت لامرئ ثابت الجأش مع

طول المدة وحصول الامن لكانت عظيمة فكيف بالبديهة فى هذه الساعة التى يحول فيها الجريض دون القريض وحسبك بحال لم يقدر عبيد بن الابرص فيها على الرواية * وكذلك على بن الجهم قال ارتجالا وقد صلب

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية * لا ايت معلولا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم * حسنا وملء قلوبهم تبجيلا

ماضره ان بزعنه ثيابه * فالسيف أهول مايرى مسلولا

وهذا من احسن شعره وابدعه (وروى) عن خالد الكاتب أنه قال دخلت الدير يوما فاذا أنا بشاب مغلول مربوط الى سارية فلت اليه وسلمت عليه فقال من تكون قلت خالد الكاتب قال صاحب المقطعات قلت نعم قال أنشدنى فأنشدته

ترشفت من شفتيه عقارا * وقبلت من خده جلنارا

وعانقت منه قضيبا رطيبا * وردفا مهيلا وبدرا انارا

وعاينت من حسنه فى الظلام * اذا ماتبدى نهارا جهارا

فأطرق ثم أنشد

رب ليل أمد من نفس العا * شق طولا قطعته بانتحاب

ونعيم ألذ من وصل معشو * ق تبدلته بيوم عتاب

قال خالد فوالله انى منذ ثلاثين سنة لا أحسن اجازتهما (وروى) أبو الفرج أن شحنة بغداد كسر نبيذا كثيرا حتى ملأ الطريق فمر به بكر بن خارجة فلما رآه جلس يبكى فمر عليه بعض أصحابه فسأله عن سبب بكائه فقال بديها

يالقومى لماجنى السلطان * لم يكن للذى أهان هوان

صبها فى الطريق من حاب الكر * م عقارا كأنها زعفران

صبها فى مكان سوء لقد أد * رك سعد السعود ذاك المكان

قال الكرمانى أنشدتها الجاحظ فقال ان من حق الفتوة والمروءة ان لا أكتبها الا قائما فعمدته لانه كان مفلوجا حتى كتبها (وذكر) أن العباس ابن ابراهيم الصولى كان قد ولى بعض النواحى للمتوكل فأخرج عليه احمد بن المدبر جملة كبيرة وجلساء للمناظرة بين يدى المتوكل ولم يكن من رجال أحمد فى كتابة الخراج ولا أحمد من رجاله فى البلاغة والشعر فكاد يفتضح فوقعت

قضية للمتوكل أوجبت أن ارتجل

صدّعني وصدّق الاقوالا * وأطاع الوشاة والعذالا

أتراه يكون شهر صدود * وعلى وجهه رأيت الهلالا

فتعر المتوكل طربا وأقره على عمله وسوّغه ما عليه (وذكر) أبو الفرج فى كتاب القيان والمغنين أنه كان يعشق جارية لبعض الهاشميين يقال لها أمل فدعا اخوانا له من أجلاء الكتاب ودعاها ودعا قيانا غيرها فحضروا وتأخرت فتنغص عليه يومه من أجلها ثم جاءت فسرّي عنه وطرب وشرب وكتب ارتجالا

الم تريا يومنا اذ نأت * فلم تاتنا من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعى السرور * بالهائها وباطرابها

ومدت علينا خيام النعيم * وكان المنى بعض أطنابها

ونحن فتور الى أن دنت * وبدر الدجى بين أثوابها

فلما نأت كيف كنا لها * ولما دنت كيف صرنا بها

وقرئت عليها الابيات فقالت ليس الامر كذلك قد كنتم قبلى فى لذة وانما تحملتم بهذا لما حضرت فقال

يامن حنيني اليه * ومن فؤادى لديه

ومن اذا غاب من بيـ * ـنهم أسفت عليه

من غاب غيرك منهم * فاذنه فى يديه

فرضيت عنهم وأتموا يومهم * (وحكى) أن على بن الجهم قال كنت بين يدى المتوكل وقد أتاه رسول برأس اسحق بن اسمعيل فقام على بن الجهم يخطر بين يدى الرسول وهو يرتجز

أهلا وسهلا بك من رسول جئت بما يشفى من الغليل برأس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل التقطوا هذا الجوهر لا يضيع * (قال) على بن ظافر اسحق بن اسمعيل هذا مولى لبنى امية خرج بتفليس فى سنة سبع وثلاثين ومائتين حين وثب اهل ارمينية بعاملهم من جهة المتوكل يوسف بن محمد بن يوسف وتولى قتل اسحق هذا بغا الكبير فى سنة سبع وثلاثين ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلى هذا الاغتباط وبين نفيه الا نحو سنة لانه نفاه الى خراسان فى سنة ثمان وثلاثين (وذكر) ابن ابى طاهر فى أخبار بغداد عن محمد بن عبدوس الفارسى

أنه قال سرت يوما الى على بن الجهم فأنشدنى لنفسه فى العناق

ولم أنس ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الراح فيما بيننا لم تسرب

فانقدح زندى لا يراء مثله فأطرقت وقلت بديها

لا والمنازل من نجد وليلتنا * ببغداذ جسدانا فى الهوى جسد

كم رام فينا الكرا من لطف مسلكه * سيرا فما انفك لا خد ولا عضد

ما أنصفونى دعونى فاستجبت لهم * حتى اذا قربونى منهم بعدوا

*(انبأنى) المقدسى عن الشيروانى عن السرقسطى عن الحميدى قال حكوا أن عبد الرحمن بن عاصم صاحب الشرطة كان أديبا شاعرا سريع البديهة كثير النوادر من جلساء الامير عبد الرحمن ذكره غير واحد وحكوا أنه دخل عليه فى يوم غيم وبين يديه غلام حسن المحاسن جميل الزى لين الاخلاق فقال له ما يصلح ليومنا هذا فقال عقار تنفر الدنان وتؤنس الغزلان وحديث كقطع الروض قد سقطت فيه مؤنة التحفظ وأرخى عليه عنان التبسط يديرها هذا الاغيد المليح فضحك ثم أمر بالغناء وآلات الصهباء فلما دارت الكؤس واستمطر الامير بوادره أشار الى الغلام أن يلح عليه فلما اكثر رفع رأسه اليه وقال على البديهة

يا حسن الوجه لا تكن صلفا * ما لحسان الوجوه والصلف

تحسن أن تحسن القبيح ولا * ترثى لصب متيم دنف

فاستبدع الامير بديهته وأمر له ببدرة ويقال انه خيره بينها وبين الوصيف فاختارها نفيا للظنة عنه (وذكر) أن الخليع حضر مجلس المتوكل فى جملة الندماء وقد كبر سنه وضعف جسمه وبين يديه شفيع خادمه ينضد وردا وعليه قراطق موردة ولم يكن فى عصره خادم أحسن منه فأمره المتوكل أن يحييه بوردة ويغمز يده ليحرك خاطره ففعل فارتجل

وكالوردة البيضاء حيا بوردة * من الحمر يمشى فى قراطق من ورد

سقانى بعينيه وكفيه شربة * فأذكرنى ما قد نسيت من العهد

له عبثات عند كل تحية * بكفيه تستدعى الخلى الى الوجد

سقى الله دهرا لم أبت فيه ليلة * من الدهر الا من حبيب على وعد

(قال علي بن ظافر) وهذه الحكاية تشبه حكاية ذكرها الفتح بن خاقان في قلائد العقيان أوردتها ههنا قاطعا ترتيب الحكايات طلبا للمجانسة حتى اذا انجزت عدنا للترتيب الاخبار على ترتيب الاعصار قال الفتح بن خاقان أخبرني الوزير ابو عامر بن بشتغير أنه حضر مجلس القائد أبي عيسى بن لبون في يوم سفرت فيه أوجه المسرات ونامت عنه أعين المضرات وأظهر سقاته غصونا تحمل بدورا وتطوف من المدام بنار مازجت من الماء نورا وشموس الكاسات تشرق في اكف سقاتها كالورد في السوسان وتغرب بين اقاحي نجوم الثغور فتذبل نرجس الاجفان وعنده الوزير أبو الحسن بن الحاج اللورقي وهو يومئذ قد بذل الجهد في التحلي بالزهد فأمر القائد ساقيه أن يعرض عليه ذهب كاسه ويحييه بزبرجد آسه ويغازله بطرفه ويميل عليه بعطفه ففعل ذلك عجلا فأنشد أبو الحسن مرتجلا

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
أومى الي بكأسه فرددتها * ورنا فشفعها بلحظ مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لاخذت في تلك السبيل بمأخذى * فيما مضى ونزعت فيها منزعي

(أخبرنا) المسكي عن السلفي عن جعفر بن أحمد بن السراج وابن يعلان الكبير قالا أنبأنا أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجستاني قال أخبرنا أبو يعقوب النجيرمي حدثنا أبو الجود العروضي عن جحظة البرمكي قال حدثنا أبو عبادة البحتري الشاعر وكان المتوكل أدخله في ندمائه قال دخلت على المتوكل يوما فرأيت في يديه درتين ما رأيت أشرق من نورهما ولا أنقى بياضا ولا اكبر فأدمت النظر اليهما ولم أصرف طرفي عنهما ورآني المتوكل فرمى الي التي كانت في يده اليمنى فقبلت الارض وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعا في الاخرى فعن لي أن قلت

بسر من را لنا امام * تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى * كأنه جنة ونار

الملك فيه وفي بنيه * ما اختلف الليل والنهار

يداه في الجود ضرتان * هذي على هذه تغار

وليس تأتي اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التي كانت في يده اليسار وقال خذها يا عيار (وحكى) النخيري قال كنت عند الامير عبد الله بن المعتز وعنده قينة قبيحة الصورة فجعلت اتبرم بها وجعل يظهر شغفا بها وعشقا لها ليغايظني بذلك فلما استدعيظني منه خلوت به فقلت له نشدتك الله أيها الامير أعشقتها فقال مضاحكا نعم فقلت ألست ترى قبح وجهها وسماجة خلقها فارتجل

قلبي وثاب الى ذا وذا * ليس يرى شيأ فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي * ويرحم القبح فيهواه

فسكت عنه تعجبا من سرعة بديهته (وروى) أنه جاء يوما الى أبي العباس ثعلب أحمد بن يحيي وهو في المسجد الجامع ليسلم عليه فقام اليه هو والحاضرون وأجلسه مكانه فداس قلما فكسره فقال

لكني وتر عند رجلي لانها * أثارت قتيلا ما الاعظمه جبر

فعجبوا من بديهته وحسنها (قال) يزيد الرياضي في كتابه في الامثال سمعت أبا الطيب الكاتب يقول ذكر المازري أنه كان في مجلس ابن المعتز وغلام على رأسه يذب فوقعت المذبة على رأس بعض الجلساء فقال ابن المعتز

قل لمن ذب ذب نفسك عنا * حسبنا منك أو وحسبك منا

(حدثنا) المسكي بالاسناد المتقدم عن النخيري قال حدثنا العروضي عن الصولي وذكره وبهذا الاسناد عن أبي الحسن بن دقة قال أنشدنا عبد الله بن المعتز بيتي أبي نواس في الخمر وهما

وعاشق دنف نبهته سحرا * فقام للكاس والصهباء فاصطبحا

ودارت الكاس من صهباء صافية * فاحسا قدحا الابكى قدحا

فاستمد فكتب

وقهوة كشعاع الشمس صافية * مثل السراب يرى من دقة شبحا

اذا تعاطيتها لم تدر من دهش * راحا بلا قدح أعطيته أم قدحا

(قال) يزيد الرياضي حدثنا أبو عبد الله الكرماني قال حدثنا الصولي قال ذكر المرادي أنه كان في بعض الايام عند ابن المعتز على شراب فأكثر القوم كلامهم فقال

اذا فتح القوم أفواههم * لغير شراب ولا مطعم
فلا خير فيهم لشرب المدام * فدعهم بنا مواضع النوم

(قال) وذكر المرادي أنه دخل اليه يهنيه ببرء من علة فقال

أتاني برء لم أكن واثقا به * كحل أسير فك بعد وثاقه

وكان لاحمد بن المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها الى أن مرض ونحل فدخل عليه الطبيب فجسه فقال هذا الفتى قد احرقته الصفراء فقال أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر واستدعى دواة وكتب في الحال

قال الطبيب وقد تبين محنتي * قد أحرقت هذا الفتى الصفراء
فعجبت منه اذ أصاب وما درى * والحق أبلج ليس فيه مراء

(ومثل هذه الحكاية ما روى) من أن العباس الفارسي كان يهوى مدام الشاعرة الكوفية وكان مداوما للشرب فاعتل واشتدت حماه فدخل عليه صديق له طبيب يكنى بأبي بشر فجس يده فوجد حماه حادة فقال له ما يتلفك الا مدام ومتك مدامك فقال للوقت

عجبت من قول أبي بشر * وقوله ضرب من السحر
مدامك الهلك فلا تكثرن * منها وأنى لي بالكثر
أصاب في اللفظ ولكنه * اخطأ في المعنى ولم يدر

(قال القاضي علي التنوخي) في كتاب النشوان أخبرني أبي قال حدثني المعوج الرقي قال كبا الفرس ببدر الجمالي فافتصد فدخلت عليه فانشدته أبياتا عملتها في الحال وهي

لا ذنب للطرف ان زلت قوائمه * وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأسا وجودا فوقه وندى * وليس يقوى لهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فاعقل العلا معها * خوفا عليك ولا نفس بها نفس
كفنا الطبيب دعا كفا نقبلها * ونطلب الرزق منها حين نحتبس

(قال) وحدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال

كانى دعوة أبى على الحسن بن مروان الكاتب وحضر فيها الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى وهو اذ ذاك يخلف أبا جعفر الصيمرى على الامر ببغداد فغنت الرقية زوج أبى على صوتا من وراء الستارة أحسنت فيه فاخذ المهلبى الدواة فكتب فى الحال البديهة وأنشدنا لنفسه

ذات غنى فى الغناء من نغم * تنفق فى الصوت منه اسرافا
كأنها فارس على فرس * ينظر فى الجرى منه أعطافا

(وروى) أن نصر بن أحمد الخبزرزى دخل على أبى الحسن بن المثنى فى أثر حريق المربد فقال له هل قلت فى هذا شيأ فقال ما قلت ولكنى أنشد لك ارتجالا

أتتكم شهود الهوى تشهد * فما تستطيعون أن تجحدوا
جرى نفسى صعدا بينكم * فأحرق من ذلك المربد
وهاجت رياح حنينى لكم * فظلت بها ناره توقد
ولولا بجرت ادمعى لم يكن * حريقكم أبدا يخمد

(ومثل هذا ما رويناه بالاسناد المتقدم) عن ابن بسام فى كتاب الذخيرة قال ذكر سليمان بن محمد الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل ظريف يهوى غلاما جميلا واشتد به كلفه فتجنى الغلام عليه فبينما هو ذات ليلة يشرب منفردا وقد غلب عليه السكر خطر بباله أن يأخذ قبس نار فيحرق به داره ففعل ووضع النار فى الباب فاحترق فاتفق أن رآه بعض الجيران فخرج أهل الدار فأطفوا الحريق ولما أصبحوا حملوه الى القاضى فسأله لم فعل فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسى على وقوفى * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبى * أقل من لمعة الزناد
فأحرق الباب دون علمى * ولم يكن ذاك فى مرادى

فاستظرفه القاضى واستلطفه وغرم عنه ارش ما اتلفه (أنبأنى) الشيخ الفقيه النبيه أبو الحسن على المقدسى عن أبى القاسم مخلوف بن على القيروانى عن عبد الله محمد بن أبى سعيد عن أبى عبد الله الحافظ الحميدى قال اخبرنى أحمد بن قاسم جار كان لنا بالمغرب أن عبد الملك بن ادريس الحريرى

كان

كان ليلة بين يدى المنصور بن ابى عامر والقمر يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة اخرى فارتجل

أرى بدر السماء يلوح حينا * فيبدو ثم يلتحف السحابا
وذلك أنه لما تبدى * وأبصر وجهك استحيا فغابا
مقال لو نمى عنى اليه * لراجعنى بتصديقى جوابا

(وبهذا الاسناد) قال الحميدى حضر عقيل بن نصر مجلسا فيه أحداث من الكتاب فاختلفوا فى شئ من الآداب الى أن أفضى ذلك بهم الى السباب فقال عقيل على البديهة وأنشدنيها بعض الرؤساء ولم يعلم قائلها

تعس الزمان لقد أتى بعجائب * ومحا رسوم الفضل والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

(اخبرنى) الفقيه ابو الحسن على بن فاضل بن صمدون الصورى عن الامام الحافظ السلفى عن ابى غالب شجاع بن فارس الرملى عن ابى منصور محمد المالكى البصرى عن أبى محمد عبد الله بن محمد الاكفانى البصرى قال خرجت مع عمى أبى عبد الله الاكفانى وأبى الحسين بن لنكك وأبى عبد الله المفجع وابن الحسين السباك فى بطالة العيد فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن أحمد الخبزرزى وهو جالس يخبز على طاثنة فجلسوا عنده ثم قاموا عند تزايد الدخان فقال نصر لابن لنكك متى أراك يا ابا الحسين فقال له ابو الحسين اذا اتسخت ثيابى وكانت ثيابهم جددا قد لبسوها للتجمل بها فى العيد فمشينا فى سكة بنى سمرة حتى انتهينا الى دار أحمد بن المثنى فجلس ابو الحسين بن لنكك وقال يا اصحابنا ان نصر الايخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شئ يقوله ونحن نبدؤه قبل أن يبدأنا واستدعى بدواة وكتب اليه

لنصر فى فؤادى فرط حب * يزيد به على كل الصحاب
قصدناه فبخرنا بخورا * من السعف المدخن للثياب
فقال متى أراك اباحسين * فقلت له اذا اتسخت ثيابى

وأنفذ الابيات الى نصر فأملى جوابها فى الحال فقرأناه فاذا هو قد أجاب

منحت أبا الحسين صميم ودى * فداعبنى بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كقتير شيب * فعدن له كريعان الشباب

وقلت متى أراك اباحسين * فجاوبنى اذا انسخت ثيابى

فان يكن التقذر فيه فخر * فلم يكنى الوصى اباتراب

(وذكر الباخرزى) فى كتاب دمية القصر قال حدثنى أبو محمد الحسن بن على الجوهرى ببغداد قال أنشدت أبا القاسم الضروى بيتين كان أبو عبد الله عمر ابن يحيى ادعاهما لنفسه فى مجلس المهلبى الوزير فأنكر أبو الفرج الاصبهانى ذلك وأخرجهما فى أناشيد ثعلب وهما

أقول لها اذ بت فى أسر قومها * وجامعتى عن منكبى تضيق

لما سرنى ان بت عنى بعيدة * وأنى من هذا الاسار طليق

ثم قلت له أيهما أحسن أم بيتان عملتهما فى المعنى وهما

أقول لها والحى قد نذروا بنا * ومالى من اسر المنون براح

لما ساءنى ان وشحتنى سيوفهم * وأنك لى دون الوشاح وشاح

فأمسك ساعة ولم يجب ثم عمل فى الحال وأنشدنيه

ألا مرحبا بالاسر يا أم مالك * وجامعتى والقدمنه قريحه

اذا كنت فى كسر الخباء قريبة * تحسين منى لوعتى وأنينى

وعمل أيضا فى الحال وأنشدنيه

أقول وقد هز القنا لى قوامها * ومالى من بين الاسنة مذهب

ألا ليت نحرى للاسنة ملعب * وكفى فى نحر ابنة القوم يلعب

(قال وجلس أبو اسحق النجيرمى) عند كافور الاخشيدى فدخل عليه ابو الفضل بن عياش فقال أدام الله أيام مولانا وكسر الميم فتبسم كافور الى أبى اسحق ففطن لذلك فقال ارتجالا

لاغرو ان لحن الداعى لسيدنا * وغص من دهش بالريق والبهر

لمثل سيدنا حالت مهابته * بين الاديب وبين القول بالحصر

وان يكن خفض الايام من دهش * فى موضع النصب لامن قلة البصر

فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال مأثوره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب * وأن دولته صفو بلا كدر

فامر له بثلثمائة دينار وللنجيرمى بمائتين

(وذكر صاحب اليتيمة) وقد ذكرنا الاسناد اليه فيما سبق من الكتاب أنه قدم

الى

الى عضد الدولة جام بهطة بيضاء عليها لوزمنصف وكان ينادمه رجل من أهل الادب قلما يحضر شئ على المائدة الا قال فيه شعرا له أو لغيره فاستدعى منه عضد الدولة أن يصفها فارتج عليه فارتجل عضد الدولة

بهطة تعجز عن وصفها * يامدعى الاوصاف بالزور
كأنها فى الجام اذ زينت * لآلئ فى ماء كافور

(وشرب) السرى الموصلى يوما مع جماعة من أصحابه بالقفص فى حانة لبعض الخمارين فأقاموا نهارهم يديرون من الكؤوس شمولا يلهبها الماء ويزول برشفها الظماء وبين أيديهم أسد قد نظم من الورد فقال السرى بديها

رب أيام على القفص لنا * لانرى أمثالها طول الابد
غضة ريحاننا الغض بها * أسد من غابة الورد ورد
ما رأى الناس ندامى قبلنا * شربوا الراح على وجه الاسد

(قال على بن ظافر) ذكرت بهذا قول ابن الخياط الدمشقى بديها فى مثله

لنا أسد ورد سبانا به الهوى * وما كان يهوى قبله الاسد الورد
له وردة حمراء فى فيه غضة * يرى عاديا منها وان كان لا يعدو
كليث قريب بالفريسة عهده * فباقى دم المفروس فى فمه يبدو

(وحكى أبو الفضل الهمدانى قال) قال الصاحب يوما لجلسائه وأنا فيهم وقد جرى ذكر أبى فراس لا يقدر أحد أن يزور على أبى فراس شعرا فقلت ومن يقدر أن يزور عليه وهو الذى يقول وارتجلت

رويدك لا تصل يدها بباعك * ولا تغر السباع على رباعك
ولا تعن العدو على انى * يمين ان قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب صدقت فقلت ايد الله مولانا قد فعلت (وروى ابن الصابى فى كتاب الوزراء قال كان فى مجلس الصاحب متكلم يعرف بابن الحضيرى فغلبه النوم يوما فى المجلس فكانت منه فلتة فعلم بها فقام خجلا فقال فيه الصاحب ارتجالا

يا ابن الحضيرى لا تذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تسطيع تحبسها * اذ أنت لست سليمان بن داود

(وأنبأنى) ذو النسبتين الحافظ أبو الخطاب بن دحية عن الاستاذ المفيد أبى

بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الحافظ أبي القاسم خلف بن يوسف الشنتريني عرف بابن الابرش بقراءته على أبي الحسن علي بن بسام قال كان أبو العلاء صاعد اللغوي البغدادي كثيرا ما يمدح بلاد العراق بمجلس المنصور بن أبي عامر كفيل المؤيد هشام صاحب الاندلس فكتب الوزير أبو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير أبي عامر أحمد صاحب الغرائب الماضية في هذا الكتاب الى المنصور في يوم برد وكان أخص وزرائه

أما ترى برد يومنا هذا * صيرنا للكمون افذاذا
قد فطرت صحة الكبود به * حتى لكادت تعود أفلاذا
فادع بنا للشمول مصطليا * نغذ سير اليك اغذاذا
وادع المسمى بها وصاحبه * تدع نبيلا وتدع استاذا
ولا تبالي أبا العلاء زها * بخمر قطربل و كلواذا
ما دام من أرملاط مشربنا * دع دير عمى وطيرنابا ذا

وكان المنصور في ذلك اليوم قد عزم على الانفراد بحرمه فأمر باحضار من جرى رسمه من الوزراء والندماء وأحضر ابن شهيد في محفة لنقرس كان يعتاده وأخذوا في شأنهم فترلهم يوم لم يعهدوا مثله وعلا الطرب وسما بهم حتى تهايجوا ورقصوا بالنوبة حتى انتهى الدور الى ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عباس فجعل يرقص وهو متوكئ عليه وارتجل قائلا

هاك شيخا قاده عذر لكا * قام في رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها منتصبا * فغدا يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها منفردا * نقرس أخنى عليه فاتكا
من وزير فيهم رقاصة * قام للسكر يناغي ملكا
أنا لو كنت كما تعهدني * قمت اجلالا على رأسي لكا
قهقه الابريق مني ضاحكا * ورأى رعشة رجلي فبكى

وهذه قطعة مطبوعة وطرفها الاخير واسطتها وكان قد حضرهم ذلك اليوم رجل بغدادي يعرف بالكلك كان حسن النادرة سريعها وكان ابن شهيد أحضره الى المنصور فاستطبعه وارتبطه فلما رأى ابن شهيد يرقص قائما مع ألم المرض الذي كان منعه من الحركة قال لله درك يا وزير ترقص قائما وتزني قاعدا فضحك

المنصور وأمر لابن شهيد بمال جزيل ولسائر الجماعة وللسكات * (وبالاسناد أيضا قال ابن بسام ودخل صاعد اللغوى يوما على المنصور وعليه ثياب جدد وخف فمشى على جانب البركة لازدحام الحاضرين فى الصحن فزهقت رجله فسقط فى الماء فضحك المنصور وأخرج وقد كاد البرد يأتى عليه فلما نظر اليه أمر له بثياب وأدنى مجلسه وقال يا أبا العلاء قل فى سقطتك فأطرق ثم قال

شيئان كانا فى الزمان عجيبة * ضرط ابن وهب ثم سقطة صاعد

فاستبرد ما أتى به وكان أبو مروان الجزيرى الكاتب حاضرا فقال

سرورى بغرتك المشرقه * وديمة راحتك المغدقه

ثنانى نشوان حتى سقطت فى لجة البركة المغرقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق * لجودك من قبلها أغرقه

فقال لله درك قسناك بأهل العراق ففضلتهم فمن نقيسك

*(وبالاسناد) قال ابن بسام وحدث أبو بكر محمد بن أحمد بن جعفر بن عثمان المصحفى قال دخلت يوما على أبى عامر قال على بن ظافر يعنى ابن شهيد وقد ابتدأت به علته التى مات بها فأنس بى وجرى الحديث الى أن شكوت اليه تجنى بعض أصحابى على ونفاره عنى فقال لى سأسعى فى اصلاح ذات البين فخرجت عنه فلقيت ذلك المتجنى مع بعض اخوانى وأعزهم على فتجنبتهما فسأله عن السبب الموجب فأخبره فمشى حتى أدركنى وعزم على فى مكالمته وتعاتبنا عتابا أرق من الهوا وأشهى من الماء على الظما حتى جئنا دار أبى عامر فلما رآنا جميعا ضحك وقال من هذا الذى تولى اصلاح ما كنا سررنا بفساده وقلنا قد كان ما كان واطرق قليلا ثم أنشد

من لا أسمى ولا أبوح به * أصلح بينى وبين من أهوى

أرسلت من كابد الهوى فدرى * كيف يداوى مواقع البلوى

ولى حقوق فى الحب ثابتة * لكن الفى بعدها دعوى

*(قال على بن ظافر) وذكر ابن خاقان فى كتاب مطمح الانفس ما معناه أن أبا عامر كان مع جماعة من أصحابه بجامع قرطبة فى ليلة السابع والعشرين فمرت بهم امرأة من بنات اجلاء قرطبة قد كملت حسنا وظرفا ومعها طفل يتبعها كالظبية تستتبع خشفا وقد حفت بها الجوارى كالبدر حف بالدرارى

فحين رأت تلك الجماعة المعروفة بالخلاعة ورمقوا الظبي بعيون اسود رأت فريسة ارتاعت وتخوفت أن تختطف منها تلك الدرة النفيسة فاستدنت اليها ختفها وألزمته عطفها فارتجل ابن شهيد قائلا

وداعية تحت طي القناع * دعاها الى الله بالخير داع
أتت بابنها تبتغي منزلا * لوصل التبتل والانقطاع
فجاءت تهادى كمثل الرؤم * تراعى غزالا بروض اليفاع
أتتنا تبختر في مشيها * فحلت بواد كثير السباع
وجالت بأكنافه جولة * فحل الربيع بتلك البقاع
وريعت حذارا على طفلها * فناديت ياهذه لا تراعى
غزالك تفرق منه الليوث * وتهرب منه كماة المصاع
فولت وللمسك من ذيلها * على الارض خط كخط الشجاع

(أنبأني) الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي عن الفقيه أبي القاسم مخلوف بن علي القيرواني عن أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد السرقسطي عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال أخبرنا أبو الحسن الراشدي عن أبي عامر بن شهيد أن عبد الله بن فا كان الشاعر تناول نرجسة فركبها في وردة ثم قال له ولصاعد قال علي بن ظافر يعني أبا العلاء صاعدا اللغوي المقدم ذكره صفاها فأفحما ولم يتجه لهما القول فبينما هم على ذلك اذ دخل الزهيري قال علي بن ظافر يعني صاحب أبي العلاء صاعد وتلميذه وكان أديبا شاعرا أميا لا يقرأ ولا يكتب فلما استقر به المجلس أخبر بما هم فيه فجعل يضحك ويقول بغير روية

ما للاديبين قد أعيتهما * مليحة من ملح الجنه
نرجسة في وردة ركبت * كمقلة تنظر في وجنه

(وبهذا الاسناد عن الحميدي) قال أخبرني الرئيس أبو الحسن عبد الرحمن ابن راشد الراشدي قال لما نعيت أبا عامر بن شهيد الى ابن الخياط الشاعر وقد عرفت ما كان بينهما من المنافسة بكى وأنشدني لنفسه بديهة

لما نعى الناعي أبا عامر * أيقنت انى لست بالصابر
أودى فتى الظرف وترب الندى * وسيد الاول والآخر

وبهذا

(وبهذا الاسناد) قال الحميدى ذكر لى أبو بكر المروانى انه شاهد محبوبا الاديب الشاعر النحوى قال بديهة فى صفة ناعورة

وذات حنين ما تغيض جفونها ٭ من النهر الخضر الصوافى على شط
وتبكى فتحيى من دموع عيونها ٭ لآلى رياض بالازاهر فى بسط
فمن أحمر قان وأصفر فاقع ٭ وأزهر مبيض وأدكن مشمط
كأن ظروف الماء من فوق متنها ٭ لآلى جمان قد نظمن على قرط

(أنبأنى) ذو النسبتين الحافظ ابن دحية عن الاستاذ المفيد أبى بكر محمد بن خير بقراءته عليه عن الفقيه الحافظ أبى القاسم خلف الشنتريني عرف بابن الابرش بقراءته على أبى الحسن على بن بسام قال أمر الحاجب المنذر بن يحيى التجيبى صاحب سرقسطة بعرض الجند فى بعض الايام وأميرهم مملوك له رومى يقال له خيار فى نهاية الجمال فجعل ينفخ فى القرن ليجتمع أصحابه على عادتهم فى ذلك فقال ابن هند الدانى فيه ارتجالا

أعن بابل أجفان عينيك تنفث ٭ ومن قوم موسى انت للعهد تنكث
أفى الحق أن تحكى سرافيل نافخا ٭ وأمكث فى رمس الصدود وألبث
عسالك خيار الناس تأتى بآية ٭ فتنفخ فى ميت الغرام فيبعث

(قال) وكان بقرطبة غلام وسيم فمر عليه ابن فرج الجيانى ومعه صاحب له فقال صاحبه انه لصبيح لولا صفرة فيه فقال ابن فرج ارتجالا

قالوا به صفرة عابت محاسنه ٭ فقلت ماذاك من عيب به نزلا
عيناه تطلب فى آثار من قتلت ٭ فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(قال) وكان يوما فى مجلس أنس فاحتاج رب المنزل الى دينار فوجه من يأتيه به من السوق فدخل به غلام من الصيارف فى نهاية الجمال فرمى بالدينار اليهم من فيه مما جنا فقال ابن فرج بديها

أبصرت دينارا بكف مهفهف ٭ يزهو به من كثرة الاعجاب
أومى به من فيه ثم رمى به ٭ فكأنه بدر رمى بشهاب

(وذكر) الفرج بن ابراهيم الكاتب فى سريرة الالباب وذخيرة الكتاب قال دخلت يوما ديوان الانشاء بمصر ومتوليه ولى الدولة بن خيران فلم أجده فى الديوان الا أنى وجدت الكتاب على رسمهم والناس على جارى عاداتهم

واذا سراويله ملقى على طرّاحة فجلست انتظره فلم أشعر الا وقد فتح خزانة وخرج وقدامه خادم صقلبى كأنّ الشمس على صفحته والغصن فى قامته منكسر الاجفان مطرقها مورّد الوجنة عرقها وحين وصل الى الطرّاحة لبس السراويل وارتجل

أنا من لا يرى للنفس الا بالصلاح • لا تداوى علة الانعاظ الا بالنكاح

فعلم الحاضرون انه كان يفسق به فأطبقوا عند الخروج على لعنه

(وذكر) فى هذا الكتاب قال دخلت على الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ ابن الحسين بن المغربىّ أيام وزارته لشرف الدولة أبى علىّ الديلمىّ وبيدى جزء من شعر شداد بن ابراهيم الخبززىّ المعروف بالطاهر فسألنى عنه فأخبرته فاستنشدنى فأنشدته

يا منكرا شغفى به • ومكذبا طول اشتياقى
فى أىّ أحوالى تشك فهنّ أحوال السياق
أمدامعى أم ضرّ جسمى أم ضناى أم احتراقى
كل اذا أنصفتنى • حجج عليك بما ألاقى

فاستحسن القطعة وصنع فى الحال

الله يعلم أننى • ألتذ فيكم باشتياقى
وأكاد من أنس التذكر لا اذمّ يد الفراق
وأغض طرفى بعدما • ملأته غزلان العراق
وأفرّ من خجل العتا • ب الى مغالطة العناق

(وأخبرنى) ابن المقدسىّ قال أخبرنى الشيخ الامام الحافظ السلفىّ قال سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار بن احمد الصيرفىّ يقول سمعت القاضى أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبرىّ يقول كتبت الى ابى العلاء المعرّى حين وافى بغداد

وماذات درّ لا يحلّ لحالب • تناوله واللحم منها محال
لمن شاء فى الحالين حيا وميتا • ومن شاء شرب الدرّ فهو ضلال
اذا بلغت فى السنّ فاللحم طيب • وآكله عند الجميع معقل

وخرفانها فى الاكل فيها كراهة * فما السخيف الرأى فيهن مأكل
وما يجتنى معناه الا مبرز * عليم بأسرار القلوب محصل

فأجابنى وأملى على الرسول فى الحال ارتجالا

جوابان عن هذا السؤال كلاهما * صواب وبعض القائلين مضلل
فمن ظنه كرما فليس بكاذب * ومن ظنه نخلا فليس بجهل
لحومهما الاعناب والرطب الذى * هو الحل والدر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهى غضيضة * تعاف وغصن الكرم يجنى ويؤكل
يكلفنا القاضى الجليل مسائلا * هى النجم قدرا بل أعز وأطول
ولو لم أجب عنها لكنت بجهلها * جديرا ولكن من يجيبك يقبل

فأجبته ثانيا بقولى

أثار ضميرى من يعز نظيره * من الناس طرا بل أعز وأفضل
تساوى له سر المعانى وجهرها * وسائرها باد لديه مفصل
ومن قلبه كل العلوم بأسرها * وخاطره فى حدة النار يشعل
ولما أثار الحب قاد صنيعه * أسيرا بأنواع البيان يكبل
وقربه من كل فهم بكشفه * وايضاحه حتى رآه المغفل
وأعجب منه نظمه الدر مسرعا * ومرتجلا من غير ما يتمهل
فيخرج من بحر ويسمو مكانه * جلالا الى حيث الكواكب تنزل
فهنأه الله الكريم بفضله * محاسنه والعمر منها مطول

فأجابنى مرتجلا وأملاه فى الحال

الا أيها القاضى الذى بدهائه * سيوف على أهل الضلال تسلل
فؤادك معمور من العلم آهل * وجدك فى كل المسائل مقبل
فان كنت بين الناس غير معول * فأنت من الفهم المصون معول
اذا أنت خاصمت الخصوم مجادلا * فأنت وهم مثل الحمائم أجدل
كأنك علم الشافعى مخاطبا * ومن قلبه تملى علينا فنمهل
وكيف يرى علم ابن ادريس دارسا * وأنت بايضاح الهدى متكفل
تفضلت حتى ضاق ذرعى تكرما * فقلت وكفى عن جوابك أجمل
لانك فى كنه الثريا فصاحة * وأعلى ومن يبغى مكانك أسفل

فعذرى فى انى أجبتك واثقا * بفضلك فالانسان يسهو ويذهل
وأخطأت فى انفاذ رقعتك التى * هى الجدلى منها أخير وأول
ولكن عدانى أن أروم احتفاظها * رسولك وهو الفاضل المتفضل
ومن حقها أن يصبح المسك غامرا * لها وهى فى أعلى المنازل تجعل
فمن كان فى أشعاره متمثلا * فأنت امرؤ فى العلم والشعر أمثل
تجملت الدنيا بانك فوقها * ومثلك حقا من به يتجمل

* (وبالاسناد المتقدم) عن ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة قال ذكر أبو عبد الله الصفار الصقلى قال كان بالقيروان غلام وضئ كان يختلف الى أبى على حسن بن رشيق فكان يحذره من المخالطة فخرج يوما يتنزه مع جماعة فاشيع عنه ما ينكر وبلغ أبا على فقال بديها

ياسوء ما جاءت به الحال * ان كان ما قالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

* وقد كان أبو الفضل محمد بن عبد الواحد الدارمى يهوى فتى ببغداد وينكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به وكلفه فدمعت عينا أبى الفضل يوما فقال الغلام دمعك شاهد عليك فارتجل أبو الفضل

وهبنى قد أنكرت حبك جملة * وهونت من نفسى العزيزة سخطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة * سقامى أملاها ودمعى خطها

(قال) وكان ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة فأفضى حديثهم الى وصفها فأطرق بعضهم ليصنع فيها فبدره أبو الفضل فقال

ذهبنا فأذهبنا الهموم بشمعة * غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمى ذائب مثل جسمها * ودمعتها تجرى كما دمعتى تجرى
كلانا لعمرى ذوب نار من الهوى * فنارك من جمر ونارى من هجر
وأنت على ما قد تقاسين من أذى * فصدرك فى نار ونارى فى صدرى

* (قال على بن ظافر) وهذا مثل قول الاعمى التطيلى فى شمعة

بايه ماتبكى وفى النار صدرها * وقد جمدت عيناى والنار فى صدرى

* (وبالاسناد المتقدم) قال ابن بسام اصطبح المعتصم بن صمادح يوما مع ندمائه نابرزلهم وصيفة مهدوية متصرفة فى أنواع اللعب وحضر أيضا هنالك

لاعب مصري ساحر فكان لعبه حسنا فارتجل أبو عبد الله بن الحداد قائلا

كذا فلتلح قمرا زاهرا * وتجنى الهوى ناضرا ناظرا
وان ليوملك ذا رونقا * منيرا كنور الضحى باهرا
وسيبك سيب ندى مغدق * أقام لنا هاميا هامرا
صباح اصطباح باسفاره * لحظنا محيا العلا سافرا
وأطلعت فيه نجوم الكؤوس * فمازال كوكبها زاهرا
وأسمعتنا لاحنا فاتنا * وأحضرتنا لاعبا ساحرا
يرفرف فوق رؤس القنانى * فننظر ما يذهل الناظرا
ويحفظهنا بذيل سرباله * فننظر طالعها غابرا
فظاهرها ينثنى باطنا * وباطنها ينثنى ظاهرا
وشاه ثان لالعابه * دقائق تثنى الحجا حائرا
وفى سورة الراح من سحره * خواطر دلهت الخاطرا
اذا ورد اللحظ أثناءها * فما الوهم عن وردها صادرا
ومن حسن دهرك ابداعه * فما انفك عارضها ماطرا
وسعدك يجتلب المغربات * فيجعل غائبها حاضرا

*(قال) وحضر الاديب أحمد بن الشقاق المنعوت بالمتفتل عند القائد بن درى بجيان هو وأبو زيد بن مقانا الاشبونى فأحضر لهما عنبا أسود مغطى بورق أخضر فارتجل المتفتل

عنب تطلع من حشى ورق لنا * صبغت غلائل جلده بالاثمد
فكأنه من بينهن كواكب * كسفت فلاحت فى سماء زبرجد

*(قال) وحضر ابن مرزقان ليلة عند ذى النون بن خلدون وبحضرته وصيفة تحمل شمعة فاستحسنها ابن مرزقان فقال بديها

ياشمعة تحملها أخرى * كأنها شمس علت بدرا
امتحنت احداهما مهجتى * بمثل ما تمتحن الاخرى

*(قال) ودخل الاديب غانم يوما على باديس بن حبوس صاحب غرناطة فوسع له على ضيق كان فى المجلس فقال بديها

صير فؤادك للمحبوب منزلة * سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضا في معاشرة * فقلما تسع الدنيا بغيضين

وانما نظم ماروى أن الخليل بن أحمد دخل عليه بعض أصدقائه وهو على غرفة صغيرة فقال له الرجل انها لا تسعنا فقال له الخليل ما تضايق سم الخياط بمتحابين ولا اتسعت الدنيا لمتباغضين * (قال) وخرج الاديب أبو الحسن على بن حصن الاشبيلي الى وادي قرطبة في نزهة فتذكر اشبيلية فقال بديها

ذكرتك يا حمص ذكرى هوى * أمات الحسود وتعنيته
كأنك والشمس عند الغروب * عروس من الشمس منحوته
غدا النهر عقدك والطود تا * جك الشمس أعلاه ياقوته

* (قال على بن ظافر) * وذكر صاحب قلائد العقيان ما هذا معناه ان المستعين بالله أحمد بن المؤتمن بن هود الجذامي صاحب سرقسطة والثغور ركب نهر سرقسطة يوما لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله وهو نهر رق ماؤه وراق وأزرى على نيل مصر ودجلة والعراق قد اكتنفته البساتين من جانبيه وألقت ظلالها عليه فما تكاد عين الشمس أن تنظر اليه هذا على اتساع عرضه وبعد سطح الماء من أرضه وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهاله وأحاطت به احاطة الطفاوة للغزاله وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء وأخاف حتى حوت السماء واهلة الهالات طالعة من الموج في سحاب وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم وقدود اللهاذم ومعاصم الابكار النواعم فقال الوزير أبو الفضل بن حداى والطرب قد استهواه وبديع ذلك المرأى استرق هواه

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء أعتبنا * فيه بعتبى وابدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في أيامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * علياء مؤتمن في هدى مقتدر
تحوى السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر

والندامى

وللندامى به عبث ومرتشف * كالراح يعذب فى ورد وفى صدر
والشرب فى ودّ مولى خلقه زهر * يذكو ببهجته أبهى من القمر

*(قال على بن ظافر) قوله نيشان غير معروف فان نون لم يجئ جمعها نينان وقد كان سيبويه لحن بشار بن برد فى قوله فى وصف السفينة

تلاعب نينان البحور وربما * رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور وقد قال أبو الطيب يصف خيلا

فهن مع السيدان فى البر عسل * وهن مع النينان فى البحر عوم

*(وجلس) المعتمد بن عباد يوما فأنشد بعض جلسائه قول أبى الطيب

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معيى المطى ورازمه

فاستبدعه المعتمد واستحسنه وجعله أبدع ما للمتنبى وأحسنه فارتجل عبد الجليل بن وهبون المرسى

لئن جاد شعر ابن الحسين فانه * بجود العطايا واللها تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولودرى * بأنك تروى شعره لتألها

فاستحسنها المعتمد وأمر له بمائتى دينار (وجلس) يوما والبزاة تعرض عليه فاستحث الشعراء فى وصفها فقال عبد الجليل بديها

للصيد قبلك سنة مأثورة * لكنها بك أبدع الاشياء
تمضى البزاة وكلما أمضيتها * عارضتها بجوارح الشعراء

*(قال على بن ظافر) ذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه خرج ابن وهبون يوم النظر هلال شوال وأبو بكر بن القنطرية الوزير يسايره وهو يومئذ غلام يخجل البدر ويزرى الغصن النضر وصفحته لم يسطرها العذار بانقاسه ووردة خده لم يسترها الشعر بآسه فارتجل عبد الجليل

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك آخذ بشمالى
هو لك تحكى سناه خدا بخد * قم فخشى لخده بمثال

*(وبالاسناد المقدم) قال ابن بسام أخبرنى الحكيم النديم المطرب أبو بكر الاشبيلى قال حضرت مجلس الرشيد بن المعتمد بن عباد وعنده الوزير أبو بكر ابن عمار فلما دارت الكؤس وتمكن الانس وغنيت أصواتا ذهب الطرب بابن عمار كل مذهب فارتجل يخاطب الرشيد

ماضرّان قيل اسحاق وموصله * هاأنت أنت وذى حص واسحاق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت به * وان تشابه اخلاق واعراق
لله درك دار كها مشعشعة * وأحفر قسافك ماقامت به ساق

(قال) وساير ابن عمار فى بعض أسفاره وكان معه غلامان من بنى جهور أحدهما أشقر العذار والآخر أخضره فجعل يميل بحديثه الى المخضرّ العذار فقال ارتجالا

تعلقته جهوَرىّ النجار * وحلو اللمى جوهرى الثنايا
من النفر البيض جردوا الزمان * رقاق الحواشى كرام السجايا
ولا غرو أن تغرب الشارقات * وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جان الحديث * نساقطه من ظهور المطايا
شنئت المثلث للزعفران * وملت الى خضرة فى النقايا

* (قال علىّ بن ظافر) ومعنى هذا البيت انه أبغض المثلث لدخول الزعفران فيه اشبهه بعذار الاشقر منهما وأحب خضرة النقايا وهى لون من طعام يعمل بالكزبرة لشبهها بعذار الاخضر منهما * (قال علىّ بن ظافر) وذكر صاحب قلائد العقيان ما معناه انّ ابن عمار تنزه بالدمشق بقرطبة وهو قصر شيده خلفاء بنى أمية وزخرفوه ودفعوا اصرف الدهر عنه وصرفوه وأجروه على ارادتهم وصرّفوه وذهبوا سقفه وفضضوها ورخموا أرضه وروضوها فبات به والسعد يلحظه بطرفه والروض يحييه بعرفه فلما استنفد كافور الصباح مسك الغسق ورصع ابنوس الظلام نضار الشفق قال مرتجلا

كل قصر غير الدمشق يذم * فيه طاب الجنا وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والفجر والليل عندى * عنبر أشهب ومسك أحم

* (قال علىّ بن ظافر) وأخبرنى الفقيه أبو العرب اسماعيل بن معوشة الكنانىّ السبتىّ قال أخبرنى شيخ من أهل أشبيلية كان قد أدرك دولة آل عباد وكان عليه من آثار كبر السنّ ودلائل التعمير ما يشهد له بالصدق وينطق بأن قوله الحق قال كنت فى صباى حسن الصورة بديع الخلقة لا تلمحنى عين أحد الا ملكت قلبه وخلست خلبه وسلبت لبه وأطلت كربه فبينا أنا واقف على

باب دارنا اذا بالوزير أبي بكر بن عمار قد أقبل في موكب زجل على فرس كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل فحين حاذاني ورآني اشرأب الي ينظرني وبهت يتأملني ثم دفع بمخصرة كانت في يده في صدري وأنشد

كف هذا النهد عني * فبقلبي منه جرح

هو في صدرك نهد * وهو في صدري رمح

* (قال علي بن ظافر) وذكر الفتح بن خاقان في كتاب القلائد ما معناه قال أخبرني ذو الوزارتين أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر عند المؤتمن بن هود في يوم أجرى الجو فيه أشقر برقه ورمى ببندق ودقه وحلت الرياح فيه أوقار السحاب على لعناقها وتميلت قامات الغصون في الحلل الخضر من أوراقها والازهار قد تفتحت عيونها والكمائم قد ظهر مكنونها والاشجار قد انصقلت بعداوس القطر ونشرت ما يفوق ألوان البز وبثت ما يعلو أرواح العطر والراح قد أشرقت نجومها في بروج الرياح وحاكت شمسها شمس الافق فتلفعت بغيوم الاقداح ومديرها قد ذاب ظرفا فكاد يسيل من اهابه وأخجل خده حسنا فتكلل بعرق حبابه اذا بفتى رومي من فتيان المؤتمن أقبل متدرعا كالبدر اجتاب سحابا والخمر اكتست حبابا والطاوس انقلب تحبابا فهو ملك حسنا الا أنه جسد وغزال لينا الا أنه في هيئة أسد وقد جاء يريد استشارة المؤتمن في الخروج الى موضع قد عول فيه عليه وأمره أن يتوجه اليه فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار والسكر قد استحوذ على لبه وانبثت سراياه في نواحي قلبه فأشار اليه وقربه واستبدع ذلك اللباس واستغربه وجد في أن يستخرج تلك الدرة من ماء ذلك الدلاص وأن يجلي عنه سهكه كما يجلي الخبث عن الخلاص وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ويكون هو الساقي على عادته القديمة ورسمه فأمره المؤتمن بقبول أمره وامتثاله واحتذاء مثاله فحين ظهرت تلك الشمس من حجبها ورميت شياطين النفوس من كنة المدام بشهبها ارتجل ابن عباد يقول

وهويته يسقي المدام كأنه * قمر يدور بكوكب في مجلس

متناوح الحركات يندى عطفه * كالغصن هزته الصبا بتنفس

يسقي بكأس في أنامل سوسن * ويدير أخرى في محاجر نرجس

يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس
جهم وان كشف القناع فانما * كشف الظلام عن النهار المشمس
يطغى ويلعب فى دلال عذاره * كالمهر يلعب فى اللجام المجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبى المكنس
عنا بكأسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وصنع فيه أيضا

وأحور من ظباء الروم عاط * بسنا القتيه من دمى فريد
قسا قلبا وشن عليه ذرعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه * وقد يبكى من الطرب الجليد
وان فتى تملكه برق * وأحرز حسنه لفتى سعيد

* (وبالاسناد المتقدم) ذكر ابن بسام ان أبا العرب الصقلى حضر مجلس المعتمد بن عباد يوما وقد حمل اليه حول وافرة من قراريط الفضة فأمر له بكيسين منها وكان بين يديه تماثيل عنبر من جملتها اجمل مرصع بالذهب واللآلى فقال له أبو العرب معترضا ما يحمل هذين الكيسين الا جمل فتبسم المعتمد وأمر له به فقال أبو العرب بديها

أجديتنى جملا جونا شفعت به * حملا من الفضة البيضاء لو حملا
نتاج جودك فى أعطان مكرمة * لا قد تعرف من منع ولا عقلا
فأعجب بشأنى فشأنى كله عجب * رفهتنى فحملت الحمل والجملا

فسارت بهذا الركائب وتهادته المشارق والمغارب (قال ابن بسام) وكان فى قصر المعتمد فيل من فضة على شاطئ بركة يقذف الماء وهو الذى يقول فيه عبد الجليل بن وهبون المرسى من بعض قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع * من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلدا * تراه قل ما يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوما على تلك البركة والماء يجرى من ذلك الفيل وقد أوقدت شمعتان من جانبيه والوزير أبو بكر بن الملح عنده فصنع الوزير فيها عدة مقاطيع بديها منها

ومشعلين من الاضواء قد قرنا * بالماء والماء بالدولاب منزوف
لاحا لعيني كالنجمين بينهما * خط المجرة ممدود ومعطوف

وقال أيضا

كأنما النار فوق الشمعتين سنا * والماء من نافذ الانبوب منسكب
غمامة تحت جنح الليل هامعة * في جانبيها خفاف البرق مضطرب

وقال أيضا

وأنبوب ماء بين نارين ضمنا * هدى لكؤوس الراح تحت الغياهب
كأن اندفاع الماء بالماء حية * يحركها في الماء لمع الحباحب

وقال أيضا

كأن سراجي شربهم في التظائها * وأنبوب ماء الفيل في سيلانه
كريم تولى كبره من كليهما * لئيمان في انفاقه بعد لانه

* (قال علي بن ظافر) خرج المعتصم بن صمادح صاحب المرية يوما الى بعض منتزهاته بحلة بروضة قد سفرت عن وجهها البهيج وتنفست من مسكها الاريج وماست معاطف أغصانها وتحلت بلالئ الطل أجياد قضبانها فتشوف الى الوزير أبي طالب بن غانم أحد وزراء دولته وسيوف صولته فكتب اليه بديهافي وريقة كرنب بعود من شجرة

أقبل أبا طالب الينا * واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى * مالم تكن حاضرا لدينا

(وجلس) يوما وبين يديه ساقية قد أخذت ببردها حر الأوار والتوى ماؤها التواء السوار فقال ارتجالا

انظر الى الماء كيف انحط في صببه * كأنه أرقش قد جد في هربه

* (قال علي بن ظافر) وذكر الفتح ما معناه قال خرج الوزراء بنو القبطرنة الى المنية المسماة بالبديع وهو روض قد أخضرت مسارح نباته واخضلت مساري هباته ودمعت بماء الطل عيون أزهاره وذاب على زبرجده بلور أنهاره وتجمعت فيه المحاسن المتفرقة وأضحت مقل الحوادث عنه مطرقة فخيول النسيم تركض في ميادينه فلا تكبو ونصول السواقي تصول لحسم أدواء الشجر فلا تنبو والزروع قد ثقبت وجه الثرى وحجبت الارض عن العيون

فلا تبصر ولا ترى وكان المتوكل بن أفطس يعده غاية الادب ويعده منبهة للطرب ومدفعة للكرب فبا توا فيه ليلتهم يديرون لمع الهب ويتمتعون فيه الخلود ويحتسون ذوب ذهب لا يبصر به مافى بطونهم حتى تركتهم ابنة الخابية كأنهم أعجاز نخل خاوية فلما هزم رومىّ الصباح زنجىّ الظلام ونادى الديك حىّ على المدام انتبه كبيرهم أبو محمد مستعجلا وأنشد مرتجلا

ياشقيقى وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه
فانتبه واغتنم مسرة يوم * ليس يدرى بما يجىء مساؤه

فانتبه أخوه أبو بكر لصوته وتخوف لذهاب ذلك الوقت وفوته وأنتبه أخوهما أبو الحسن وهو يرتجل

ياأخى قم ترى النسيم عليلا * باكر الراح والمدام الشمولا
لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا

فانتبه أخوه لكلامه رافضا لذة منامه للذة قيامه وقال مرتجلا

ياصاحبىّ ذرا لومى ومعتبتى * وبادرا قهوة من خير ما ذخرا
وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدى فى غد خبرا

* (قال علىّ بن ظافر) وركب الاستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحاب له فى نهر أشبيلية فى عشية سأل أصلها على لجين الماء عقيانا وطارت زوارقها فى سماء الماء عقبانا وأبدى نسيمها من الامواج والدارات سررا وأعكانا فى زورق يجول جولان الطرف ويسودّ اسوداد الطرف فقال بديها

تأمل حالنا والجوّ طلق * محياه وقد طفل المساء
وقد جالت بنا عذراء حبلى * تجاذب مرطها ريح رخاء
بنهر كالسجنجل كوثرىّ * تعبس وجهها فيه السماء

(واتفق) ان وقف أبو اسحاق بن خفاجه على القطعة فاستظرفها واستطابها فقال يعارضها على وزنها ورويها وطريقها فأنشد

ألا يا حبذا ضحك الحبا * بحانتها وقد عبس المساء
وأدهم من جياد الماء نهد * تنازع جبله ريح رخاء
اذا بدت الكواكب فيه غرقى * رأيت الارض تجذبها السماء

* (وذكر ابن خفاجة فى ديوان شعره) وقد أنبأنى به ذو النسبتين الحافظ أبو

الخطاب بن دحية اجازة قال صاحبت فى دهرى من الغرب سنة ثلاث وثمانين أبا محمد عبد الجليل بن وهبون شاعر المعتمد وكان أبو حفص بن رشيق يومئذ قد تمنع ببعض حصون مرسية وشرع فى الشقاق وقطع السبيل واخافة الطريق ولما حاذينا قلعته وقد احتدمت جمرة الهجير ومل الراكب رسيمه وذميله وأخذ كل منا يرتاد مقيله اتفقنا على أن لا نطعم طعاما ولا نذوق منا ما حتى نقول فى صورة تلك الحال وذلك الترحال ما حضر وشاء الله أن أجبل ابن وهبون فاعتذر فقلت أريض نار نزوته وأعرض بعظيم لحيته

ألا قل للمريض القلب مهلا * فان السيف قد ضمن الشفاء
ولم أر كالنفاق شكاة حر * ولا كدم الوريد له دواء
وقد دحى النجيع هناك أرضا * وقد سمك العجاج به سماء
وديس به انحطاطا بطن واد * قد اعشب شعر لحيته ضراء

* (قال ابن خفاجة) وحضرت يوما مع أصحاب لى ومعهم صبى متهم فى نفسه واتفق انهم تباروا فى تفضيل الرمان على العنب فانبرى ذلك الصبى فأفرط فى تفضيل العنب فقلت بديها أعبث به

صلنى لك الخير برمانة * لم تنتقل عن كرم العهد
لا عنب أمص عنقوده * ثديا كأنى بعد فى المهد
وهل ترى بينهما نسبة * من عدل الخصية بالنهد

فخجل خجلا شديدا وانصرف (قال) وخرجت يوما بشاطبة الى باب الشمارين ابتغاء الفرجة على خرير الماء بتلك الساقية وذلك سنة ثمانين وأربعمائة واذا بالفقيه أبى عمران بن أبى تليد رحمه الله قد سبقنى الى ذلك فألفيته جالسا على دكان كانت هنالك مبنية لهذا الشان فسلمت عليه وجلست اليه متأنسا به فجرى اثناء ما تناشدناه ذكر قول ابن رشيق

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الفرق
بعمامة من خده * أو خده منها استرق
فكأنه وكأنها * قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى * واذا رنا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا * رح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جدا وأثنى عليها كثيرا أحسن ما فى القطعة سياقة الاعداد والاستنزال لكنه قد استرسل فلم يقابل بين أطراف البيت الآخر والبيت الذى قبله فينزل بازاء كل واحد منها ما يلائمه وهل ينزل بازاء قوله واذا نطاق قوله شغل الحدق وكأنه نازعنى القول فى أن هذا غاية الجهل فقلت بديها

ومهفهف طاوى الحشى * خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة * تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى * واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغصا * مة والحمامة والقمر

فجن بها * (قال على بن ظافر) والقطعة الاولى ليست لابن رشيق بل هى لابى الحسين بن على بن بشر الكاتب أحد شعراء اليتيمة * (وبالاسناد المتقدم) ذكر بن بسام أن أبا عبد الله بن أبى الخصال وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه فحجبه فكتب اليه بديها

جئناك للحاجة المطول صاحبها * وأنت تنعم والاخوان فى بوس
وقد وقفنا طويلا عند بابكم * ثم افترقنا على رأى ابن عبدوس

أشار بهذا القول الى قول الوزير أبى عامر بن عبدوس

لنا قاض له خلق * أقل ذممه النزق
اذا جئناه يحجبنا * فنلعنه ونفترق

(قال ابن بسام) كان أبو عبد الله بن عائشة البلنسى مع ابن خفاجة فى جماعة من أهل الادب تحت دوحة خوخ منورة فهبت ريح اسقطت عليهم بعض زهر فقال ابن عائشة ارتجالا

ودوحة قد علت سماء * تطلع أزهارها نجوما
هفا نسيم الصبا عليها * فخالتها أرسلت رجوما
كأنما الجو غار لما * بدت فاغرى بها النسيما

* (وأخبرنى) أبو عبد الله محمد القرمونى المتقدم ذكره بدمشق قال كان بين السميسر الشاعر وبين بعض رؤساء المرية شئ لمدح مدحه به فلم يجزه عليه فصنع ذلك الممدوح دعوة للمعتصم بالله أبى يحيى بن صمادح احتفل فيها احتفالا يحتفل مثله فى دعوة سلطان مثل المعتصم فصبر السميسر الى أن ركب

السلطان متوجها الى الدعوة فوقف له فى الطريق فلما حاذاه رفع صوته قائلا

يا أيها الملك الميمون طائره * ومن لذى مأتم فى وجهه عرس
لا تقربن طعاما عند غيركم * ان الاسود على المأكول تفترس

فقال المعتصم صدق والله ورجع من الطريق وفسد على الرجل كلما عمله (قال على بن ظافر) أذكرتنى هذه الحكاية حكاية كنت نسيتها وقد تنبهت الآن لها كان عباد بن الحرش قد مدح رجلا من كبار أصفهان من أرباب الضياع والأملاك والتبع الكثير كنت أعرف اسمه ونسيته فمطله بالجائزة ثم أجازه بما لم يرضه فرده عليه وبعد ذلك بحين عمل الرجل دعوة عظيمة غرم عليها ألوف دنانير لابى دلف القاسم بن عيسى العجلى على أن يجئ اليه من الكرج فلما استحق المغرم خرج عباد ليلا ووقف بين الكرج وأصفهان ووصل أبو دلف فلما وقعت عين عباد عليه وهو يساير بعض خواصه أوما الى ذلك المساير له وأنشأ بأعلى صوته

قل له يا قرينه * قال عباد ذا سمج
حثت فى ألف فارس * لغداء من الكرج
ما على النفس بعد ذا * فى الدناءات من حرج

فقال أبو دلف وكان أخوف الناس من شاعر صدق والله أجئ من الكرج الى أصفهان حتى أتغدى والله ما على هذا مزيد من دناءة النفس ثم رجع من طريقه وفسد على الرجل كلما غرمه وعرف من أين أتى وتخوف أن يعود عليه عباد بأشد منها فسير اليه جائزة سنية مع جماعة فلم يقبل الجائزة ثم أنشد بديها فقال

وهبت يا قوم لكم عرضه * كرامة للشعر لا للفتى

فقالوا جزاك الله خيرا

لانه أحرص من ذرة * على الذى تجمعه فى الشتا

(قال على بن ظافر) وذكر أبو الصلت فى رسالته ما معناه انه عزم هو ورفقاؤه على الاصطباح فقصدوا بركة الحبش فى وقت ولاية الغيث وجاؤا منها روضا باسم زهره ونسم عطره فأداروها كؤوسا تطلع من المدام شموسا وعاينوها نجوما تكون لشياطين الهموم رجوما فطرب حتى أظهر الطرب

نشاطه وأبرز ابتهاجه وانبساطه فقال

قم نوى ببركة الحبش * والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياض مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مفوفة * دبج بالنور عطفها ووشي
قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش
فعاطني الراح ان تاركها * من سورة الهم غير منتعش
وأسقني بالكبار مترعة * فهن أروى لشدة العطش
فأثقل الناس كلهم رجل * دعاه داعي الهوى فلم يطش

(وأخبرني) الفقيه أبو الحسن بن المفضل المقدسي عن الفقيه الشريف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيي العثماني الديباجي عن أبي اسحق ابراهيم بن المنفق اللخمي السبتي عن أبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت كنت مع الحسن بن علي بن تميم بن معز بن باديس بالمهدية في الميدان وقد رمى بالنشاب فصنعت فيه بديها

في نسخة المتفق

يا ملكا قد خلقت كفه * لم تدر الا الجود والباسا
ان النجوم الزهر مع بعدها * قد حسدت في قربك الناسا
وودت الافلاك لو أنها * تحولت تحتك أفراسا
كما تمنى البدر لو أنه * أضحى لنشابك برجاسا

(أخبرني) الشيخ الاديب أبو الحسن علي بن خروف القيسي القرطبي رحمه الله قال صنع الوزير أبو جعفر أحمد وزير الرئيس أبي اسحق بن همشك صهر الامير أبي عبد الله محمد بن مروان في غلام أسود بيده قضيب نور بديها

وزنجي أتى بقضيب نور * وقد زفت لنا بنت الكروم
فقال فتى من الفتيان صفه * فقلت الليل أقبل بالنجوم

(وأخبرني) ان الاستاذ ابن الطراوة حضر مجلس شراب فعجز بعض الندماء عن الشرب كما يشرب الجماعة وسألوه في شرب نصيبه من بعض الادوار ففعل وقال بديها

يشرب بها الشيخ وأمثاله * وكل من تحمد أفعاله
والسكران لم يستطع رحله * تلقى على البازل أثقاله

(أنبأني) الشيخان تاج الدين بن اليمن الكندي وقاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم بن الحرستاني اجازة عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر قال وقد ذكر ابراهيم بن سعيد الاسكندري المعروف بالسديد وذكره لنا أبو عبد الله بن الحلي فيمن لقيه من أهل الادب قال كان صاعد قد عمل شخص حديد ينفخ النار ساعات فأراد السديد اختباره كما يجب فأطفأ النار فقال صاعد بديها

نار تيممها السديد فردها * بردا وكانت قبل وهي جحيم

فكأنما المنفاخ ايه ربه * وكأن ابراهيم ابراهيم

(وأنبأني) جميعا عن الشيخ الحافظ أبي القاسم قال أنشدنا أبو بكر عبد الله بن منصور قال أنشدنا أبو الحسن محمد بن علي بن الصفراء الواسطي لنفسه ارتجالا وقد دخل عزاء الصبي وهو في عشر المائة وبه ارتعاش فتغامز عليه الحاضرون فقال

اذا دخل الشيخ بين الشباب * عزاء وقد مات طفل صغير

رأيت اعتراضا على الله اذ * توفي الصغير وعاش الكبير

فقل لابن شهر وقل لابن ألف * وما بين ذلك هذا المصير

(وبهذا الاسناد) قال الحافظ أخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الغساني قال سمعت أبي ينشد لنفسه بديها في صفة نهر ثورا بحضرة أبي عبد الله محمد بن الخياط الشاعر

دمشق دار رعاها الله من بلد * ونهر ثورا سقاه الله من واد

كأنه ونسيم الريح تخدشه * نقش المبارد في سلساله الهادي

مزجت بالراح منه الراح فاكتسبت * لونا وطعما غريبا غير معتاد

في روضة من رياض الخلد باكرها * صوب الغمام بابراق وارعاد

ظللت فيها رخي البال مع رشا * مهفهف كقضيب البان مياد

(قالا) وأخبرنا الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي قال أنشدني أبو البركات الخضر بن هبة الله بن أبي الهمام لنفسه وكتبه لي بخطه مما أنشده وقد حضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله بن المسترشد على البديهة

ولما شأوت الحاسدين الى مدى * رفيع تزل العصم دون مرامه

ورفعت الاستار لي دون ماجد * شفا غلتي من بشره وسلامه

سطوت على صرف الزمان بجوره * وصلت على كيد العدا باتقامه

(وأخبرني) الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي القرموني قال لما أفرط أبو يحيى البكاء في هجاء أهل فاس تعصبوا عليه وساعدهم واليهم مظفر الخصي من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف والقائد عبد الله بن خيار الجياني وكان يتولى أمور السلطانية بها فقدموا رجلا ادعى عليه بدين وشهد عليه به رجل فقيه يعرف بالزناتي ورجل يكنى بأبي الحسين من مشايخ البلد فأثبت الحق عليه وأمر به الى السجن فرفع اليه وسيق سوقا عنيفا فلما وصل بابه طلب ورقة من كاتب وكتب فيها وأنفذها الى مظفر مع العون الذي أوصله الى السجن فكان ما كتب

ارشوا الزناتي الفقيه بيضة * يشهد بأن مظفرا ذا يضتين

واهدوا اليه دجاجة يحلف لكم * ما نال عبد الله عرس أبي الحسين

(وأخبرني) الشيخان تاج الدين العلامة أبو اليمن الكندي والشيخ جمال الدين أبو القاسم بن الحرستاني اجازة عن الشيخ الحافظ أبي القاسم ابن عساكر قراءة عليه قال بلغني ان علقمة بن عبد الرزاق العليمي لما قصد بدر الجمالي بمصر رأى على بابه أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم فسألهم عن حالهم فكل أخبره عن طول مقامه ببابه وتعذر لقائه له وسألوه عن حاله فأخبرهم بقدومه قاصدا له فكل أيسه من لقائه فبينا هم كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فلما رآه مقبلا علا نشزا من الارض ثم جعل في عمامته ريشة نعام ليشهر بها نفسه فلما قرب اليه أومأ برقعة كانت معه وأنشأ يقول

نحن التجار وهذه أعلاقنا * درر وجود يمينك المبتاع

قلب وفتشها بسمعك انما * هي جوهر تختاره الأسماع

كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع

فأتاك يحملها اليك تجارها * ومطيها الآمال والأطماع

حتى أناخوها ببابك والرجا * من دونها السمسار والبياع

فوهبت مالم يعطه في دهره * هرم ولا كعب ولا القعقاع

وسبقت هذا الناس في طلب العلا * فالناس بعدك كلهم أتباع

يابدر أقسم لو بك اعتصم الورى * ولجوا اليك جميعهم ماضاعوا

قال

قال وكان على يده باز فدفعه الى البازدار فضرب على يده وانفرد به عن الجيش وجعل يستعيده الابيات وهو ينشدها الى أن استقر فى مجلسه ثم التفت الى جماعة غلمانه وخاصته وأصحابه وقال من أحبنى فليخلع على هذا الشاعر قال علامة فوالله لقد خرجت من عنده ومعى سبعون بغلا تحمل الخلع وأمر لى بعشرة آلاف درهم فخرجت فقلت لمن ببابه الحقونى بالمخلفين فلحقونى باجمعهم فما فيهم الامن خلعت عليه ووهبت له من جائزتى (وذكر) القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين الآمدى النائب كان فى الحكم بالاسكندرية قال دخلت على الامير السعيد بن مظفر فى أيام ولايته بالثغر فوجدته يقطر دهنا على خنصره فسألته عن سببه فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه فقلت له الرأى قطع حلقته قبل أن يتفاقم الامر فيه فقال أخترمن يصلح لذلك فاستدعيت أبا منصور ظافر بن القاسم الحداد فقطع الحلقة وأنشد بديها

قصر فى أوصافك العالم * وأكثر الناثر والناظم
من يكن البحر له راحة * يضيق عن خنصره الخاتم

فاستحسنه الامير ووهبه الحلقة وكانت من ذهب وكان بين يدى الامير غزال مستأنس قد ربض وجعل رأسه فى حجره فقال ظافر

عجبت لجرأة هذا الغزال * وأمر تخطى له واعتمد
وأعجب به اذ غدا جاثما * وكيف اطمأن وأنت الاسد

فزاد الامير والحاضرون فى الاستحسان وتأمل ظافر شباكا على باب المجلس تمنع الطير من دخوله فقال

رأيت ببابك هذا المنيف * شباكا فأدركنى بعض شك
وفكرت فيما رأى خاطرى * فقلت البحار مكان الشبك

(وأنبأنى العماد بن حامد) قال وفد أبو الصقر الواسطى على نظام الملك رحمه الله فحجب عنه فكتب اليه بديها

لله درك ان دارك جنة * لكن خلف الباب منها مالكا
هذا نظام الملك ضد المقتضى * قد كان يروى عن جهنم ذلكا
أنعم بتيسير الحجاب فاننى * لاقيت أنواع النكال هنالكا
مالى أصادف فى رحابك جفوة * وأنا غنى راغب عن مالكا

قال فلما أذن له قال له اذا كنت غنيا عن مالنا فانكف عنا فقال كلا أنت شافعي المذهب وقد جئتك لمذهبك لا لذهبك (وأنبأني العماد أيضا) قال ذكر عمارة في كتابه في اشعار أهل اليمن قال وهب الداعي محمد بن سبا الابن سلمان رجل من قومه ألف دينار والقاضي يحيي بن أحمد بن يحيي حاضر وبنو يحيي بيت كبير بصنعاء فارتجل القاضي لوقته

لا تخرالا اذا أقبلت مستلما * كف المكين ظهير الدين مولانا

هي التي تهب الآلاف وافية * ان كنت غرا فسل عنها ابن سلمانا

فقال الداعي انا أبو عبد الله أما ابن سلمان فهو ابن عمي وانما المسئول عنها أنت ثم أمر له بألف دينار فقبضها في الحال (وذكر) عبد الرحمن بن نصر الدمشقي في كتابه المسمى بالتحفة والطرفة أن الوزير المزدقاني خرج للتنزه فرأى امرأة في بعض القصور فأعجبته فوقف متأملا لها فأشارت اليه فأنس منها قبولا فأرسل اليها رسولا يعلمها بشدة شوقه ووجده بها فردت رسوله ومعه تفاحة عنبر فيها زر من ذهب ولم تكلمه بشئ فلم يفطن هو ومن حضره لتأويل ذلك فقال له ابنه أحمد قد فهمت ما أرادت ونظمه في الحال في بيتين وأنشد

أهدت لك العنبر في جوفه * زر من التبر خفي اللحام

فالزر في العنبر معناهما * زره كذا مختفيا في الظلام

(وأنبأني الفقيه) أبو الحسن بن المفضل المقدسي قال أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن القرطبي الانصاري قال عمل والدي محملا للكتب من قضبان شبه سلما فدخل عليه أبو عبد الله محمد بن مفيد فرآه فقال ارتجالا مخبرا عن لسان حال السلم

أيها السيد الذكي الجنان * لا تقسني بسلم البنيان

فضل شكلي على السلالم أني * محمل للعلوم والقرآن

حزت من حلية المحبين ضعفي * واصفراري ودقة الابدان

فادع للصانع المفيد بفوز * ثم وال الدعاء للاخوان

ثم عمل أيضا

أيها السيد الكريم المساعي * التقت صنعتي وحسن ابتداعي

أنا للكتب محمل خف حملي * أنا في الشكل سلم الاطلاع

قوله المزدقاني بالزاي وفي نسخة بالراء وحرر

(وأنبأني الفقيه) أبو محمد عبد الخالق السبكي قال أنشدني تاج الدين المسعودي أبو سعيد عبد الرحمن قال أنشدني ظهير الدين أبو النجيب الحسن بن شهراسوب القاضي أبو بكر الارجاني وقد دخل عليه من طمع في طيلسانه فقال ارتجالا

حسبك مني بأنني خلعة * أمسك عن نشر مساويكا
في طيلساني لاتكن طامعا * طي لساني عنك يكفيكا

(وقد أخبرني) العماد أبو حامد أنه سمع جميع شعر القاضي أبي بكر على ابنه عنه وطلب مني قراءته عليه فلم أتفرغ له وأجازنيه في جملة ما أجازني روايته عنه

(وأخبرني) القاضي الوجيه الحسين بن أبي منصور بن حران الواسطي قال كنت مع خالي نجم الدين بن أبي الغنائم بن المعلم الهرثي على طعام فأنهى اليه أن ظهير الدين محمود بن محمد بن برداسياضا من بلاد واسط قد طرح على قرى كانت في ملكه عدة اكرار أرز فناولني درجا ثم قال لي اكتب فكتبت

أيه ظهير الدين انك في ندى * وو غى كغيث جدا وليث عرين
واذا امرؤ ضاقت عليه أموره * وكأنه في حلقة التسعين
ودعاك انفرجت سجون صعابها * عنه بأبلج شامخ العرنين

ثم أتبعها رسالة املاها اليه وأرسلها (وأنبأنا) العماد الاصفهاني اجازة قال اجتمعت أنا والمرتضى بن أبي المؤيد الجعفري الاصفهاني تجري بيننا في المحاورة ذكر رجل يقال له ابن عمرو وكان ينسب الى كبر فنظم الجعفري بديهة يخاطب جمال الدين بن الخجندي فقال

أيها الصدر كم نشيع فينا * من تخيرنه بمالبس فيه
واذا ماعددت أبناء فضل * فابن عمرو كمثل واو أبيه

(وأنبأنا) أيضا قال أخبرني أكرم الدين أبو سهل خازن دار الكتب بالنظامية قال دخل علي عزيز بن محمد الشلمكي دار الكتب وبيده عصا فقلت ان العصا للشيخ رجل ثالثة فقال بديها

ضعف جسمي للشيب * لم يضع مني وقارا
صار حالي عبرة العا * قل ان رام اعتبارا
العصا صارت حماري * ولها صرت حمارا

قوله الشلمكي في نسخة بتقديم الميم على اللام اه

(قال علي بن ظافر) وأخبرني بعض أصحابنا ان أبا القاسم بن هانئ الشاعر المحدث قد هجا الاجل الموفق أبا الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشاء والمكاتبات هجاء اتصل به وأضمر له الحقد بسببه مع افراط جلالة الرجل وفرط رياسته وحسن معاشرته للناس وسياسته واتفق بعض المواسم التي جرت عادة ملوك مصر بالجلوس فيه لاستماع المدائح وبذل المنائح وزف بنات القرائح فجلس الحافظ لذلك وحضر خواصه في ظاهر الرواق على مراتبهم فانتهت النوبة في الانشاد الى أبي القاسم بن هانئ فأنشد ما اهتزت له المعاطف وفض ختام روضة ليس لها الا القلب والسمع جان وقاطف فمال الحافظ الى القاضي الموفق متعجبا وقال له كيف تسمع فاستحسن واستجاد حتى نسبه الى الاعجاز أوكاد وهو في خلال ذلك يصنع صنع المخاتل ويحاول قرطسة المقاتل فسأله الحافظ عن الرجل فأثنى على أدبه وثنى بنسبه حتى أوهمه الاعتناء به ثم قال ولو لم يكن له مما يعتد به الا انتسابه الى أبي القاسم بن هانئ شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها لكفى فكيف وفيه هذا الادب الغض النضير والشعر الذي لا نِدَّ له ولا نظير لولا بيت أظهره منه الفجر عند دخوله هذه البلاد فقال له الحافظ ما هو فتحرج من انشاده وامتنع من ايراده فأبى الحافظ الا أن يورده ففي أثناء ذلك صنع هذا البيت وأنشده

تبا لمصر فقد صارت خلافتها * عظماء تنتقل من كاب الى كاب

فعظم ذلك على الحافظ وأمر بقطع صلته وكاد ان يفرط في عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته طول مدته (قال علي بن ظافر) وأخبرني الفقيه أبو محمد عبد الخالق المسكي قال أخبرنا تاج الدين أبو سعيد وهو أبو عبد الله أيضا محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي قال جاء رجل الى أبي نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن شمر الصفدي يمي وكان قاضي بلد تعرف بخمس القرى وكان من العلماء الفضلاء فقال له في معرض الدعابة والمزاح أشهد علي اني قد وقفت معدتي على سائر ألوان الطعام فقال قد شهدت فقال عجل لي فأمر كاتبا فكتب كتاب وقف فلما قدم اليه كتب في موضع الشهادة هذه الابيات قال وكان ارتجلها ما بين ابتداء الكتاب وفراغه وهي

يقول أبو نصر المبتلي * بأمر القضاء بخمس القرى

أقسر بعضه ونه طائما * أبو الا كل مائة ثم بن القرى
وحليته صاحب الطيلسان * مديد الحوايا قصير القرى

(وأخبرنى) الفقيه الحافظ بن دحية قال دخلت على الوزير الفقيه الاجل أبى بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور السلمى فوقع الكلام فى علوم لم تكن من جنس فنونه فقال بديها

أيها العالم أدركنى سماحا * فلمثلى يحق منك السماح
ان ترانى اذا نطقت عييا * فبنانى اذا كتبت وقاح
أحرز الشأو فى نظام ونثر * ثم أثنى وفى العنان جماح
فيهزل كما تأود غصن * وبحد كما تسل الصفاح

(وأخبرنى) أيضا قال دخلت عليه منزله بمدينة شاطبة فى اليوم الذى توفى فيه وهو يجود بنفسه فأنشد بديها

أيها الواقف اعتبارا بقبرى * استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعونى بطن الضريح وخافوا * من ذنوب كلومها بأديمى
تركونى بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

(وأخبرنى) القاضى الاعز بن المؤيد المقدم ذكره عن أبيه بما معناه قال كنت بمجلس الملك الصالح فى يوم أسدل الجو به ستور الغمام واختفت الشمس فيه اختفاء النور فى الكمام ونثرت السماء درر البرد نثرا عم الربا والاكام حتى وصل الى اطراف بسط المجلس فصنع القاضى الموفق بن قادوس قطعة شذت عنى لبعدى عنها الاقوله منها

ولكن أتتك ثغور السحاب * تقبل بين يديك البساطا

(وأخبرنى) أيضا رحمه الله قال أخبرنى أبى بما معناه قال كنت فى مجلس فارس المسلمين أخى الصالح وقد نصب سماط بمجلسه لخواصه ونصب سماط آخر فى بعض المجالس لجماعة من أمراء العرب وفى جملتهم الامير ابراهيم بن شادى بن مرجان وهو يومئذ يهتز كالغصن الممطور ويابز كالظبى المذعور وقبل أن يصير أحد الامراء الامجاد والكرماء الانجاد قال فبصرت أنا والامير علم الدولة حاتم بن العسقلانى به وقد كشف عن معصمه وهو ينشف عن مخه ودمه فكأنه عمود بلور تندى وقد حشى وردا ووجهه تحت لثامه

كالبدر خلف غمامة قال فصنع بديها

سلمت من فتنة العيون * فارحم فتى هام بالفتون
قلبي بلي من بلى بظبي * يختلس الليث في العرين
مذ عقد القاف حل مني * عقدة عزمي وعقد ديني
يقول والقلب في هواه * بلا مجير ولا معين
ان كنت فردا بحسن وجه * وكنت من ذا على يقين
فاخلع ثيابي وانظر تشاهد * عساكر الحسن في الكمين

(وأنبأني) العماد أبو حامد قال أنشدني أبو السعادات علي بن بختيار لنفسه في البرغوث والبق وقد اقترح عليه بحضرة جماعة من الفضلاء فقال بديها

ولما انتحى البرغوث والبق مضجعي * ولم يك من أيديهما لي مخلص
صفقت بكفي اذ مدامتها دمي * فزمر هذا وابتدا ذا يرقص

قال العماد وقد كنت عملت أبياتا ارتجالا لا أصف بها ليلة بتها بنهر دفلا فقلت

يالحا الله ليلة قرصتني * في دياجيرها البراغيث قرصا
شربت بقها دمي فتغنت * وبراغيثها تواجدن رقصا
قد تعريت من ثيابي لقرصي * غير اني لبست منهن قمصا
كلما زدت منهن بحرص * عن فراشي شربن فازددن حرصا
من براغيث خلتها طائرات * طائرات جناحها قد قصا
عرضت جيشها الفريقان حولي * وهي أوفى من أن تعد وتحصى
لوغزا سنجر بها الغز يوما * لم يدع منهم على الارض شخصا

ومثل هذا ما أنشدنيه الحافظ ذو النسبتين أبو الخطاب بن دحية الحضرمي

ضاقت بلنسية بي * وذاد عني غموضي
رقص البراغيث فيها * على غناء البعوض

ومما أنشدنيه أيضا للسميسر

بعوض شربن دمي قهوة * وغنينني بضروب الاغاني
كأن عروقي أوتارهن * وجسمي الرباب وهن القناني

وأحسن من هذا كله قول ابن رشيق القيرواني

الك مجلس كملت بشارة لهونا * فيه ولكن تحت ذاك حديث

غنى الذباب فظل يزمر حوله * فيه البعوض ويرقص البرغوث

وأسبق من هؤلاء الى هذا المعنى أبو أحمد بن أيوب من شعراء التيمة فى قوله

لا أعذل الليل فى تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص

اذا تغنى بعوضه طربا * أطرب برغوثه الغنا فرقص

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن الطوسى المعروف بابن السيورى قال دخلت على الاديب الاعز أبى الفتوح بن قلاقس وهو مريض فقال قد صنعت بيتين بديها فى الحمى ووصفتها بأحسن من صفة أبى الطيب فاستنشدته اياهما فأنشدهما

وبغيضه تدنو وما دعيت * فتبيت بين الجلد والكبد

يصبو الفؤاد لبينها فاذا * ولت بكاها سائر الجسد

(وأخبرنى) الفقيه أبو الحسن على بن المقدسى قال كنت معه يعنى ابن قلاقس فمر بنا صبى صبيح معروف الاسم فى ثوب أحمر وعمامة زرقاء فاستحسنه الحاضرون فصنع فى الحال

هذا أبو الفضل بدر الارض قد شهدت * صفاته أنه كالبدر فى الافق

لما تعمم تيها بالسماء بدا * وفوق أعطافه ثوب من الشفق

ولا تقل لاح فى خديه عارضه * فانما هو تأثير من الفسق

وأخبرنى أبو عبد الله المنجم بن الصواف قال دخل منزلى الاديب الأعز أبو الفتوح بن قلاقس وجماعة من أصحابنا فأحضرت اليهم بطيخة صفراء وشققتها وفرقتها عليهم فارتجل الأعز

أتانا الفقيه ببطيخة * وسكينة قد اجيدت صقالا

فقطع بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالا

(وأخبرنى) القاضى الأعز بن الوليد عن أبيه قال كنت عند الامير شمس الملك نبهان بن عين الزمان وعنده الاعز بن قلاقس وجماعة ممن يجالسه وعنده مغن يقال له الحسام وهو ابن صاحب ربع المشهور فجعل يغنى ببليقة لحسام الدين الاسكندرانى فى هجاء ابن قلاقس أولها

اسألوا عنى فتوح بن قلاقس

كيف رأى ضرب الشلوح بالدرافس

فجزع علي بن قلاقس مافعله وأوهم أنه يمضي الى بيت الخلاء فقام ثم عاد مسرعا فوقف على باب المجلس وقال

ليس الحسام حساما * وانما هو غمد
يشدونكم من فؤاد * تحت السماط يشد
قد قلت اذ تاه فينا * تبظرا مالا يحد
خرا عليك ولو ان معبدا لك عبد

فكأنما ألقمه حجرا (وأخبرني) الانجب السخاوي الساكن بالاسكندرية قال لما وصل الاديب الاعز بن قلاقس من صقليه وكان قد انتجع أبا القاسم بن الحجر فانبجس بعيون العطاء وانفجر خرج للسلام عليه جميع معارفه وخرجت في جملتهم فلما نزل من المركب وأخذنا في السلام عليه اذ بأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الصلاح قد خرج فحين وقعت عينه عليه أي على الاعز أنشد مرتجلا

أظل هلال الفاسقين فلا أهلا * ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا

ثم انصرف وتركنا متعجبين لسرعة بديهته وقلة وفائه (وأنبأني) العماد أبو حامد رحمه الله قال جرى بين يدي القاضي الفاضل رحمه الله يوما ذكر حب الصغير فارتجل هذه الابيات

طفل كفاه القلب داراله * كأنما القلب له قالب
كيوسف الحسن وقلبي له * سجن ومالم له صاحب
أصبح والقلب لباس له * لاقاصر عنه ولا ساحب
وهو بعيني وهو انسانها * وهي له من خارج حاجب
ضاق به ضيق عناقي له * فلم يسع ماقاله العاتب

(قال) وجرى بين يديه يوما ذكر سيوف السلطان الملك الناصر رحمه الله فارتجل قطعة علق بحفظي منها

ماضيات على الدوام دوامي * هي في النصر نجدة الاسلام
في يمين السلطان اذ جردتها * أشبهتها صواعق في غمام
تنثر الهام كالحروف فما أشبه هذي السيوف بالاقلام
في محاريب حربه البيض حلت * وركوع القنا سجود الهام

قوله تبظر ماهو كاتحصرم وزنا ولم أقف له على معنى لعدم وجوده في القاموس كتبه مصححه

(واخبرني

(وأخبرنى) السعيد أبو القاسم بن سنا الملك رحمه الله قال خرجنا للقاء القاضى الفاضل رحمه الله تعالى فى بعض قدماته من الشام فلقيناه وعدنا فلما كنا فى سطح الخشبى عن ظنى للموكب فركض خلفه المكين ابن حيون طامعا أن يلحقه وكان مثل هذا الفعل لا يليق به لانه ليس من أهله ولان الصدر المتلقى لا ينبغى أن يغلط بين يديه مثله فعجب الفاضل منه واتفق ان فاته الصيد الذى طلبه وسقطت مقرعته من يده ورجع الى الموكب وعليه انكسار الفوات وخجل الغلط فارتجل الاجل الفاضل

يا عاديا عذ والسفيـــه * وعائدا عود الحليم

ضيعت مقرعة وعد * تسمها من غير ميم

(قال) وأخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد الأبى وكان كثير الصحبة للاجل الفاضل فى صدر عمره أيام كونه بالاسكندرية قال كان يصحبه رجل يعرف بابن بليمة ولا يكاد يفارقه وكان يحضر عنده رجل مغن من أهل الثغر يعرف بشهاب وكان يغنى الموشحات فغنى ليلة واتفق أن نعس ابن بليمة فأنبه فضرط فضحك الاجل الفاضل فارتجل

تغنى شهاب لنا ليلة * غناء له هجع السمر

فأعجب هذا ابن بليمة * فأقبل من دبره يشعر

(وأخبرنى) الفقيه شجاع الغزالى المقدم ذكره قال مضيت أنا ونشو الملك على ابن مفرج بن المنجم المقدم ذكره الى دار الكامل شجاع بن أمير الجيوش بن شاور آخر وزراء الدولة المصرية ومن كان انقضاؤها على يده ومعنا قصيدتان قد امتدحناه بهما فى بعض الاعياد فرأينا رماحا قد عملت برسم الموكب وجعل عليها مكان اللهازم أهلة من ذهب فقال نشو الملك قد وقع لى فى هذه الرماح معنى فصنع فى الحال

فعال الكامل الملك المرجى * على ما فيه من فضل أدله

فخار ماحه نحو الاعادى * فكل قد صنعناه بها وعله

ولم يرض النجوم لها نصالا * فنصلها هنا لك بالأهله

ثم كتبها وبعث بها الى الكامل فخرجت جائزته فى الحال (وأخبرنى) الفقيه الوجيه أبو الفضل جعفر بن جعفر الحوى المقدم ذكره قال كان بمصر صبى

مستحسن وضيء الوجه اسمه أسد قد شغف به رجل اسمه الفار ووقع بينهما ما أدى الرجل الى أن قتل الصبي وهرب وخاض الناس في أمره وأكثروا الحديث فيه فجلست يوما بسوق الكتب اذا بابن المنجم قد مر راكبا فحين رآني ثنى رجله على معرفة فرسه ووقف للحديث فرعانا في اثناء ذلك شاب مشهور بجمال وانتماء الى أهل الادب فأنشدنا مرثية زعم أنه رثى بها الصبي القتيل فصنع ابن المنجم في الوقت

ولم أر قبله أسدا قتيلا ✻ لفأر ظل يرثيه غزال

(وأخبرني بعض أصحابنا) قال قال لي نشو الملك بن المنجم ما رأيت أوقح ولا أحضر جوابا من أبي الحسن بن الذروي يعني المقدم ذكره رحمه الله مر بي يوما وهو راكب بغلا وبين يديه عبد له فصنعت في الحال

قل لمن تاه حين مر علينا ببغله
بعد ان كان ليس يملك شسعا لنعله
سقت قدامك الغلام بجزاء بفعله
هكذا كل شاعر ✻ بغله خلف بعله

ثم كررت مسرعا الحقه فتأخر غلامي عني لاجل اسراعي واستوقفته وجعلت أنشده وهو يحسن الاستماع حتى انتهيت فقال ليس كل شاعر كذلك ها أنت شاعر وبعلك خلف بغلك فخجلت والله وانصرفت (وأخبرني) الفقيه القاضي أبو موسى عمران الخندقي رحمه الله قال دخلت أنا وجماعة من أصحابنا على الوجيه الذروي المذكور وهو وجماعة من أصحابنا يشربون فزحمنا وداعبناهم فصنع بديها

ويوم قاسمتنا اللهو فيه ✻ أناس ليس يدرون الوقارا
أدرنا الصفع والكاسات فيه ✻ فعربدت الصحاة على السكارى

(وأخبرني) الفقيه العفيف شجاع العربي المقدم ذكره قال اجتمعت مع الوجيه أبي الحسن بن الذروي والاديب نشو الملك بن المنجم وجعفر القرشي المنبوز بشلعلع المقدم ذكرا لجميع عند القاضي الاسعد بن الخطير بن مماتي في بستانه فمدحته بقطعة لاحسان كان منه الي وكتبتها في ورقة كرم فحين وقف عليها صنع بديها

أطربنا شعر العفيف الذي * قد فاق في النبل وفي الفهم
لو لم يكن يسكرنا شعره * ما صاغه في ورق الكرم

(قال علي بن ظافر) وكنت يوما عند الامير عضد الدين أبي الصوارم مرعف ابن الامير مجد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ فدخل عليه رجل من بقايا جند مصر يعلم الرمي بالنشاب واسمه الليث بن دبوس وهو معبس الوجه كالحه ثاني العطف جامحه فقال الامير داعبه بديها

أصبح الليث يوافي * شنا بتعبيس وتيه
فتى انظر في يا * فوخه اسم أبيه

فاستحسنت البيتين ثم صنعت في معناهما بعد ذلك بحين وزدت عليه

قد جاءنا الليث بن دبوس على * عادته في الانقباض ورسمه
فتى أرى اسم أبيه في يافوخه * ومتى أرى ناب اسمه في جسمه

وهذه طريقة بديعة ومن أحسن ما سمعت فيها قول السلامي في صبي يعرف بابن برغوث

بليت ولا أقول بمن لأني * اذا ما قلت من هو يعشقوه
غزال قد نفى عني رقادي * فان غمضت أيقظني أبوه

وللصاحب بن عباد في مغن يعرف بابن عذاب

أقول قولا بلا احتشام * يفهمه كل من يعيه
ابن عذاب اذا تغنى * فانني منه في أبيه

ولابي الوليد النحلي الاندلسي خبر يدخل في بدائع البدائه (قال) ابن طوفان دعا أبي أبا الوليد فلما قضوا وطرهم من الطعام جلست أسقيهم وجعلت أترع له الكاسات فلما مشت فيه سورة الحميا ارتجل قائلا

لابن طوفان أياد * قل فيها مشبهوه
ملأ الكاسات حتى * قيل في البيت أبوه

وللمعقبل من شعراء كتاب الذخيرة لابن بسام في شاعر يعرف بابن القراء

فاذا ما قال شعرا * نفقت سوق أبيه

(أخبرني الفقيه) تقي الدين العوني الشاعر المعزي الى ميافارقين سنة ثلاث وستمائة قال اقترح صاحب قرقيسيا الملك المظفر محمود بن عماد الدين زنكي علي

وعلى جماعة كانوا على بابه من الشعراء أن يعمل له فى سرج ما يكتب عليه فصنعوا وصنعت بديها

فقت السروج فسكى المسك رائحة * بغير شك كما عودى هو العود
تحتى البراق متى رمت اللحاق ومن * فوقى خليفة هذا العصر محمود

قال فاستحسنه وأجازنى (وأخبرنى) موفق الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر بن عبيد الله البغدادى بحران قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن جمل صاحب الجرمى لنفسه ارتجالا

وعروس خدر حين يبرزها * تسطو كأن فؤادها لاهب
خلع المزاج على معاطفها * ثوبا كأن شعاعه ذهب
وأراد يجلوها فصاغ لها * تاجا ورصع تاجها الحبب

(وأخبرنى موفق الدين) أبو الحسن على بن محمد البغدادى الساكن برأس العين قال كنت فى خدمة السلطان الملك الاشرف أبقاه الله بدمشق فدخل عليه الرشيد عبد الرحمن النابلسى الشاعر الملقب مدلويه وعلى عينه خرقة فجرت بينى وبينه معاتبة فقلت بديها

ان أظلمت عين مدلويه فمن * كثرة نقض العهود والذمم
يقسم أن لا يخون صاحبه * وهو يصر الفجور فى القسم
لو خلق الشعر قيل مسترق * واللص يمنى بكثرة التهم
أو شرب المسكرين فى حلب * كرسه بعض ابله لعمى
ولو يكون المجير بعدهما * جارمى بالعمى وبالصمم

(قال على بن ظافر) المسكران المشار اليهما النبيذ والصفع والمجير رجل من ندماء الملك الظاهر كان كثير العبث بالمذكور فى مجلس الملك الظاهر وهو الذى غناه الاديب شرف الدين الحلى صاحبنا بيتين من قوله وكتب بهما الى الرشيد المذكور الى دمشق أنشدنيهما الموفق عنه وهما قوله

قدم العزم يا رشيد وبادر * فلقد آن من نوالك الحضور
ما بقى على قذالك نطع * تاب سلطاننا ومات المجير

(وأخبرنى الشهاب) بن أخت نجم الدين بن المجاور المقدم ذكره قال حضر ابن عنين الشاعر الدمشقى وابن الرومى البسام عند خالى فتذاكرت معه فى تشبيه

الثغر بالثريا فاذكر قول لابن ثم أنشد

يا غزالا أرى الغواية رشدا * فى هواه والرشد فى الحب غيا

ما رأينا قبل ابتسامك بدر التم يفتر عن نجوم الثريا

(وأخبرنى) القاضى الاعز بن المؤيد المقدم ذكره عن العماد بن ناصر الدولة رحمه الله قال اجتمعنا ليلة بدمشق فى دعوة غناء ومعنا ابن عنين وعمر غلام الحكيم بن المطران فأخذنا فى الحديث باستحسانه واستعظام أمره فى الحسن وشانه وتمنى الوصول الى وصاله وتشهى الاستمتاع بجماله فقال له بعض الحاضرين نبه لها عمر فأطرق ثم أنشد بديها

وحاجة بت أشكوها الى ثقة * وقد تزاحمت الاشجان والفكر

فقال لى مشفقا نبه لها عمرا * فقلت واخيبتى ان لم ينم عمر

وعمر هذا هو الذى يشير اليه ابن عنين فى قصيدته المسماة مقراض الأعراض التى عم فيها أهل دمشق بالهجاء وأولها

أضالع تنطوى على كرب * ومقلة مستهلة الغرب

ومنها يعنى الحكيم بن المطران

ترى أرى سيدى الموفق يختال لنا فى عراصها الرحب

يمشى الهوينا وخلفه عمر * يختال مثل المهاة فى السرب

وسيدى قلما يشاكله * فى الناس الا تنظرم الرحبى

المدعى أنه بحكمته * علم بقراط صنعة الطب

(وأخبرنى) الاعز بن المؤيد رحمه الله أنه حضر عند بعض الرؤساء فناوله شمامة ريحان وورد فصنع فى الحال

سيدا قد أسدى لنا من أياديه فعالا تنزه الابصارا

قرنت راحتاك بالورد ريحا * نا فأهدت الى الخدود عذارا

(قال على بن ظافر) دخلت يوما على القاضى الفاضل رحمه الله فجرى فى مجلسه من فنون المذاكرة ما اداه الى أن قال كان الرشيد أحمد بن الزبير قد اجتمعت فيه صفات واخلاق تقتضى أن تجود معانى الهجاء فيه من ذلك أنه كان أسود ولا يزال يدعى الذكاء وان خاطره من نار فقال فيه ابن قادوس

ان قلت من نار خلقت * وفقت كل الناس فهما

قلنا صدقت فالذى * أطفاك حتى صرت فحما

وأرسل الى اليمن ولقب علم المهتدين فقال فيه بعض الشعراء من قطعة يخاطب الخليفة

بعثت لنا علم المهتدين * ولكنه علم أسود

يعنى ان الاعلام السود انما تكون للعباسيين وأعلام تلك الدولة بيض وتولى مطابخ الخليفة فقال فيه بعض الشعراء يخاطب الخليفة

تولى على الشئ اشكاله * فصب هذا لهذا أخا

تولى على المطبخ ابن الزبير * تولى على مطبخ مطبخا

وكان يتنافر فى سوق الشعر ويسترق المعانى فقال فيه ابن قادوس

سلخت اشعار الورى جملة * حتى دعوك الاسود السالخا

فاخذ الاسعد بن الخطير يستحسن هذه القطعة فقلت له كما تقول الا أنه لحن فى قوله الاسود السالخ فانما يقال أسود سالخ وسام أبرص فاللحن يقيم الوزن والصواب يكسره فهو بين خطتى خسف فأخذ فى المشاغبة الى أن قال من أين نقلت هذا فقلت أحضر شاهدى عندك الساعة كتاب الحيات من كتاب الحيوان للجاحظ فقال الجاحظ ليس من أهل اللغة ونقله فى هذا الموضع لا يسمع فقال الاجل الفاضل دع هذا فالصواب معه وهذا مجمع عليه ولكن عرّفنا كيف كان يصنع حتى ينظم المعنى فقلت يترك هذا الوزن وينظمه فى وزن يستقيم عليه الصواب فقال انظمه لنا فقلت ارتجالا

وسلخت اشعار البرية كلها * حتى دعيت لذاك أسود سالخا

فقال مثلك يقول لذاك فقلت حتى دعاك الناس فقال انما كنت أريد أن تنظمه أخصر من بيته ودخل عليه من انقطع طلبه لدخوله فلما سكن المجلس قال تعرف له وجها يذهب النقد عنه ويخلصه من الطعن عليه قلت مولانا اعلم فقال انه حكى عن الناس تلقيبهم اياه بالاسود السالخ فكأنه لحن على الحكاية لا لأنه حكى عنه هذا فاستحسناه وان لم يكن صحيحا من الاعذار ثم خرجت فلقيت الاسعد بن عبد الرحمن بن شيث فحكيت له الحكاية فقال لما طلب منك اختصاره كنت تقول وقال على الفور

وسلخت اشعار الورى * فدعوك أسود سالخا

(قال علي بن ظافر) بت ليلة أنا والشهاب يعقوب ابن أخت نجم الدين في منزل اعترفت له مشيدات القصور بالانخفاض والقصور وشهدت له ساميات البروج بالاعتلاء والعروج قد ابيضت حيطانه وطاب استيطانه وابتهج به سكانه وقطانه والبدر قد محا خضاب الظلماء وجلا محياه في زورقه قناع السماء وكسا الجدران ثيابا من فضه ونثر كافوره على وجه الثرى بعد ان سحقه ورضه والروض قد ابتسم محياه ووشت باسرار محاسنه رياه والنسيم قد عانق قامات الغصون فيلها وغصبها مباسم نورها وقبلها وعندنا مغن قد وقع على تفضيله الاجماع وتغايرت على محاسنه الابصار والاسماع ان بدا فالشمس طالعه وان شدا فالورقاء ساجعه تغازله مقلة سراج قد قصر على وجهه تحديقه وقابله فقلنا البدر قابل عيوقه وهو يغار عليه من النسيم كلما خفق وهب ويستجيش عليه بتلويح بارقه الموشى بالذهب ويديم المراقبة حرقته سهده ويبذل في الطافه طاقته وجهده فتارة يضمخه بخلوقه وتارة يحليه بعقيقه وآونة يكسوه أثواب شقيقه فلم نزل كذلك حتى نمس طرف المصباح واستيقظ نائم الصباح فصنعت بديها في المجلس وكتبت بما صنعت الى الاعز بن المؤيد رحمه الله أصف تلك الليلة التي ارتفعت على أيام الاعياد كارتفاع الرؤس على الاجياد بل فضلت على ليالي الدهر كفضل البدر على النجوم الزهر فقلت

غبت عني يا ابن المؤيد في وقت شهي يلهي المحب المشوقا
ليلة ظل بدرها يلبس الجد * ران ثوبا مفضضا موموقا
وغدا الطل فيه ينثر كافو * را فيعلو مسك التراب السحيقا
وتبدى النسيم يعتنق الاغصان لما سرى عنا قا رفيقا
بت فيها منادما للصديق * ظل بين الانام خلا صدوقا
هو مثل الهلال وجها صبيحا * ومثال النسيم ذهنا رقيقا
وغزال كالبدر وجها وغصن الشبان قدا والخمرة الصرف ريقا
مظهر للعيون ردفا مهيلا * وحشى ناحلا وقدا رشيقا
ان تغنى سمعت داود أولا * ح تأملت يوسف الصديقا
واذا قابل السراج رأينا * حسنه بدرا يقابل العيوقا

واظن الصباح هام بدر آ * فأبدى قلبا حريقا خفوقا
ذاك نجم مالاح فى الجدر كافو * ر بياض الاكساء خلوقا
مابدا نرجس الكواكب الا * قام فى قومه ربيئا شقيقا
واذا مابدت جواهرها فى الجو أبدوا فى الارض منهم عقيقا
فغدونا تحت الدجى نتعاطى * من رقيق الآداب خمرا رقيقا
وجعلنا ريحا تنا طيب ذكرا * لك خلناه عنبرا مفتوقا
ذاك وقت لولا مغيبك عنه * كان بالمدح والثناء خليقا

وأجاب عنها على الوزن دون الروى

قد أتتنى من الجمال قصيد * يالها من قصيدة غراء
جمعت رقة الهواء وطيب المسك فى سبكها وصفو الماء
فارتنا طباعه وشذاه * والذى حاز ذهنه من ذكاء
سيدى هل جمعت فيها اللآلى * يا أخا المجد أم نجوم السماء
أتحفتنى حسنا وحق أياد * يك التى لا تعد بالاحصاء
فتركت الجواب والله عجزا * فابسط العذر فيه يامولائى
هل يسامى الثرى الثريا وأنى * يبلغ النجم فرط نور ذكاء

(قال على بن ظافر) وقد ضمنت هذا الكتاب البديع النظم الغريب الاسم ماوقع لى الى هذا التاريخ من حكايات البدائه وكل مافيه من الحكايات المسموعة لخاطرى جالب دره وحالب دره وساكب قطره الاما استنبت به وقد جاء علالة السائر وأنس المسامر ومباهاة الساهر ولولا ضيق الصدر بازدحام وفود الهموم ومارأن على شمس البصيرة من تكاثف غيوم الغموم لتكلفت مشقة الحث وأنضيت ركائب البحث فلا أزال فى الطلب موضعا حتى لا أرى للزيادة موضعا الاما تنتجه الخواطر فى الازمان الآنفه وتولده الفكر فى الأعصار الرادفه وقد عقدته عقد الايعقبه فسخ ونظمته نظما محكما لا يعروه نسخ فمهما اطلعت عليه بعد ذلك من البدائه الواقعة فى الازمنة الخاليه أو مما تجدد فى الازمنة الآتيه جمعته وجعلته كالتتمة له حتى لا أفض ختامه ولا أفتق كمامه والله تعالى يوقعه عند الجناب المحمول اليه موقع الرضا عنه والقبول له والاقبال عليه انه على مايشاء قدير

وبالاجابة

وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد
زين الملاح وعلى آله وصحبه
أولى الوجوه السماح
وسلم تسليما كثيرا
آمين

وقد تم طبع هذا الكتاب عذب الورود للطلاب في الايام المحمدية السعيديه ذات المكارم الداوريه والعواطف الخديويه بدار الطباعة الميرية المصريه على يد مصححها الراجى من ربه العفو والغفران محمد قطة العدوى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن وكان طبعه على ذمة الشاب النجيب الفاضل الاريب الشيخ عثمان مدوخ أبى التيسير حفه بألطافه اللطيف الخبير وقد وافق طبعه التمام وفاح منه مسك الختام في أواخر الشهر الاصب شهر الله رجب الذى هو من شهور عام ثمانية وسبعين ومائتين بعد الالف من هجرة من خلقه الله تعالى على أجمل نعت وأكمل وصف صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم وقد قلت في مدح هذا الكتاب وطبعه مورخا كمال تمثيله ووضعه

هذى جمان أم لآل * جيد الزمان بهن حال
أم ذى بدور أسفرت * محيت بها ظلم الليال
أم ذى عرائس أقبلت * تختال في حلل الجمال
أم ذى بدائع مثلت * بالطبع ليس لها مثال
جمعت محاسن جمة * عن حصرها عجز المقال
سحرت بها ألبابنا * لكنه السحر الحلال
جادت بهن بدائه * عرفت بها قيم الرجال
وبها ابن ظافر اعتنى * فامتاز في هذا المجال
أدنى لنا منه البعيد * وكان قد عز المنال
بمؤلف سهل بديع * رائق الاسلوب حال
فلذا لعدواطبعه * يا صاح من أسنى الخلال

لاسيما في مصر ذا * ن الفضل في ماض وحال
وطن المعارف أمرها * لاشك فيه ولا جدال
فبطبعه فيها حوى * فخرا وللقلب استمال
فلاجل ذا لما انتهى * قالت لنا بلسان حال
قد تم طبعا ارخوا * بيهاى قد بالغ الكمال

٢٠ ١٠٤ ١٠٣٣ ١٢٢

١٢٧٨

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة
والسلام على سيد المخلوقات وعلى سائر
الانبياء والمرسلين وآل كل والصحابة
أجمعين والتابعين وتابعي التابعين
وجميع عباد الله الصالحين
آمين

نا الكتاب خالص الكمرك

